

فوزي محمد أبو زيد

دار الإيمان والحياة



الكتاب	موازين الصادقين
المؤلف	الأستاذ فوزى محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	غرة ذى الحجة ١٤٢٩هـ، التاسع والعشرون من نوفمبر ٢٠٠٨م
عدد الصفحات	٢٥٦ صفحة
المقاس	١٧سم * ٢٤سم
الورق	٨٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون ، أسود
الغلاف	كوشيه لميع ٣٠٠ جرام
طباعة الغلاف	٤ لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة– ١١٤ش ١٠٥ –المعادى– القاهرة– جمهورية مصر العربية، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠–٢–٠٠٢٠
طباعة	دار نوبار للطباعة
رقم إيداع محلى	٢٠٠٨/٢٣١٨٠
الترقيم الدولى	ISBN: 977-17-64284



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأنزل القرآن هدي وبياناً ورحمة وحناناً لأهل الإيمان ...

والصلاة والسلام علي بيان القرآن ... ، وفضل الرحمن ... , سيدنا محمد نور الهدي والتدان، وآله أهل الحكمة والعيان ... وأصحابه نجوم الهدي وكواكب إشراق البيان ... وكل من تبعهم بإحسان إلي يوم الدين آمين.

وبعد ... فإن الله جلت قدرته وتعالت حكمته جعل لكل شئ ميزاناً، وجعـــل ميزان أهل الهداية والعناية هو القرآن وأحوال النبي العدنان.

فمن وافق قوله وفعله وحاله القرآن، وتشبَّه في ذلك بالنبي العدنان، فقد فـــاز بأعلى مراتب الرضوان، ونال أعلي درجات الجنان.

ومن خالف في فعله وقوله وحاله القرآن .... والنبي المصطفى عليـــه أفـــضل الصلاة وأتمُّ السلام ...، فقد اتبع حظه وهواه ..، وخالف أمر مولاه ...، ومآلـــه في الدنيا الخسران ... وفي الآخرة لظي النيران ...

ولما كان يغيب عن كثير من العاملين الموازين الصحيحة التي يزنون بها أعمالهم، ويقيسون بها أحوالهم؛ ليتحققوا من الصدق في الأعمال، والإخلاص في الأحوال..

فقد بينا في هذه الدروس القرآنية بعضاً من الموازين القرآنية والأحوال النبوية التي يلزم للمؤمن معرفتها، وينبغي للمحسن الإحاطة بها، ليتحقق الكلُّ بالـــصدق في عمله، والصلاح في أحواله، فيفوز بأمله، وينال من الله ﷻ ما يرجوه.

فمنَّ الله علينا فى دروسنا الإلهامية هذه أن بيَّـــنَّا موازين الصلاح مـــن كنـــوز السنة، والقواعد التي سار عليها خيار الأئمة رضى الله عنهم أجمعين.

كما وصفنا وشرحنا بحمد الله وتوفيقه .... الموازين التى يزن بهـــا الـــسالكون أحوالهم، ويقيس عليها أهل القلوب بشرياتهم.

ووضحنا بفضل الله الميزان الذى إن سار على هديه السالك نال الفتح الوهبي.

ولما كان الإستدلال على أهــل القــرب ومعرفتــهم، أو الوصــول إلــيهم والإسترشاد بهديهم من الأمور التى يكثر فيها الإلتباس وقد يقــع فيهــا التــدليس، فاستعنا بالله تعالى و بينا ميزان أوصاف أهل القرب والفــلاح فــلا يقــع إلتبــاس ولاتدليس، فصل إلى رحابهم من يريدهم، ويهتدى إليهم مــن يــسعى لمعرفتــهم .. فيأخذوا بيده معهم ... ويعينوه على الوصول لمراده.

وغيرها وغيرها من الموازين التي لا غني للسالك ... والواصل ... والمــتمكن عنها، فجمعناها فى هذا الكتاب وسميناه " **موازيــــن الصـــادقين** ".

نسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به من قرأه أو علمه إلي يوم الدين ....

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

مساء الأربعاء ...

١٧ ذي الحجة ١٤٢٨ هـــ، ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٧ م

فوزي محمد أبوزيد

البريد: الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٤٠ – ٥٣٤٠٥١٩ ، فاكس: ٠٤٠ – ٥٣٤٤٤٦٠

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى:

fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com

fawzyabuzeid@yahoo.com



الفَصْلُ الأَوَّل

مَوَازِينُ الصَّلاحِ[1]

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.﴾ [٢١الأحزاب]

إتباع سُنَن سيّدنا رسُول الله ﷺ القولية والعملية هي الحل لجميع مشكلات المسلمين العصرية .

- الجَنَّـــة في اتباع السُّنَّة .
- كُنُوزُ السُّنَّة .
- من مَوَازِين الصَّلاح .
- أثَرُ الكلِم الطيب .
- سَمْتُ المؤمن وهَدْيُه .
- لطف أهل الكمال

---

١ المنيا، مغاغة، ميانة، الثلاثاء ٢٠/١١/٢٠٠٧م، ١٠ذو القعدة١٤٢٨ هـــ، الدرس بعد العشاء بمسجد الأمير عبد الله.

الجنَّة في اتباع السنَّة .

بسم الله الرحمن الرحيم

اخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين

نسمع كل يوم من يتكلم عن متابعة رسول الله ﷺ ويقول ينبغي أن نتابعه في كيف كان يأكل؟ كيف كان يشرب؟ كيف كان ينام؟ وهذه هي العبارات التي نسمعها ليل نهار !!! .. زهذا ما أريد أن أبدأ به حديثى لكم إن شاء الله ...

أبدأ وأقول وبالله التوفيق إن هناك سنة عملية وسنة قولية لخير البرية ﷺ فلو عملنا بما سمعناه واقتدينا بما في الحبيب رأينا لانحلت جميع مشاكلنا الأسرية والعائلية والعملية والدنيوية:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الأحزاب

كل المسلمين وأغلب المؤمنين يتركز اهتمامهم علي اتباع الحبيب ﷺ إما في السنن الشكلية وإما في السنن العبادية، فما أكثر المصلين بالليل وما أكثر المصلين الضحي وما أكثر التالين لكتاب الله وما أكثر المتابعين للحبيب ﷺ في عباداته ناهيك عن الشكليات فهناك من يتبعه في لحيته وهناك من يتبعه في ثيابه وهناك من يتبعه في طريقة جلوسه وهناك من يتبعه في طريقة نومه، وكل ذلك مطلوب ومرغوب لكن هناك أولويات في اتباع سنة الحبيب المحبوب ﷺ، وإياكم أن يظن أحدكم أنني لا أنادي بهذه السنن فأنا أنادي بها وأشجع عليها لكن هناك أولويات، فهناك سنن نتوجه بها إلي الله وهناك سنن يظهر أثرها في خلق الله فبأيهما نبدأ؟ علينا أن نبدأ بالسنن التي توجه إلي خلق الله لأن الله كريم وعفو وتواب ويسامح لكن الخلق أحياناً تتوغر منهم الصدور وأحياناً تستاء القلوب فيتحول ذلك إلي إحن أو إلي شحناء وبغضاء، ولذلك فإن السنة التي وجه لها الحبيب في وصاياه إلي من كان يقوم الليل

كله ويصوم الدهر إلا أقله وهو سيدنا عبد الله بن عمر وسيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حيث قال:

{ يا بُني ! إنْ قدَرْتَ أن تصبحَ وتمسي وليس في قلبك غشٌ لأحدٍ فافعلْ ، يابُنيَّ ! وذلك من سُنّتي، ومنْ أحَبَّ سُنتي فقد أحَبّني، ومن أحَبّني كان معي في الجنّة} ٢

فأيهما السنة الأولي هل طهارة القلب والعمل علي تخليص ما فيه من أوضار ومن أغيار ومن أشياء تحرك الشحناء نحو المؤمنين الأخيار والأطهار أم الصلاة طوال الليل والقلب مملوء ببغض نحو هذا وكره لهذا ورغبة في ضر هذا؟! وضح ذلك الحبيب بذاته – قالوا أن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار – وهي بذلك قائمة بالسنة العبادية – ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها – ماذا قال صلوات ربي وتسليماته عليه؟ – قال لا خير فيها هي في النار.

• كنوز السنّة

ما المطلوب المرغوب؟

المطلوب الأول هو

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الحجر

ولذلك فإن السنة التي أحب أن أسوقها لنفسي ولإخواني اليوم في حديثي والتي تحل كل المشاكل وهي سنة سهلة وبسيطة ولن تكلفك أن تضع يدك في جيبك لتخرج قليلاً ولا كثير !!! ولن تكلفك كذلك أن ترجع إلي الرصيد ... لتعيد فيه

---

٢ عن أنس رواه الترمذي

أوتزيد !!! ولن تكلفك بتعب ! ولا عناء! ولا مشقة! ... وهي قوله ﷺ:

{تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ } ٣ و { الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ } ٤

هذه الصدقات هل هناك من يعجز عن اخراجها في جموع المسلمين؟! هل يعجز الفقير عن إخراجها؟! هل يعجز الجاهل عن العمل بها؟ .. المرأة التي ليس لها ذمة مالية ولا مال هل تعجز عن آدائها؟! .. أبداً بل إنها صدقة سهلة وبسيطة ولكنها تحل كل مشاكل البسيطة ...

ما هيئة المؤمن يا رسول الله؟ ... هو هاش باش يتبسم ويتكلم القول الطيب، علي شاكلة من؟ مثل سيد الأولين والآخرين ﷺ .

فقد كان ﷺ كما روي في وصفه لا يُري إلا باسماً — إذا تحدَّث تبسَّم، وإذا ضحك تبسم، فقد كان ضحكه تبسماً ... لا يقهقه إلا في النادر، ولا ينظر إليه أحد إلا ويتبسم ...، وكما قلنا فإن البسمة صدقة .. فلماذا نتجهم ؟؟؟ وكلما قابل أحدنا أخاه يجتهد في أن يتجهم ويعبس في وجهه؟!...

مع أن الطب يقول أن أفضل رياضة لعضلات وأعضاء الوجه هي الضحك والتبسم، حيث قال علماء الطب أن الإنسان إذا ضحك تتحرك في وجهه ثلاث وثلاثون عضلة ... فلا تأتيه الجلطة التى تعرف طبياً بأنها جلطة توقف نصف الوجه ولا كلّ الوجه .. وذلك لأنه يحركه جميع عضلاتع باستمرار فهو يتبسم كثيرا، أما الحزن .. والكآبة .. والوجوم فقال الأطباء أن الإنسان المكتئب الواجم العبوس الوجه لا يحرك سوي عضلة إلي ثلاث عضلات من وجهه— أما المؤمن فهو غير ذلك تماماً.

﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧)﴾ الحجر

و"سرر" هنا لا تعنى أنهم علي أسرة !! ولكن علي السرور ... فما الغرم الذي

---

٣ عن مالكِ ابن مَرْثَدٍ عن أبيه عن أَبي ذَرّ ، قال: قالَ رَسُولُ الله: { الحديث } وتمامه: {وَأَمْرُكَ بالمَعْروفِ ونهيُكَ عن المُنكَرِ صَدَقَةٌ، وإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ في أَرْضِ الضَّلاَلِ لَكَ صَدَقَةٌ، وبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ والشَّوْكَ والعَظْمَ عَن الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ في دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ} سنن الترمذي

٤ عن أبي هريرةَ ﷺ ، أخرجه إبن حبان فى المقاصد الحسنة،ومحمد جار الله الصعدى فى النوافح العطرة.

عليك إذا قابلت أخيك بالبسمة؟.. أو بالضحكة والوجه الباش؟... وقد كان العرب يقولون لأولادهم:

بني إن البر شئٌ هين وجهٌ طليق وكلام لين

• من موازين الصلاح

والموضوع ليس أكل وشراب أو أثاث ورياش فكون الإنسان يقابل أخاه بوجهٍ هاش باش .. فليس المهم أن يأكل أو يشرب بعد ذلك !– فلو جهزت لأخيك سفرة تكفي خمسمائة فرد !! ومع ذلك أغضبته وشددت عليه قبل الطعام فماذا يأكل؟

فكان ﷺ يتبسم باستمرار، وخاصة وهذا هو جوهر الميزان الذي أريد أن أركز عليه – كيف تعلم أن هذا الرجل رجلاً صالحاً وله منزلة عند الله؟ الموازين كثيرة لكن الميزان الأول والأعلي والأرقي والأغلي ....:

"إذا كان أهله – أي زوجته وعياله – يحبونه أكثر من أنفسهم "

فعندما نزل الوحي علي الحبيب ﷺ،فإن أول من آمن به هي زوجته السيدة خديجة لماذا؟ بسبب الكمال والجمال واللطف الذي رأته فيه، وعندما رجع إليها وهو يقول زملوني زملوني دثروني دثروني، هدأت من روعه ... وقالت:

{كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق}[٥]

أى كيف تكون بك هذه الأوصاف والمحاسن العظيمة ويحدث لك مثل هذا؟! فكانت أول من آمن به.

– وثاني من آمن به هو سيدنا علي بن أبي طالب:

---

٥ عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخارى ، الجامع الصحيح.

وقد كان في بيت النبوة وعمره آنذاك سبع سنين، ولما صنع السنبي ﷺ مائدة لعائلته لكي يدعوهم إلي الإسلام وكانوا أربعين رجلاً .. ، فبعد أن فرغوا من الطعام أخذ يشرح لهم قواعد الإسلام .. وبعد أن انتهي، قال: من منكم ينصرني ويناصرني علي نشر هذا الدين؟؟؟ فسكت الجميع!! إلا الإمام علي! فقد وقف وقال: أنا ،مع أنه طفل صغير! وذلك لما رآه في هذا البدر المنير ﷺ من أخلاق باهرة ... وشمائل تجعل القلوب بحضرته عامرة.

– وثالث من آمن به كان سيدنا زيد بن حارثة:

وكان عبداً مملوكاً للسيدة خديجة، وبعد أن تزوجت حضرة النبي وهبته له، وقد ظل أبوه وعمه وأخوته يبحثون عنه في كل أرجاء الجزيرة العربية لأنه كان قد خطف[٦]، إلي أن عرفوا أنه في مكة عند حضرة النبي ﷺ، وكان الوحي لم يتزل علي النبي بعد أي قبل الرسالة، فذهبوا إلي رسول الله ليستعطفوه، وقالوا:

{ يا ابن عبد الله إنك كريم بني هاشم خذ ما شئت من المال واعطنا ابننا }، فقال ﷺ : { ألا أدلكم علي خصلة خير من هذه؟ قالوا نعم قال اجلسوا معه وفاوضوه، فإن ارتضاكم فخذوه ولا آخذ منكم شيئاً }، فجلسوا مع سيدنا زيد، فقال له أبوه: أنا أبوك وهذا عمك وهؤلاء اخوتك، ونملك من أصناف الأنعام كذا من الإبل، وكذا من البقر، وكذا من الغنم ،وخلاف ذلك كثير ... وأخذوا يرغبون فيه فترة طويلة، وبعد أن انتهوا قال لهم سيدنا زيد: هل انتهيتم؟ قالوا: نعم، قال ﷺ:

{ لا أرضي بمحمد بديلاً }، وذلك كما قلت قبل الرسالة.

وقد ذهب سيدنا أبو بكر لحضرته يوماً وقال يا رسول الله لقد ذهبت إلي كسري في ملكه، وذهبت إلي قيصر في ملكه، وذهبت إلي النجاشي في ملكه، وطفت بأحياء العرب جميعاً، فلم أري مثل أدبك ... فمن الذي أدبك؟ فقال ﷺ:

{ أَدَّبَنِي رَبي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي } ٧

---

٦ وهذا كان نظام العبيد في ذلك الوقت يخطفون الصبي ثم يبيعونه.

٧ ابن السَّمْعَاني في أَدَبِ الإِمْلاَءِ،عن ابن مسعُود رضيَ اللَّهُ عنهما.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ القلم

وهذا هو المقام الكريم، فمن يريد أن يكون معه ماذا يفعل وكم يصلي ويصوم وماذا يفعل من النوافل والقربات؟ قال ﷺ :

{ إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقاً، وإِنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةَ الثَّرثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يا رسولَ الله قَدْ عَلِمْنَا الثَّرثَارِينَ وَالمُتَشَدِّقِينَ فَما المُتَفَيْهِقُونَ؟ قال المُتَكَبِّرُونَ } ٨

ومن على هذه الشاكلة تريد الناس أن تجالسه وتعاشره، ولا تشبع من حديثه، وإذا غاب عنهم يتوحشوه، ويسألون عنه لماذا؟ لأنه علي هدي رسول الله ﷺ.

فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن قال لزيد وأهله: تعالوا معي، فأخذهم وذهب بهم عند الكعبة، وقال لأهل مكة: يا معشر قريش إن زيد ابني يرثني وأرثه، فاطمأن أهله وذهبوا، إلي أن أنزل الله بعد ذلك الغاء هذا التبني.

وكل ما أريد قوله كيف يفضل زيد سيدنا محمد وهو عبدٌ علي أبيه وعمه وأخوته وحريته إلا لجمال أخلاقه وكمال نعوته وصفاته صلوات ربي وتسليماته عليه.

وقد قال في ذلك أمير الشعراء أحمد شوقي:

فإن رحمت فأنت أم أو أب   هذان في الدنيا هما الرحماء

ومع ذلك فإن الشاعر لم يستطع أن يأتي بالمعني لأن رحمة الأب والأم من البدء إلي الختام هي جزء من رحمة الرحمة المهداة ﷺ، قال ﷺ :

{ إِنَّ اللّهَ خَلَقَ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ

---

٨ عن محمَّدِ بن المُنْكَدِر عن جابر سنن الترمذي ، وَرُوِيَ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قال ﷺ: «إنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقاً المُوَطَّئُونَ أَكْنَافاً الَّذِينَ يَأْلَفُون ويُؤْلَفُون، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ المَشَّاؤُون بِالنَّمِيمَةِ المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ المُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَيْبَ». رواه الطبراني في الصغير والأوسط

رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ. فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأَرْضِ رَحْمَةً. فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَىٰ وَلَدِهَا. وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ. فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَكْمَلَهَا بِهذِهِ الرَّحْمَةِ } [٩]

إذن فكل هذه الرحمات جزء من الرحمة المهداة الذي قال فيه ربنا

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ الأنبياء

وما أريد قوله بعد ذلك إيضاحاً لهذا الميزان، ,ارجــو أن تنتبــهوا لكلامــي وأعيروني أسماعكم وأفهامكم:

هو أنه في هذا العصر قد ظهرت ثنائية تخالف هدي خير البرية ... كيف؟ تجد معظم الناس خارج المنزل أو مع زملائه في العمل! أو مــع جلــسائه في أي زمــان ومكان! يقولون أن فلان هذا مثل البلسم الشافي!! لأخلاقه وسلوكه معهم، وعنــدما يدخل البيت تجده وحشاً كاسراً وقد تغير مائة وثمانين درجة !!!!! حيث تجد الأمــر! والنهي! والسبَّ! والشتم! واللعن!، كل ذلك لمن يقول الحبيب فيهم :

{ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لاِهلِي } [١٠]

وأهله هنا هم نساؤه وأولاده، أما من هم دون ذلك فهم ذوي رحمه، وهذا هو الميزان .... فأهلك يريدون منك الكلمة الطيبة والمعاملة المهذبة.

وقد كان ﷺ ينبسط مع زوجاته فيمازحهم أحيانــاً أويــضاحكهم، وأحيانــاً يشاركهم في عمل المنزل، سألوا السيدة عائشة عن حال رسول الله معهم؟ فقالت:

{ كان يخيط ثوبه ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم } [١١]

أى يشاركنا في عمل المنزل، وكان يقوم بهذه الأعمال المنزلية تواضــعاً لــرب

---

٩ عَنْ أَبي عُثْمَانَ عَنْ سَلْمَانَ صحيح مسلم
١٠ عن عَائِشَةَ ﵂ سنن الترمذي والدارمي وابن حبان
١١ عن عائشة ﵂، المحدث الوادعى ، المصدر : الأدب المفرد.

البرية ﷺ ومشاركة لهم حتي يحبوه ويقبلوا عليه ﷺ.

وانظر إلي تقدير الخادم سيدنا أنس بن مالك ﷺ وقد كانت أمه السيدة أم سليم ﷺ لم تكن تنجب، وقبل هجرة النبي ﷺ إلي المدينة نذرت لله إن رزقها الله ولداً أن تجعله خادماً للكعبة، فرزقها الله بأنس، ثم هاجر النبي ﷺ إلي المدينة المنورة، وآمنت أم سليم، فجاءت به إلي رسول الله وهو ابن سبع سنين، وقالت:

{ يا رسول الله إن ابني هذا كنت قد نذرت أن أجعله خادماً للكعبة، و ها أنا ذا.. أوفي بنذري وأجعله خادماً لك }

واستمر سيدنا أنس مع رسول الله عشر سنين وكان تقريره يقول:

{ خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، وما قال لي لشيء لم أفعله: ألا كنت فعلته؟ ولا لشيء فعلته: لم فعلته؟ } ١٢

وكان إذا كسرت خادمة شيئاً وأرادت زوجاته أذيتيها بالقول يقول لهن:

{ لا تضربوا إماءكم على كسر إنائكم فإن لها آجالا كآجالكم } ١٣

وكان بعض أهله إذا عتب علي سيدنا أنس فى شيء، قال لهم ﷺ :

{ دعوه فلو قضي شيء لكان } ١٤

ما هذا اللطف !!! و ماهذا الأدب الجم؟!

هذا اللطف وهذا الأدب لو وجد بيننا من أين تأتي المشاكل !!

بل إن المشاكل كلها ستنتهي بغير رجعة ... !!!!

سواءاً إن كانت في المترل ... أو كانت في العمل ... أو كانت في الأسواق ...

---

١٢ أنس بن مالم ﷺ، أخرجه الألبانى ، الأدب المفرد.
١٣ أنس بن مالك ،المحدث القيسرانى ،المصدر : نذكرة الحفاظ.
١٤ عن أنس بن مالك ، المحدث إبن تيمية ، المصدر : درء التعارض.

أو في الشارع .... أو في أي مكان كان ....

• أثر الكلم الطيب

فأي إنسان مهما كانت درجة الإيمان عنده ... تؤثر فيه الكلمة الطيبة، وعندما يسمعها كأنك أنزلت عليه دشاً بارداً منعشاً من الماء، فعندما يأتيك إنسان ثائر يريد أن يسب ويلعن وتقابله بالكلمة الطيبة ... تنتهي ثورته! ويبدله بالكلام الطيب!! وحضرة النبي يقول في كل المؤمنين :

{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ؛ لا تَأْكُلُ إلاَّ طَيِّباً، وَلا تَضَعُ إلاَّ طَيِّباً } [15]

والمؤمن يحاسب نفسه علي فلتات اللسان، فلا يخرج منه إلا ما يرضي حضرة الرحمن، ودائماً نصب عينيه قول الله في القرآن

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (ق)

وما من كلمة تقولها إلا ويسمعها أولاً حضرة السميع!! ويحاسبك عليها!!

فهل أنت خائف من فلان الذي يسمع منك؟ ولا تخاف من السميع الذي يسمع أولاً ويحاسبك؟! فإن فلاناً هذا إن كان سيحاسبك؟ أو يعنفك؟ فإنه حساب يسي!!!ر أما العلي الكبير الذي يسمع كلماتك ويعد حروفك وألفاظك وسيحاسبك عليها يوم الميقات !!!! ألا تخاف منه؟

لذلك فإن المؤمن دائماً كلماته قليلة!! ولا ينطق بقول إلا بعد تفكر وتدبر وتمعن !! ويعلم علم اليقين قول السلف الصالح :

{ إن من الكلام ما هو أشد علي الأجسام من وقع السهام }

فأحياناً تكون كلمة أشد من طلقة!!! كيف يكون كلام المؤمنين يارب؟

---

١٥ عن وكيع بنِ عُدُس ، عن عمِّهِ أبي رَزِينٍ العُقَيْلِيِّ سنن النسائي الكبرى

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ (٢٤ الحج)

كلامهم جواهر، يختار الجواهر ويسمعها لإخوانه المؤمنين، لأنه يعلم أن من يسمعها أولاً هو رب العالمين ﷻ، ولذلك عندما يتكلم حضرة النبي عن المؤمن يقول:

{ لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ولاَ اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيِّ } ١٦

ليس بسباب لأي شئ ... حتي ولو كان لغير الآدمي فقد سمع النبي ﷺ وهو في غزوة تبوك رجلاً من أصحابه يلعن جملاً فقال ﷺ:

{ يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون } ١٧

قال ماذا أصنع يا رسول الله؟ قال انزل من عليه واتركه يمشي في الصحراء، حتي الجمل!!، وذلك لكي لا يعود لسانه علي هذا الكلام.

فلسان المؤمن لا ينطق إلا بالقول الطيب الذي يثلج الصدور ويؤنس النفوس ويخفف عن المنكوب، والذي يشفي السقيم والمريض، والذي يذهب لوعة الحزين، والذي يزيد فرحة المسرور، هكذا يكون كلام المؤمن ... وحال المسلمين.

وذات مرة، حدث أن أبا ذر وبلالا تغاضبا و تصايحا ... و في ثورة الغضب قال أبو ذر لبلال : يا ابن السوداء فشكاه بلال رضى الله عنه إلى النبي ﷺ، فغضب النبي وقال له:

{ يا أبا ذَرّ، أَعَيَّرتَهُ بأمِّهِ؟ إِنَّكَ امرُؤٌ فيكَ جاهِلِيَّة } ١٨

وعندما نطبق كلام خير البرية علي حياتنا الآن؟؟؟ فكم واحد تجد فيه جاهلية الآن؟ الكثير والكثير !!!! كيف تعيره بأمه !!! ... أنظروا إلى التأديب النبوى .....

---

١٦ عن عبدِ الله مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي
١٧ الرادى أنس بن مالك ، المحدث : المنذرى ، المصدر : الترغيب والترهيب، وفيه روايات عديدة
١٨ عن المَعْرور قال: لَقِيتُ أبا ذَرٍّ بالرَّبَذةِ وعليهِ حُلَّة، وعلى غُلامِهِ حُلَّة، فسألتُه عنْ ذلكَ فقال: إنِّي سابَبْتُ رَجُلاً فعَيَّرتُه بأمِّه، فقَالَ لي النبيُّ ﷺ وذكر الحديث، وتمامه : { إخْوانُكمْ خَوَلُكمْ، جَعَلَهمُ اللّهُ تحتَ أيديكُمْ. فَمَنْ كانَ أخوهُ تحتَ يدِه فلْيُطْعِمْهُ مما يأكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مما يَلْبَسُ، ولا تُكلّفوهمُ ما يَغْلِبُهم، فإنْ كلّفتموهُم فأعِينوهُم } (صحيح البخارى)

{ ليس لابن البيضاء علي ابن السوداء فضل إلا بالتقوي }

فما كان من سيدنا أبي ذر إلا أن حزن حزناً شديداً، وكسف باله وتغير حالــه وعرف أن النبي غضبان منه، فذهب إلي بلال ليسترضيه، وأقسم عليه أن يطأ وجهــه بقدمه ليكفر عن ذنبه، ونام علي الأرض، ووضع صدغه عليها ليطأه بقدمه !!!

ولأهم أصحاب ذوق رفيع وأدب بديع، لأهم تعلموا من حضرة النبي الشفيع ﷺ ولا يوجد أحد في الأولين ولا في الآخرين، في السابقين ولا المعاصرين من يبلغ في الذوق الرفيع أصحاب النبي الأمين ﷺ رضي الله ﷻ عنهم أجمعين:

فلما أن أقسم أبوذر علي سيدنا بلال أن يضع قدمه علي وجهه، وقد علمهــم حضرة النبي أنه لو أقسم عليك أخوك يجب أن تبر هذا القسم !! فماذا يفعل بلال؟

وضع رجله أعلى رأسه بمسافة شبر ليبر قسمه! ولم يجعلها تلامس وجهه، فانظر إلي الأدب العالي .... والذوق الرفيع ... وأين تعلموه؟

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ (٢٩ الفتح)

• سَمْتُ المؤمن وهديه.

كان هذا سمتهم وهديهم، وكانت هذه أخلاقهم في كل أحــوالهم !! لــذلك كانت حياهم سعيدة بلا مشاكل ... وأنتم تعلمون أنه لم يكن عندهم دار للقــضاء، لأن جميعهم عدول، ولا يرضي واحد منهم لأخيه ما لا يرضاه لنفسه، نفــذوا هــذه الحقيقة فعاشوا بهذه الطريقة.

والعلم الحديث يا إخواني وديننا يطالب بالعلم، لأن معظم الأمراض التي نشكو منها الآن مثل الضغط والسكر وتصلب الشرايين وغيرها من الأمراض، قال الأطباء أن سبب معظمها الضغوط النفسية.

فالرجل إن لم يستطع أن يحقق مناه خارج البيت يذهب للمــسكينة زوجتــه

داخل البيت !!! ويفرغ جميع الشحنات التي به فيها !! ، فما ذنبها في ذلك؟! ففي صباح كل يوم هناك برنامج للنكد!! وفي الظهر برنامج آخر للنكد!! وفي المساء برنامج ثالث للنكد!! فماذا تفعل المسكينة؟ تصاب بالكمد والنكد ... فتأتي الأمراض ويضطر هو للبحث عن علاج؟؟ ويذهب بها للأطباء؟؟ فكيف يؤثر الدواء وأنت سبب الداء !!!!!

وكذلك نفس الموضوع مع بناته وأولاده، ويريد أن يكون في البيت شريك حضرة الألوهية – حاشا لله – كيف؟! يريد ألا يسأل عما يفعل !! فإذا قالوا لم فعلت ذلك؟ يرتكب مصيبة !!.. ويقول أتردون كلامي!! إن كلامي لا يرجع!!!، فبمن تتأسي يا أخي؟ ألا تتأسي بمن قال له ربنا

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ (١٥٩ آل عمران)

وقد شاورهم ﷺ وخابت مشورهم في غزوة أحد، فقد قال النبي نظل في المدينة وأشاروا هم أن يخرجوا من المدينة، وعندما نزل على رأيهم هزم الجيش، ومع ذلك قال له حضرة الله

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ثم بعد ذلك أضاف سبحانه:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ (١٥٩) آل عمران

أي شاورهم لتعلمهم، قال ﷺ :

{ أما إن الله ورسوله غنيان عنهما ولكن جعلها الله رحمة لأمتي فمن شاور منهم لم يعدم رشدا، ومن ترك المشهورة منهم لم يعدم عناء }[١٩]

أي لا يحتاج إلي المشورة لكنها للتعليم ولنشر الرحمة و المنفعة، فإذا كنت حكيم الحكماء وفقت لقمان الحكيم، ألا ينبغي أن تُعلّم من معك؟ كيف يتعلمون؟

---

١٩ عن عبدالله بن عباس ﷺ لما نزلت هذه الآية : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ (١٥٩ آل عمران، قال ﷺ : { الحديث}،المحدث البيهقى، المصدر : شعب الإيمان.

عندما تتزل لهم ... وتقول ما رأيكم في هذا الموضوع؟ بلطف .. ولين .. وبحكمة .. فيشبوا رجالاً نافعين ونساءعلي نهج أمهات المؤمنين.... ، لكنك تريد ألا ترد كلمتك ولا يصح ذلك وهذا ما يأتي بالمشاكل، إذن لو اتبع الإنسان منا نهج الحبيب مع أهله لأصبحوا داخلين في قول الله

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ (النحل)

هل وحده أم من معه أيضاً؟ الجميع ... فباقى الآية ...

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

فهذا الصنف الذي لا يريد ردَّ كلمته، وإذا مثلاً جاء ابنه الكبير الذي تخرج من الجامعة ليرد عليه كلمة !! يقول اخرج من المترل فلا أنت ابني ولا أعرفك!! .. لماذا؟ إنه رجل !!!!

ذهب رجل من هذا الصنف لسيدنا عمر وجلس علي الباب لانتظار دوره، فسأله الحاجب ما حاجتك؟ قال جئت لأشتكي زوجتي، وسجل الشكوي ... وبعد قليل وهو ينتظر .. سمع زوجة سيدنا عمر تتناقش معه، وعلا صوهّا عليه، فما كان من الرجل إلا أنه أخذ حذاءه وخرج !! وعندما استدعاه سيدنا عمر قال الحاجب لقد ذهب، قال استدعوه، وعندما عاد، قال له عمر ﷺ: لماذا خرجت بدون أن تعرض شكواك؟ قال جئت لكي أشتكي زوجتي التي يعلو صوهّا عليَ !!، فلما سمعت ما حدث لك مع زوجتك خرجت، فقال سيدنا عمر:

يأخي إنها طباخة لطعامي، غسالة لثيابي، وكذلك مرضعة ومربية !! ولم يكلفها الله ﷻ من ذلك بشيء، فأنا المكلف أن أحضر لها طباخاً وغسالة ومرضعة ومربية، فإذاتحملت مني كل هذا !!! أفلا تحمل منها ذلك..، وهو عمر بن الخطاب ﷺ ؛ الذي كان يتزل الوحي مؤيداً لما يقول، وكان إذا مشي عمر في طريق سلك الشيطان طريقاً آخر كما أخبر ﷺ، بل وكانت هيبته تجعل الجبال ترتج إذا واجهها بوجهه.

ومع ذلك كله تجده في بيته كما علمنا حضرة النبي ... ، فكيف كان يعمــل ﷺ مع الحسن والحسين؟ لم يكن يجعل نفسه جملاً ويركبهم علي ظهره ويمر أصــحابه ويرونه ... فيقول سيدناجابر بن عبدالله ﷺ:

{ دخلت على النبي ﷺوهو يمشي على أربع ، والحسن والحسين على ظهره وهو يقول : نعم الجمل جملكما ، ونعم العدلان أنتما }[٢٠]

• لطف أهل الكمال

فعلي الرجل عندما يدخل البيت أن يتصابي مع الصبيان ...،وأن يرحم البنــات والنساء ويتلطف لهم وبهم ... لكي يألفوه ويحبوه ويتمنون وجوده، ولا يكن غليظــاً جافياً فيكرهونه ويتمنون رحيله وعدم وجوده، فالمسلم غير ذلك ويقول فيه الــشيخ محمد علي سلامة شيخنا ﷺ :

{ عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنوا إليكم وإن متم بكوا عليكم }

وذلك باللطف والرحمة واللين الذي قال فيه الله لسيد الأولين والآخرين :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [١٥٩ آل عمران].

إذن علينا جميعاً أن نتصف باللين الذي مدحه الله عليه وأكمل وصفه فقال:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾

وعلينا كذلك أن نبعد عن الفظاظة وعن غلظة القلب وعن القسوة، ويكــون شعار المؤمن دائماً تبسمك في وجه أخيك صدقة والكلمة الطيبة صدقة.

صدقة يجريها الله لنا في كل وقت وحين، ... وانظر إلي فضل الله علينا فلكــي تقابل أخاك وتبتسم في وجهه، ماذا لك من الأجر والثواب عند الله؟ يقول ﷺ:

---

٢٠ الراوى جابر بن عبدالله، المحدث : ابن حجر العسقلاني ، المصدر : لسان الميزان.

{ نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى أَخِيهِ عَلَى شَوْقٍ خَيْرٌ مِنَ اعْتِكَافِ سَنَةٍ فِي مَسْجِدِي هذَا } [٢١]

فلماذا أحرم نفسي من ذلك؟!قال ﷺ :

{ إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا وَحَمِدَا الله وَاسْتَغْفَرَاهُ غفِرَ لَهُمَا } [٢٢]

فلماذا أجهز لأخي كلمتين جافتين يوغرا صدره؟؟؟ لماذا؟؟؟!!! ولقد عقدنا حياتنا بمثل هذه الأمور !!! فلماذا لا نتعامل بالجمال الذي كان عليه سيد أهل الجمال؟ ولماذا لا نتعامل بأكمل الخلال التي كان عليها المصطفي ﷺ والآل؟

وهذا هو المحك الذي به يغير الله حالنا إلي أحسن حال ... ولن يكلفنا ذلك كثيراً ولا قليلاً من المال ... لكن يلزمنا جهاد النفس إلي أن يتعود الإنسان منا علي ذلك ... ويزيل القتامة من وجهه ... ليصبح وجهه هاشاً باشاً، وهذا هو كمال الإقتداء بسيد الرسل والأنبياء ... حتي كان ﷺ من فرط هشاشته وبشاشته وحسن لقائه كما روي عنه .:

{ ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه } [٢٣]

فإذا جلس في مجلس يظن كل واحد في المجلس أنه أحب الجالسين إليه ﷺ، وذلك من تبسم الرسول له وحديثه معه وحرصه على كل واحد منهم:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [١٠٧ الأنبياء]

ولا يوجد من يخفف عنا عناء المعايش !! وهموم الأمراض !! وكثرة المشاكل !! إلا هذا النهج الكريم لسيد الأولين والآخرين، نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

---

٢١ الحكيم عن ابن عمرو ﷺ .(جامع الأحاديث والمراسيل)
٢٢ عن الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ سُنن أبي داوود
٢٣ الراوى هَند ابن أَبي هاله ، المحدث البيهقى ، المصدر : دلائل النبوة، وغيرها والحديث طويل ومشهور.

الفصْلُ الثانى

مَوَازِينُ الدُّعاةِ الصَّادقين [٢٤]

- الدعوة المؤثرة
- أمة الأئمة
- الذين يبلغون رسالات الله
- خيار الأئمة
- أهل التمكين
- الرتبة العليا

٢٤ المنيا، مغاغة، ميانة، الثلاثاء ٢٠/١١/٢٠٠٧م، ١٠ذو القعدة١٤٢٨ هـ، الدرس بعد تناول العشاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني جماعة المؤمنين القراء الكرام وأحبائي في الله ﷻ أجمعين ...

اعلموا علم اليقين أن الله في أزله القديم وفي كتابه الكريم جعل كل رجل من أمة النبي الرءوف الرحيم – ورجل تشمل رجل وامرأة – داعياً إلي الله ﷻ .

فإن الله ﷻ لم يكلف بالرسالة نفراً معدودين في أي زمان، وإنما كلف بها النبي العدنان، ثم انتقل التكليف إلي جميع أفراد الأمة في كل زمان ومكان إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها ... قال تعالى (١١٠ آل عمران):

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

كنتم ... من ؟ ... كلكم من عصره ﷺ إلي نهاية الزمان والمكان ..، ما الوظيفة التي وظفنا فيها حضرة الله كلنا أجمعين؟:

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

إذن فإن وظيفتنا التي وظفنا الله بها كلنا .. العالم منا وغير العالم !!، من يخطب على المنابر ومن لا يستطيع الكلام !!، كل فرد !! وكل امرأة !! وكل شاب !! وكل فتاة من هذه الأمة !! مكلف بهذا التكليف الإلهي:

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

وسر السعادة الأزلية والحياة الطيبة الدنيوية لهذه الأمة المحمدية إذا قاموا بهذه التكليفات الربانية القرآنية ... ومن يقوم بذلك كما قلنا ليس واحد بذاته؟ لأنه قال ﴿تَأْمُرُونَ﴾ أي أن كلكم رجل واحد !!! وكذلك قال ﴿وَتَنْهَوْنَ﴾ أي أن كلكم رجل واحد، إذن فذلك حقيقة الإيمان بالله ﷻ .

الدعوة المؤثرة

هل بذلك علينا جميعاً إن نصعد علي المنابر ونخطب؟ أو نظهر علي الفضائيات والإذاعات ونتحدث؟ أو نسجل شرائط؟

لا !!! لأنا لا نريد الدعوة بالمقال ولكن نريد الدعوة بالأخلاق والأفعال والسلوكيات والأحوال ..... وهذه هي دعوة الرجال، أما الدعوة بالكلام والفعال تخالف الكلام والمقال فإنها دعوة الرجل الذي يسمونه (بطال) لأن قوله يخالف فعله، فإذا كان الله ﷻ يعاتب من هم علي هذه الشاكلة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ (٢-٣ الصف)

فكيف إذن ندعو إلي الله؟ .. بأحوالنا وأفعالنا وأخلاقنا ..

، وأول داعٍ إلي الله بعد سيدنا رسول الله في أمة الإجابة هو سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ فقد دخل علي يديه من الصحابة عثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة الخير بن عبيد الله... بذلك نجد أن العشرة المبشرين بالجنة كلهم قد دخلوا علي يديه!!!

وهل كان سيدنا أبو بكر يخطب في هؤلاء؟ أو كان يسجل علي شرائط ويوزعها عليهم؟ أو كان يؤلف كتب ليقرؤوها؟ أبداً!، إذن كيف أسلموا علي يديه؟

كان الرجل مشهوراً بين قومه وبين العرب بكريم أخلاقه وجميل طباعه وحسن سمته وهديه، فكان إذا حدث أحداً من هؤلاء يقول له:

يا فلان أنت رجل عاقل فهل تري أن هذه الأصنام تغني عنك من الله شيئاً؟ يقول لا، فيقول هيا معنا إلي الدين الحق، فيمتثل الرجل.

والسلاح الذي دخلوا به هو الثقة في الداعي:

وهذه الثقة تأتي للداعي إن كان لا يقول إلا ما يفعل، ولا يدعو إلا إلي ما هـــو أول العاملين به والناهجين علي هديه، فلا يقول للناس كلاماً وهو أول من يخـــالف هذا الكلام ! ولذلك فإن سيدنا أبا بكر ﷺ ما دعا أحداً إلا واستجاب إلي الله ﷻ.

• أمة الأئمة

سيدنا رسول الله ﷺ علمنا جميعاً كيف نكون أئمة:

وهذه الأمة كلهم عند الله أئمة، فمن الذي سيشهد علي الناس يـــوم القيامـــة ياإخواني؟ الأئمة ... ، ومن يشهد علي الأمم؟ هم النبيون والمرسلون، وكذلك أنـــتم مثلهم تماماً بتمام لأنكم أمة سيد الأولين والآخرين .

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ (النساء)

إذن فكل نبي شهيد علي أمته، والشهيد علي الكل هو رســـول الله، كـــذلك رجع بنفس الخطاب للأحباب

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١٤٣البقرة)

إذن فأهل الأمة كلهم أئمة

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان)

كل واحد من الأمة قد أهله الله ﷻ قبل القبل ليكون إماماً يقتدي به بين الأنام لكن المشكلة أنه عندما نزلنا إلي هذه الدنيا نسينا المهمة واعتقدنا إما بالغفلـــة وإمـــا بالجهل وإما أننا حكمنا النفس فينا وجعلنا لها التصرف أو سمعنا لوساوس وهـــواجس

الشيطان أن مهمتنا في الكون هي أن نتزوج وتكون لنا ذرية ننشغل بها ولا غير ذلك مع أن هذه الأشياء لا شأن لنا بها ومن قال ذلك هو ربنا، فمـا عملـك بالنـسبة لزوجتك وعيالك؟ نسأل القرآن

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ كم مرة؟ ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (١٣٢ طـه)

ولم يقل واصطبر عليهم!!لكنه قال ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي علـي هـذه الدعوة لأنه يلزمها الصبر الطويل – يارب وماذا أفعل في طعامهم وشرابهم؟

﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (طه)

قال لا شأن لك بهذا الموضوع هل كلفناك بذلك؟ ألم تعلم أن الدنيا دار ضيافة كلها – وهذا سقفها أى السماء :

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ (٣٢ الأنبياء)

وهذا هو الفرش :

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (٤٨ الذاريات)

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ (٢٢ البقرة)

ومن المتكفل بالضيافة؟ صاحب الدار! لذا فكل ما تشتهيه نفسك قد أوجـده لك في هذه الدار! وهو الذي يرويه ويغذيه! وهو الذي يخرجه ويطيبه إلي أن يأتيك!

ومدة الضيافة عندنا هي ثلاثة أيام، أما عند صاحب الضيافة فإن اليوم :

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤٧ الحـج)

إذن فمدة الضيافة بالنسبة لك هي ثلاثة آلاف سنة !!!، ومن الذي سـيعيش هذه المدة ؟؟؟ وإن عاش فإن الضيافة علي المضيف ﷻ، إذن ما وظيفتك؟

هي أن تدعوهم إلي الله وتكون إمامهم وتدخل بهم علي حضرة الله قال ﷺ:

{ إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ } ٢٥

فقد فرض الله علينا خمس صلوات بها إمامة ومأمومين لكي نعرف أن هذا هو الدين وهو عبارة عن إمام ومأمومين ...

فالمأمومون لكي تكون صلاتهم صحيحة لا بد وأن يطيعوا الإمام فلا يرفعون رأسهم قبله في الركوع ولا ينزلون رأسهم قبله في السجود ولا ينوون قبله...

والإمام أمين، ولذلك لو كان هناك دعاء ودعا لنفسه وتركهم فقد قال فيه ﷺ أنه خانهم إذا فعل ذلك:

{ وَلاَ يَخْتَصُّ نَفْسَهُ بِدَعْوَةٍ دُونَهُمْ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ } ٢٦

مثلاً في دعاء القنوت .. إذا قال الإمام: اللهم اغفر لي وارحمني فإن ذلك لا يجوز؛ إذ عليه أن يقول اللهم اغفر لنا، اللهم ارحمنا وهذا هو الدين ..فأنت إمام إذن عليك أن تمشي علي منهج نبي الختام وأولادك وزوجتك وبناتك يتابعوك في هذا العمل تماماً بتمام، ولو أن كل واحد من المسلمين مشي علي هذا النهج الأمين فمن في العالم كله يا إخواني سيتخلف عن الإسلام !! إن كان من اليهود أو من النصارى أو الكافرين والمشركين؟ لن يتخلف أحد أبداً !!!! ما الذي يمنع هؤلاء الناس إذن؟ لأنهم يروننا خلاف ما يقوله ديننا، فإذا قال لنا الله

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ (١١الحجرات))

ومع ذلك كلما مشيت خطوة تجد جماعة من المسلمين يسخرون من إخوانهم، فلمن هذا الكلام أليس لنا؟ أو يقول

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (١٢ الحجرات)

---

٢٥ عَنِ الزُّهْرِيِّ صحيح البخارى ومسلم)
٢٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ سنن أبى داوود

فأين المجالس التي ليس فيها غيبة الآن؟ بل على العكس من ذلك فإن الذي ينهي عن الغيبة يجد أن الكل يسخر منه!! وكأننا نحارب كلام الله والعياذ بالله !!! لأن ما يقوله ربنا نمشي نحن عكسه !!! بل إن من يتمسك بالهدي نحاربه لكي يتركه ويصبح مثلنا !! وهذه هي المصيبة التي وقع فيها المسلمون في هذا الزمان والتي جعلت الأكوان تتخلي عنهم ....

فالدنيا كلها بما فيها ومن فيها وما فوقها وما تحتها إن كان نباتات أو حيوانات أو كواكب سيارات أو شموس وأقمار أو معادن أو خيرات في قاع البحار، خيرات يقول فيها النبي المختار صلوات ربى وسلامه عليه:

{ إن الله خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة منها في البر } [٢٧]

كل ذلك مسخر لك – متي؟ إذا نفذت الرسالة وقمت بالتكليف وكان التعريف منك لغيرك بالعمل والسلوك والخلق وليس بالقول ...

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ﴾

فبأقوالهم اقتده؟ لا وإنما ...

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ (٩٠ الأنعام)

أي أخلاقهم وسلوكياتهم وأحوالهم ..

فابني وابنك الصغير هل أذنه أكثر انتباهاً عندما يسمع لأبيه؟ أم عيناه التي تنظر لكي يقلد ويتابع أباه؟ لا شك أن العين هي التي تراك كيف تأكل فيأكل مثلك، فلو قلت يا ولد كل بيمينك وأنت تأكل بشمالك !!فما الذي يفعله؟ يفعل ما يراه بعينه، أو يقول يا ولد لا تكذب!! فيقول نعم، وعندما يطرق أحد الباب، ويسأل الصبي هل أبوك موجود؟ فيقول الأب لابنه قل له إن أبي ليس هنا!! ، إذن فالعين هي التي تقع أولاً علي الإنسان!! ولذلك أمرنا الله ﷻ أن نكون في كل حركاتنا

---

٢٧ الراوي جابر بن عبدالله الأنصاري المحدث: البيهقي، فى شعب الإيمان، والبيهقى أيضا عن عمر بن الخطاب فى مشكاة المصابيح.

وسكناتنا قدوة لنبي الإنسان ... بمن نقتدي؟ ... برسول الله، ورسول الله أدَّبه مولاه.

بذلك يكون كل واحد فينا إماماً يهدي بالله إلي الله في هذه الحياة !! .. فإذا سرت علي ذلك؟ يصبح كل شيء في الوجود علواً وسفلاً طوع أمرك :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (٦٤النساء)

• الذين يبلغون رسالات الله

ولذلك فإن الآية القرآنية التي سمعناها الليلة .. لمن؟ لنا نحن :

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (٣٩الأحزاب)

من هؤلاء يا إخواني؟

يقولون إنهم العلماء!، ومن العلماء؟ .فهذه أمة العلماء..، أليست هذه الأمة التي قال فيها سيد الأنبياء :

{ فُقَهَاءُ أُدَبَاءُ كَادُوا أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ } [٢٨]

إذاً الذين قال فيهم هذا الكلام؟ ماذا كان معهم من شهادات؟ من منهم كان معه ليسانس أو بكالوريوس؟ لا أحد !! غير أنهم مشوا علي نهج رسول الله، وهذا الخطاب للأحباب إلي يوم الدين، وهم من مشوا علي هدي سيد الأولين والآخرين.

ولذلك تجد أن في هذه الأمة أئمة يغترفون من بحور العلم الإلهية .. ولا تغيب عن عين بصيرتهم أنوار الحضرة المحمدية .. والدنيا كلها يقطعونها في قدم واحدة إذا شاءوا ..!!.. لأن الله أذن لهم بهذا في حياتهم الدنيوية

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (٣٤ الزمر)

---

٢٨ عَلْقَمَةُ بْنُ الْحَارِثِ جامع الأحاديث والمراسيل – مسند علقمة

وكان هؤلاء القوم أغلبهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون !!!

وكان منهم سيدي علي الخواص ﷺ ... ولكنه كان كأنه يغترف من البحر، وهو العلم الذي يتدفق من جوانبه وجوانحه وليس العلم اللساني وحسب ولكن العلم الكشفي!!، فكانوا إذا جاءوه بدواة فيها حبر يقول هذه الدواة سيكتب بها كذا وكذا وكذا كل حرف سيكتب منها إلي أن تنتهي، وذلك قبل الكتابة !! ... وهي وراثة لقول الله تعالى (١١٣ النساء) :

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

وغيره وغيره من الأولياء والأكابر وهم كثير لا عد لهم ..

وذلك لكي يعرفنا ربنا أن الإمامة ليس شرطاً لصاحبها أن يكون أزهرياً أو خريج جامعة، ولكن شرطها الأساسي للرجل .. أن يكون قد اقتدي بحضرة النبي وأصبح ظاهره محمدياً وباطنه أحمدياً .. فظاهره يقتدي بشرع الحبيب ﷺ، وباطنه يقتدي بباطن أنوار الحبيب ...، يقتدي به ظاهراً وباطنا ... ؛ فيفجر الله له علوم الحقائق، ويظهره علَماً هادياً في أمة سيد الأولين والآخرين.

● خيار الأئمة

وهذه الإمامة معقودة لهذه الأمة إلي يوم الدين، وهى ليست للرجال وحسب، فكم في الأمة من نساء جعلهم الله ﷻ أئمة، فكل الأمة اختارها الله لهذه المهمة.

إذن كيف يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع أنهم لا يملكون لسان البيان أو لم يحصلوا علم اللسان؟

لأنه يريدهم أن يأمروا أنفسهم – **ادع نفسك فإن استجابت فادع غيرك** – يأمر نفسه بالمعروف وينهي نفسه عن المنكر ...، فإذا فعل ذلك فإنه ليس في احتياج إلي بيان يبينه للناس .. لماذا؟ لأن البيان هنا بيان عملي، والناس في هذا الزمان وفي كل زمان في حاجة إلي البيان العملي وإلي القدوة .. فنحن نسمع من

العلم الكثير!! لكنا نريد أن نري من يعمل بهذا العلم ويكون قدوة.

فهؤلاء هم الأئمة الذين أصبح الواحد منهم قدوة يقتدي به في تعامله مع أهل بيته، مع زوجه، مع جيرانه، بل مع كل مخلوقات الله ... وقدوة يقتدي بـه في كـل حركاته وسكناته ... حتى يصل الواحد منهم إلي حال يرث فيه قول الحبيب ﷺ :

{ أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَفَوَاتِحَهُ وَخَوَاتِمَهُ }[٢٩]

فلا ينطق إلا بالكلم الجامع، فلا تخرج منه كلمة تؤذي أحداً ولا عبارة تمـرض أحداً... لأنه اقتدي بالنبي ﷺ في هذا المشهد وفي كل مشهد.

إذن عليَّ أولاً أن آمر نفسي بالمعروف، وأنهِ نفسي عن المنكر .. وإذا فعلـت ذلك فلن أحتاج إلي الكلام!!، بل إنه في هذه الحالة كلما مشيت أكون داعياً إلي الله بحالي، وهذا ما يقولون فيه:

((**حال رجل واحد في ألف رجل خير من كلام ألف رجل في رجل واحد**))

فأصحاب رسول الله ﷺ الذين نشروا هذا الدين في كل ربوع الدنيا ...:

كم كان عندهم من القنوات الفضائية؟ ومن المحطات الإذاعية؟ وكم مجلـة أسبوعية أو شهرية وكم صحيفة يومية؟ وكم مكتبة متنقلة أو دائمة؟ وكم شـريط كاسيت أو فيديو؟ أو أقراص مدمجة؟ أو مواقع نت كانوا ينشرونها ويذيعونها؟ لم يكن هناك شيء من ذلك .!!!.. وإنما كان كل واحد منهم كتاب ينطق في كل حركاتـه وسكناته وسلوكياته وتصرفاته بالحكمة والصواب، وذلك لأنه اقتدي بالنبي في كـل أحواله.

ومثل هذا الرجل من هؤلاء كان عندما يمشي يجذب القلوب بما عنده من النور الذي وهبه له علام الغيوب، وهذا هو جذب الصالحين والعارفين، فلا يجذب أحـداً منهم الناس ببيانه!!، وإنما يجذهم بحاله .. فبمجرد أن يمر علـي النـاس .. يـشدهم بالحال الذي جمَّله به رب الناس .. بدون بيان أو كلام أو غير ذلك !!!.

---

٢٩ عن أبي موسى مصنف ابن أبي شيبة –كتاب الفضائل

وهذا ما كان عليه أصحاب رسول الله، وهذه هي الدعوة التي نحتاجها في كل زمان ومكان، ونحن يا أحباب الله ورسوله الطائفة المعنية بقول خير البرية :

{ لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلى الدِّيْنِ ظَاهِرِيْنَ عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُم حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ } [٣٠]

وماذا نفعل في الدنيا وشئونها؟ ... قال لا شأن لكم!، فستكون تحت أقدامكم، وذلك لأن الله أعطاها أمراً وقال لها من بدء البدء :

{يا دنيا أخدمى من خدمني ، وأتعبى يادنيا من خدمك} [٣١]

فطالما ستكون في خدمة الله .. لا بد وأن يخدِّم لك الله كل شيء في هذه الحياة، وتلك سنة الله التي لا تتخلف ... ولكن من عنده ضعف في اليقي ويريـــد أن يختـــبر حقائق رب العالمين! .. فسيرسب في هذا الامتحان ! ولن يصل إلي رتبة التمكين.

● أهل التمكين

لكن أهل التمكين هم الواثقون بأن الله ﷻ يشمل بعنايته ورعايته الثلة المباركة التي يقول تعالى جل وعلا فيها :

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ الواقعة

فمهما اشتدت الظلم قال ﷺ :

{ طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ أُوْلَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى تَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ } [٣٢]

---

٣٠ ثوبان مولى رسول الله ﷺ ، المحدث : مسلم ، المصدر المسند الصحيح ، وفيه روايات كثيرة جداً.
٣١ الراوى سيدنا عبد الله بن مسعود ﵁ ، المحدث : الحاكم ، المصدر : معرفة علوم الحديث.
٣٢ عن ثَوْبَانَ رواه البيهقي

{إن لله ضنائن من خلقه يحييهم في عافية فإذا توفاهم توفاهم إلى جنته أولئك تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم فيها في عافية } [٣٣]

وهذا كلام ، وفى سورة النجم :

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾

وهؤلاء هم أنتم إن صدقتم وعملتم بقول الله

﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٢٣ الأحزاب)

خذ رسالة التكليف الموجودة في كلام الله في الآية واعمل بها ..

تجد فوراً أن الله ﷻ يتولاك والأكوان كلها تتسابق وتتسارع فى رضاك.. فلا تشتهي شيئاً إلا وتجده أقرب إليك من لمح البصر، وذلك لأنك مع الله، ووجهت وجهك لحضرة الله، وتابعت سيدنا رسول الله، ووظفت نفسك في ديوان أهل الله .. إماماً يقتدي به في طريق الله.

وإياك يا أخي أن تربأ بنفسك عن هذا الطريق، أو تظن أنك لست أهلاً لهذا المقام، وقد عرفت أن الله ﷻ هو الذي أجلسك فيه مع التبجيل والتعظيم والاحترام!! فلا تباعد نفسك عن هذا الخير أبداً ..

واعلم علم اليقين أن الله ﷻ لو نظر إلي قلبك ووجد فيه الصدق واليقين، فإن نظرة واحدة من رب العالمين تجعل حياتك كلها في أنوار سيد الأولين والآخرين، وتجد كل أحوالك أحوال الصالحين .. وأوقاتك أوقات المقربين، فنظرة من فضل جوده تجعل الكافر ولياً!! والشقي تقياً..!!

فما بالك إن كانت هذه النظرة لرجل من خير أمة أخرجت للناس، نظرة واحدة من الله تخلع عن قلبه كل لبس وكل هاجس وكل وسواس و تدخله في قوله:

---

٣٣ عبدالله بن عمر ، المحدث الهيثمى ، المصدر : مجمع الزوائد.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ (٤٢ الحجر)

وتجعله المعنّي بقول مولاه جلَّ في علاه :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ (٩٠الأنعام)

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢ الأنعام)

إخواني القراء الكرام !!! لقد جعلنا الله ﷻ في أعلي رتبة بين خلقه... رتبة تحسدنا عليها الملائكة ويتمني بلوغها الأنبياء السابقون والمرسلون والأولون !! فقد رغبوا جميعاً أن يكونوا أمة لمحمد وقد فزتم بهذا الفضل، وقد ورد في اخبر حكاية عن البشارة بسيدنا رسول الله ﷺ:

{ وسيأتي الذي هو أقوى مني، الذي لا أستحق أن أحل سيور حذائه؛ وقال متّى : الذى لا أستحق أن أحمل حذاءه } [٣٤]

إن موسي عندما رأي مالكم عند ربكم وتلألأت الأنوار و كشفت له لأسرار:

{ خرَّ ساجدا وقال رب اجعلني من أمة محمد فقيل له لا تدركها } [٣٥]

طلب أن يكون من هذه الأمة.

رغبوا يكونوا أمة لمحمد وبفضله فازوا بكل مراد

بل ولقد أصبحتم في رتبة تمنتها الملائكة !! وحسدوكم عليها ..

﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ .. نحن هنا يا رب !!

---

[٣٤] الكتاب : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي

[٣٥] حلية الأولياء ونعيم الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠ ﴾ (البقرة)

فأعلي رتبة في الأكون هي رتبة الإنسان الذي جعله الله من أمة النبي العدنان، بذلك أنت في أعلي رتبة !!! فلماذا إذن تهبط بنفسك إلي أسفل سافلين !!!

حتى أنك تدني نفسك عن رتبة الأنعام !!!، فإنك تهتم بما عندك من الأنعام فتوفر لها الطعام وتوفر لها الأمن وإذا أصيبت بمرض تسهر الليالي بجوارها وتبحث عن طبيب في أي مكان !! وعن دواء في أي صيدلية لتداويها !! وتهتم بكل شئونها !! وذلك لأنها توكلت علي ربها ﷻ وهي فى رتبة دون !، أما أنت ففي الرتبة الأعلى !، ومن يعلم هذه الرتبة التي يقول فيها الله:

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (المنافقون)

ولم يقل الله هنا .."ولله العزة".. "ولرسله" وإنما قال "ولرسوله" وحسب ثم أنتم أيها المؤمنون !!!، فابحث عن رتبتك !! .. ولا تجعل نفسك عبداً للبطنة، ولا عبداً للدرهم ..، ولا عبداً للزوجة..، ولا عبداً للمال والجاه .. وتترك عبوديتك لله جل في علاه !!! ، وهذه هي المصيبة التي وقع فيها إخواننا المسلمون .. فقد تركوا العبودية لله!!!!!!! وجعلوا أنفسهم عبيداً لهذه الأشياء الدانية التي حقرها الله!! وقال في شأنها حبيب الله ومصطفاه :

{ إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها } [٣٦]، **{ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ }** [٣٧]

فلماذا تبحث عنها؟ وماذا ستأخذ منها؟! كل ما عليك أن تأخذه منها هو العمل الصالح وذكر الله الرافع.

---

٣٦ الراوى موسى بن يسار ، المحدث : العراقى ، المصدر : تخريج الأحياء.
٣٧ عن مُسْهَرِ بن سَعْدٍ سنن الترمذي

الرتبة العليا

والرتبة العليا ... أن تخرج من الدنيا إماماً يباهي بك الحبيب المصطفي يوم الزحام، وتصبح يوم الموقف العظيم ولك نورٌ أقوى من نور الشمس يضئ لأهل الموقف!! قال ﷺ :

{إِذَا أَشْرَفُوا عَلى أَهْلِ الْجَنَّةِ أَضَاءَ حُسْنُهُمْ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تُضْيءِ الشَّمْسُ لأَهْلِ الدُّنْيَا } [٣٨]

فكر يا أخي في هذه الرتبة العالية لماذا تتركها؟ ما الذي يساويها في عالم الدنيا؟

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ (٣٩ الأحزاب)

من هم هؤلاء يا أخواني؟ ... هم نحن!

ومن يبلغها .. كيف يبلغها ؟ .. يبلغها بالأفعال والأخلاق والأحوال.

ورسائل الله إلى خلقه .. من الذى يؤديها لهم ويوصلها إليهم؟

ورسائل الله في كتاب الله .. هي في آيات كثيرة، كل آية منها تعتبر رسالة أرسلها الله إلي خلق الله — من الذي يؤديها؟ أنت !!! وعليك أن تؤديها بفعلك، فعندما يقول الله :

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (٣٧النور)

أين هذه التجارة .. وتلك البضاعة؟

.. لا بد وأن يكون هناك أناس موجودون يكونون نماذجاً لهذه الآيات، دهم البضاعة المعروضة ليلتف حولهم من يريد ذلك !!

---

٣٨ الحكيم وابن أبي الدُّنْيا في كتاب الإخوان وابن عساكر عن ابن مسعود ﷺ

فأنت تكون من الذين يؤدون رسالة هذه الآية الكريمة إلى خلــق الله .. إذا لم تلتفت ,وإذا لم تلهك هذه التجارة وتلك البيوع ومعها المكاسب .. إذا لم تلهك عن ذكر الله – فتكون بذلك قد أديت هذه الرسالة وأوصلتها لمن حولــك ... عمــلاً وتطبيقاً ... أم هل ستقرأ الآية وكفي؟ !!

وأعطيكم رسالة أخرى فى آية أخرى ...فعندما يقول الله ﷻ :

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ (٥٨ النساء)

هل يكون ذلك بالكلام أم بالفعل؟

الناس يجب أن تراه فعلاً في أحوالنا وفي سلوكياتنا !! وقس علــي ذلــك في الرسائل ... فى كل آيات كتاب الله جل في علاه.

إذن يا إخواني علينا أن نبلغ الرسالة بأحوالنا وأخلاقنا وسلوكياتنا بحيث يكون الواحد منا قرآناً يمشي بين الناس[٣٩] يرون فيه أخلاق القرآن، ويرون فيــه أعمــال القرآن، ويرون فيه أوصاف القرآن، ويرون فيه ما يحبه الرحمن ﷻ .

نسأل الله ﷻ أن يكرمنا...

ون يجعلنا من عباده المكرمين، وأن يوفقنا لأن نكون هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين، وأن يوفقنا للعمل الصالح والعلم الرافع، وأن يجعلنا في كل أحوالنا مخلصين، وفي كل أقوالنا صادقين، وفي كل توجهاتنا إلي الله رب العالمين على نهج النبى الأمين، وسنة سيد المرسلين ...

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم أجمعين.

[٣٩] لمن أراد المزيد فليرجع لكتابنا " كونوا قرآنا يمشى بين الناس"،طبعة يناير ٢٠٠٧، دار الإيمان والحياة.

الفَصْلُ الثالث

مَوَازِينُ السَّالكين [٤٠]

أكبر آفة يصاب بها المريد وأكبر عائق يعوقه عن السير إلي الله ﷻ ..

أن يظن أنه وصل واتصل !!

وأنه لم يعد بعد في حاجة إلي جهاد نفس! ولا إلي تكميل نفس! ولا إلي إرشاد أو توجيه! وهذه آفة الآفات التي تصيب حتى المريدين الكبار وليس الصغار !!!

وعندها يظن أنه قد تخرج من الجامعة !!! ولم يعد محتاجاً !!! ويزيد الأمر شدة إذا اعتقد أنه أصبح ملهماً !! ، وأن الإلهام يتترل عليه !! ، وأن كل ما يفعله في تصرفاته العادية إلهام .!

ومثل هذا يكون ملبسٌ عليه.

وبذلك تكون مشكلة المشاكل ؟؟؟ ولا يستطيع أحد من الصالحين أن يخرجه من ذلك !! لأنه يشعر أنه علي خير !!

وهذه المشكلة كالفيروس الذي يسكن جسد المريض ..، وهذه آفة دائماً ما يحذر الصالحون منها .... فيجب علي أي إنسان مهما بلغت رتبته، ومهما ارتفع قدره، وعلت درجته، ملاحظة أمر فى الأهمية القصوى بمكان ..:

ذلك أنه مع تكميل غيره ... لا بد أن يسعى لتكميل نفسه ممن فوقه ...، وهذه مشكلة نعانيها في طريقنا ... وفي كل الطرق – كيف؟

---

٤٠ المنيا، مغاغة، مغاغة – الأزهري – الأربعاء ٢٠٠٧/١١/٢١، ١١ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ، الدرس بمترل الحاج عبد الله عصراً

إذا وصل المريد إلي مقام يتلقى فيه مباشرة شفاهاً وعياناً من حضرة المختار ﷺ فبها ونعمت ... فهو يتكمل من رسول الله ويكمل غيره.

أما إذا لم يصل لهذه الدرجة؟؟ وهي المصيبة الكبرى التي تحدث للكل .. فعليه أن يتلقي من الأخ المقام الذي أقامه الأقوام .. ولو كان حديــداً أو حجــارة أو لا شيء فيه علي ما يظن! لأنهم إذا أقاموه أعانوه.

مثلاً: نحن كنا في فصل واحد، لكن هناك من اختارته الجامعة معيــداً وزكّتــه وجعلته دكتوراً، هنا علينا أن نلتزم بهذه التعليمات .. وننفذ هذه الأوامر .. لكــني الآن لا أتلقي من رسول الله لكي أكمل نفسي!! وفي ذات الوقت نفــسي لا تريــد نفسى أن تسلم للقائم؟؟ لأني أري في نفسي أني قائم !! وأقول لقد كنّــا في فــصل واحد !!، فمن أين يتكمل؟!

ومثل هذا كما يقول سيدنا عيسي عليه السلام:

"لا تكن كالشمعة تضئ لغيرها وهي تحترق"

فإذا ظن أي مريد حتى ولو وصل إلي مقام التجريد أنــه في غــير حاجــة إلي التكميل!!.. فليعلم علم اليقين أنه ملبس عليه ولن يبلغ آماله.

فعلي كل واحد منا أن يتلقى .. ويلقّي .. يتلقى ممن فوقه، ويلقن من دونه.

من الذي فوقه؟ .. إذا كان قد وصل إلي مقام المكاشفة والمواجهة والمــشاهدة للحبيب المختار فقد وصل.

وإذا لم يكن قد وصل لهذا المقام؟؟؟ .. فلما يسكت علي نفسه؟

وإلى ما وصل إذن؟ .. هل يحفظ كلمات يقولها !! .. أو يعلم حركتين ينفذهما أمام المريدين لكي يشيخوه؟! شيخ علي من؟!

هنا يكون المريد محتاج إلي التكميل، يكمل غيره !! وفي نفس الوقــت يكمــل نفسه .. وإذا نسي ذلك فقد ضاع !!! وأضاع !!!

ضاع ... لأنه لن يتكمل.

ويضيع غيره لأن غيره يقتدي به وهو ليس بقدوة ..!!

لماذا ؟ ... لأنه أصيب بوقف الحال !!

فلا فتح! ولا كشف! ولا إلهام! ولا مواجهات! ولا أنوار! ولا شيء مما يحدث للصالحين! أو نقرأه عنهم! ونسمعه منهم في كل وقت وحين !!!

وهذه نصيحة أنصحها لنفسي أولاً ولإخواني ثانياً.

واعلم علم اليقين قول رب العالمين للحبيب الأمين وهو إمام أهل التمكين وقد أعطاه الله علوم الأولين والآخرين:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (طـه)

يطلب الزيادة .. فلا تقف.

من وقفة حجبة والحجب نار لظى ... من فوق نار الغضا سيري لمنان[41]

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بالأحوال العالية ...

والمقامات الراقية ...

والمنازل السامية ..

وأن يجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .وحسن أولئك رفيقا .....

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

---

٤١ الغضا: الشوك.

الفَصْلُ الرَّابع

مَوَازِينُ القلوب [٤٢]

- صفات الحجر الأسعد
- حقيقة القلب النوراني
- جهاز المناعة الإيماني
- علامات القلب السليم
- حلاوة العبادة
- السياحة في الملكوت
- علامات القلب السقيم
- أطباء القلوب

---

٤٢ المنيا، مغاغة، آبا البلد، الأربعاء٢١/١١/٢٠٠٧، ١١ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ، بعد العشاء – مسجد سيدي إبراهيم الشلقامي

موازين القلوب

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين ..

يتساءل بعض الناس عن مدي حاجة الناس إلي العلماء العاملين والصالحين .. هل نحن نحتاج إليهم في هذه الدنيا وفي أي شيء؟

الحقيقة يا إخواني وباقتضاب شديد .. وبإيجاز غير مخل .. نحن في أمس الحاجة إلي الصالحين في الدنيا ويوم الدين .. لماذا؟

إن الله ﷻ قد خلق الإنسان وجعل صلاحه متوقفاً علي صلاح قلبه، وقال في ذلك المبعوث بالدين المتين ﷺ :

{ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ } [٤٣]

والخلاق العليم خلق في الإنسان أولاً روحه وفؤاده وقلبه؛ وذلك لأنها الأجزاء الحيوية التي بها تتم النشأة الكونية ويصير للإنسان بها المزية.

ثم إذا جاء دوره في الأكوان .. خلق له هذا الجسد الذي به يصنع القلب.. وتصنع الروح .. وتصنع الحقائق .. ما يريده منها حضرة الله ﷻ .

خلق الله ﷻ حقائق الإنسان التي بها الإنسان إنسان، وهي حقائق الإنسان الباطنة، ثم بين ﷻ صفاءه وصدقه وصلاحها حين واجهها بذاته العلية، وبين في آيات القرآن أن الذين يحبهم — ونحن منهم إن شاء الله — رأوا بعالم السر .. خالق السر

---

٤٣ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ صحيح مسلم

والنجوى .. وسمعوا خطابه .. وفقهوا كلامه ... وردوا عليه الجواب (١٧٢الأعراف):

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾

سمعنا وفقهنا ورددنا الجواب علي حضرة الوهاب كما نطق الكتاب.

• صفات الحجر الأسعد

هذا العهد والميثاق سجله الكريم الخلاق في لوح من الجنة، وجعله في جوف زمردة من الجنة، ولما أتم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بناء الأساس الأول للبيت:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ (الحج)

وبوَّأ .. أي كشف وأظهر، وكان البيت بعد طوفان نوح قد عفا عليه التراب وطمسه، فأظهر الله ﷻ البيت لإبراهيم — كيف؟

أرسل سحابة استقرت فوق البيت، وأمر إبراهيم أن يخطط علي ظلها جدران هذا البيت، ثم أظهر الله له الأساس بأن أرسل ريحاً حملت الأحجار والأتربة التي تراكمت علي أساس البيت .. حتى ظهر أساس البيت الذي بنته ملائكة الله في البدء.

ورفع إبراهيم الأساس، ولما ارتفع الأساس وأصبح علي ظهر الأرض .. أمره الله ﷻ أن يجعل هذه الزمردة التي أتي بها جبريل من الجنة في ركن من أركان البيت لتكون علامة يبدأ منها الطائفون حول البيت.

وقد ذهب سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يوماً إلي هذا الحجر وقبله، وأراد أن يبين ما فيه لمن حوله فقال :

{ إني أعلمُ أنكَ حجرٌ لا تَضرُّ ولا تَنفعُ، ولولا أني رأيتُ النبيَّ

ﷺيقبّلكَ ما قبّلْتُكَ } [٤٤]

فقال الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه:

{ بلى إنه يضر وينفع وإن الله لما أخذ المواثيق على بني آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى كتب ذلك في كتاب وأودعه الحجر الأسود فهو يشهد بما فيه } ٤٥

وكما قلنا فإنه ياقوتة من الجنة[٤٦] ولذلك لا تؤثر فيه حرارة الشمس، ولو ألقي في النار لا تؤثر فيه، ولا يسخن، ولا يغطس أو يغرق في الماء، إذا ألقي فيه وإنما يطفو وهي خاصية لا توجد إلا في هذا الحجر وهي علاماته ..

ولذلك عندما سرقه القرامطة من قبل[٤٧]، و ظل الحجر في حوزهم ثلاثة وعشرين سنة كما يروى، ثم ساومهم بعد ذلك الخليفة العباسي من أجل الحجر وجاءوا بالحجر، فأشار عليه من حوله أنه ربما قد جاءوا بحجر يشابهه .. فجمع العلماء، فقالوا: أن له صفات أعلمنا بها سيد السادات ﷺ ، قال ما هذه الصفات؟

قالوا لا يسخن إذا ألقي في النار!، ولا يغطس إذا ألقي في الماء!.

قال أحضروا الحجر، فاختبروه ... فعلموا أنه الحجر الذي نزل به جبريل للخليل، فقال زعيم القرامطة: .. إن ديناً بلغ به الأمر أن يضع حتى علامات للحجر فلا يستطيع أحد تغييره ولا تبديله ... لهو الدين الحق.

---

٤٤ عن عُمرَ ﷺ صحيح البخارى

٤٥ حدث به بن العربى فى عارضة الأحوذى.

٤٦ إشارة إلى قوله ﷺ :{ الْحَجَرُ الأَسْوَدُ يَاقُوتَةٌ بَيْضَاءُ مِنْ يَاقُوتِ الْجَنَّةِ } ابن خزيمة عن ابن عبَّاسٍ ﷺ. (جامع الأحاديث والمراسيل)

٤٧ دولة القرامطة كان منها على الإسلام مصائب هائلة، وكان ابتداء أمرهم سنة ٢٧٨ في خلافة المعتمد، واستمر حوالى مائة سنة،.وأول من ظهر منهم رجل قدم من خورستان إلى الكوفة ومرض بها فمرضه رجل يقال له " كرميته " لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين ، فلما شفي من مرضه سمي باسم ذلك الرجل كرميته ، ثم خُرف فقالوا قرمط ثم القرامطة، وعندما قوت شوكتهم جاءوا يوم عرفة سنة ٣١٧ والمسلمون على عرفات ولا يوجد إلا نفر قليل حول البيت الحرام فقتلوهم وارتكبوا فظائعا جمة واقتلعوا الحجر وأخذوه إلي هجر أو حضرموت ليضعوه فى بيت بنوه هناك، وقد حمله خلال هذه المسافة أربعون جملاً فكلما حمله جمل ومشي به قليلاً يموت فيأتون بآخر وهكذا حتى وصلوا الألف جمل، وقد أبتلى الله الرجل الذى تولى كبر أمرهم ويدعى أبو طاهر الخبيث بالآكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت أوصاله وطال عذابه ، ومات أشقى ميتة ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

هذا بالإضافة إلي أن هذا الحجر به كاميرا نورانية ربانية تسجل من يمر أمامه أو يشير إليه .. منذ وضع إلي يوم الدين !!!

فأين هذه الكاميرا؟ وأين هذه الأفلام؟!

وسيأتي يوم القيامة كما قال ﷺ في شأنه فى أحاديث عدة:

{ يبعث الله الحجر الأسود يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ، ولسان طلق يشهد لمن استلمه بالوفاء } [٤٨] **{ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ أُحُدٍ يَشْهَدُ لِمَنِ اسْتَلَمَهُ وَقَبَّلَهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا }** [٤٩]

وهذه عظمة من يقول للشيء كن فيكون.

وهذا الحجر به العهد والميثاق ...

وهي شهادة الضمان التي أخرجها الرحمن لعباد الرحمن ... بأن عندهم قلب سليم، وروح هفافة شفافة، وسر يطلع علي العوالم العلوية، وروح تواجه رب البرية، إذا حافظ الإنسان علي هذا الصفاء ..... وعلي هذا النقاء.

• حقيقة القلب النوراني

هذه حقيقتك ... فقد كنت في البداية مخلوقاً تسمع حضرة الله ... وتري جمال الله، ناهيك عن رؤية ملائكة الله وسماعهم والتلذذ بالحديث معهم والجلوس بينهم !! ناهيك عن سماع تسبيح الكائنات! ... لأن كل الكائنات تسبح الله بعبارات ناطقات

﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٤٤الإسراء)

---

[٤٨] المحدث أبو نعيم عن عبدالله بن عباس، المصدر : حلية ألولياء.

[٤٩] ابن خزيمة عن ابن عبَّاسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُمَا. (جامع الأحاديث والمراسيل)

من الذي لا يفقه هذا التسبيح؟ هم الجماعة الذين تركوا القلوب تصدأ :

{ إِنَّ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، قِيلَ: فَمَا جَلاَؤُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كَثْرَةُ تِلاَوَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَثْرَةُ الذكْرِ لِلّهِ ﷻ } [٥٠]

لكن أصحاب القلوب البهية المجلوة بذكر الله ﷻ علي الدوام فإن قلوبهم لا تغفل ولا تنام، ويتلذذون بسماع نغمات الكائنات وهي تسبح لله في كل الأوقات, وليس الكائنات فقط هي التي تسبح ولكن كل شيء فيك إن كان الشعر أو الأذن أو الأنف أو اليد والأرجل، كل شيء فيك يسبح خالقك وباريك ﷻ ، لكن من الذي يسمع؟ من حافظ علي الصفاء الروحاني الأول الذي سمع به حضرة الأول ﷻ ، أما من جعل في أذنه وقر إي صمم من الحظوظ والأهواء والذنوب ومخالطة أهل الدنيا وأهل الحجاب فمن أين يسمع؟! وذلك لأن الأذن غير طاهرة وغير واعية، ولكنك في الأصل علي هذه الحقيقة، ولذلك عندما يولد أي مولود يأتيه خطاب الحي القيوم {يا ابن آدم خلقتك طاهراً نظيفاً فاجتهد أن تلقاني كما خلقتك طاهراً نظيفاً} وإياك من الدنيا ومن الأهواء والحظوظ والشهوات أن تغير صفاءك ونقاءك وقلبك السليم المستقيم الذي أودعه فيك الكريم ﷻ ، وبعد أن يسمع المولود هذا الخطاب يكون ما زال في حالة الجلاء البصري وذلك قبل أن يعرف أمه وأبيه وعمه وأخوته فيري الملائكة الصاعدة والهابطة ويسمعهم ويشعر بهم، ولذلك تجد أن الطفل الصغير الذي لم يعرف من حوله بعد عندما تنظر إليه تجد أنه أحياناً يضحك وهو بذلك يضحك لمن يراهم

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فصلت)

وعندما تنزل ستارة الحس ويبدأ المولود في الشعور والإحساس بالمناظر الدنيوية فوراً يحجب عن المناظر الإلهية وعن المشاهد الملكوتية وذلك لكي يجاهد فيعود إلي

---

٥٠ عن عبد اللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ابن شاهين فِي التَّرغيب فِي الذكْر. (جامع الاحاديث والمراسيل)

المشاهدة مرة أخري، وإذا كان الجسم سليم فهو في مناعة من الأمراض، أما إذا ضعف جهاز المناعة فإن الأمراض تهاجمه علي الفور، وإذا اشتدت الأمراض يشعر الإنسان أنه متعب ولا يستطيع الحركة، ولا يستطيع أن يشعر بنكهة الطعام والشراب، وإذا اشتد المرض أكثر يفقد حاسة الذوق فإذا أكل الحلو يجده مراً وهذه المرارة من عنده هو وليست من الحلوى – ماذا نفعل في هذه الحالة لكي نصحح جسمه؟ نذهب للأطباء ليعطونا مما استنبطوه مما تنبته الأرض أو من أعشاب البحر أو من كائنات البحر ما فيه شفاء لأجساد الناس وفيها يقول سيد الناس ﷺ :

{ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الدَّاءَ والدَّوَاءَ، فَتَداوَوْا، ولا تَتَداوَوْا بِحَرامٍ }[٥١]

{ ما من داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله }[٥٢]

والداء الذي لم يكتشف دواءه بعد نقول أنه ليس له علاج – لماذا؟ لأننا لا نعرف أين العلاج، لكن العلاج موجود غير مفقود وسيكشفه الله ﷻ يوماً لأطباء الأجسام وللحكماء الذين يهتمون بصحة وأجسام الأنام.

● جهاز المناعة الإيماني

كذلك نفس الموضوع فإذا كان المؤمن علي الصراط المستقيم ويأخذ فيتامينات من كتاب الله ومقويات من سنة حبيب الله ومصطفاه ...

فإن جهاز المناعة الإيماني عنده في قلبه شديد وعتيد – هنا لا تستطيع النفس أن تضحك عليه أو تميل به إلي معصية الله وهذا ما يقول فيه حضرة الله

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (٢٠١ الأعراف)

---

[٥١] عن أم الدرداء رواه الطبراني ورجاله ثقات
[٥٢] مسند الإمام أحمد ﷺ.

ولو اجتمع حول رجل منهم شياطين الإنس وشياطين الجن علي أن يغيروه ما استطاعوا إلي ذلك سبيلاً لأن الله أمن عليه وجعله في حصانة قوله

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (٦٥ الإسراء)

أما من يقول أن الشيطان ضحك عليَ أو مال بي إلي المعصية فإنها حجج واهية ينسبها الإنسان إلي الشيطان ليخلع عن نفسه المسئولية وهذه طبيعة الإنسان

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً ﴿٥٤﴾ ﴾ (الكهف)

فلو حصن نفسه بحصون القرآن وزود المناعة بفيتامينات النبي العدنان لانتهي الأمر وصار فى حصون المنعة والمناعة الإيمانية .....

فما الذي يعطينا المناعة الإيمانية يا أحباب الله ورسوله؟

﴿حَـٰفِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ (البقرة)

ومن يحافظ علي الصلوات في وقتها في جماعة مع إخوانه المسلمين في بيت الله هو من يكون عنده مناعة قرآنية ربانية، فلا المعاصي تستطيع أن تغزوه، ولا السيئات تستطيع أن تجره، ولا الشياطين تستطيع أن توسوس له، وكذلك لا تستطيع النفس أن تزين له وذلك لأنه في وقاية الله جل في علاه.

ولنفرض أنني شعرت مع أداء الصلوات في جماعة في وقتها أن مناعتي ما زالت ضعيفة فعليَ هنا أن آخذ من السنة كقيام الليل، صلاة الضحى، النوافل، الأذكار، الاستغفار، الصلاة علي النبي المختار وأزيد في هذه الآثار لتزيد المناعة القلبية عندي وأكون محصناً بحصون

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الأنعام)

وهذا هو الخط الأول وهي المناعة، وإذا كان الإنسان سيزيد من البضاعة الإيمانية ويصبح في صحة روحانية، فكما أن لك صحة جسمانية المفروض أن يكون لك صحة روحانية يقول فيها رب البرية:

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء)

• علامات القلب السليم

ما العلامات التي أعرف بها أن قلبي سليم؟ إنها علامات كثيرة منها علامات صغيرة ومنها علامات كبيرة، ومن العلامات الصغيرة أن يكون عندي إحساس يوافق شرع رب الناس كأن أشعر في أمر ما أنه خطر وإحساسي لا يكذبني، أو أشعر بأن هذا الأمر فيه منفعة ومصلحة لي وإحساسي يصدقني – ما هذا؟

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله } [٥٣]

هنا يكون القلب واصلٌ نوره بنور الله – شبكة الكهرباء النورانية الإلهية واصلة له فلما ينظر إلي أي شيء في هذه الحياة ينظر بالمصباح الرباني الذي ركبه فيه مولاه جل فى علاه .... قال تعالى :

﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ [١٢٢ الأنعام]

هل في القبر أم هنا في الدنيا؟

﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ (١٢٢ الأنعام)

---

[٥٣] عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ سنن الترمذي

يمشي به بين الناس، ومن معه هذا النور هل تستطيع دار الغرور أو أي إنسان أو كائن فيها مغرور أن يؤثر فيه أو يبعده عن خالقه وباريه؟ لا والله يا إخواني، لكنهم يؤثروا علي من قطعت الكهرباء الربانية عن قلبه فأصبح يتخـــبط في هـــذه الأرض حيران كما قال القرآن

﴿ لَهُۥٓ أَصۡحَـٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَا ﴾ (٧١ الأنعام)

من علي الهدي يدعونه تعالي معنا فيقول لا – أريد الآخرين – ما الذي جعلـــه حيران؟ لأنه قطع التيار النوراني الرباني وواصل دنياه وآثر حظه وشـــهوته وهـــواه، فكان عقابه أن قطع النور الواصل عن قلبه من حضرة الله جل في علاه.

• حلاوة العبادة

ومن العلامات الصغيرة أيضاً التي بها يشعر الإنسان أنه في صحة روحانية أن يجد متعة ولذة لا تقدر ولا توصف عندما يؤدي أي عبادة أو طاعة لله، وهل العبـــادة لها نكهة ولذة؟ نعم :

{ ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: مَنْ كانَ اللّهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمّا سِواهُما، ومَنْ أَحَبَّ عَبداً لا يُحِبُّهُ إلاّ للّهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ في الكُفْرِ بعدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللّهُ كما يَكْرَهُ أَنْ يُلْقى في النّار } [٥٤]

ولا يشعر بحلاوة الإيمان إلا القلب والجنان وليس اللسان، ويـــشعر القلـــب بحلاوة لا تستطيع كل الأركان أن تصفها أو تنعتها.

والرجل الذي وكله سيدنا رسول الله هو ورفيق له بحراسة الجيش في احـــدي الغزوات – اثنين فقط والعدو متربص وقريب واستطلاعاته قوية، وقد اختار حضرة النبي اثنين فقط لحراسة الجيش لأن الواحد منهم بأمة – ماذا فعل الاثنين؟ قال الأول

---

[٥٤] عن أنس ﷺ صحيح البخارى ومسلم

سأحرس الجيش في النصف الأول من الليل وتنام بجواري ثم أوقظك في النصف الثاني من الليل وأنام بجوارك، فقال الثاني لو شعرت بأي خطر أوقظني علي الفور — فماذا صنع الرجل الأول؟ فوض أمره لمولاه، أتاه اليقين بأن هؤلاء الجند في حصون الله وعليه أن يشغل الوقت بمناجاة الله فأقبل علي الصلاة فوجدت فرقة من الاستطلاعات الكفرية أن الجيش كله نائم إلا من هذا الرجل، قالوا لو قتلناه لتمكنا من الجيش كله — كيف نقتله؟

دائماً الأعداء وغير المؤمنين يقذف في قلوبهم الرعب من المسلمين وهي سنة الله، فلو مسلم واحد علي يقين يواجه جيوش أعتي دولة في الوجود، فإن الله سيقذف في قلوبهم الرعب من هذا الرجل بمفرده ولا يستطيعون الإقتراب منه إلا من بعيد، ومثل هذا موجود في كل زمان ومكان لأهل الإيقان وأهل كمال الإيمان، فضربوه بالسهام فجاءه سهم في رجله فنزعه وواصل الصلاة، سهم ثاني أصابه في ظهره أيضاً نزعه وواصل الصلاة, أصابه سهم ثالث في رقبته وهو ساجد وقد أصاب السهم العرق الواصل إلي القلب فأيقظ أخاه بقدمه وأكمل الصلاة، وعندما عاتبه أخاه بعد ذلك وقال لم لم توقظني منذ إصابتك الأولي؟

قال لولا أني خشيت علي رسول الله ﷺ ومن معه ما أيقظتك، قال لماذا؟ قال لما كنت أجده من حلاوة المناجاة لله وأنا في الصلاة ولذلك كان من دعاء الصالحين "اللهم يا من نعمت النبيين والمرسلين والصالحين بنعيم مناجاتك لا تحرمنا لذة مناجاتك يا أكرم الأكرمين" هذه اللذة يا إخواني من يذوقها فياهناه فلا يستطيع شيء في الدنيا أن يقطعه أو يبعده عن حضرة مولاه "ومن ذاق عرف ومن لم يذق انحرف" وقد رأيتم أصحاب رسول الله عندما ذاقوا فمنهم من كانوا يضعون الصخر علي صدره في الظهيرة والحرارة سبعين درجة ويقولون له ارجع فيقول أحد أحد ويترنم بذكر الأحد ﷻ وغيره كثير، حتى في العذاب لم يكن هذا العذاب يجعلهم يصدون أو يبعدهم ويمنعهم عن النبي الأواب وذلك من لذة القلوب بالقرب والمناجاة لحضرة علام الغيوب ﷻ ، لذة الخشوع، لذة الحضور، لذة الأنس ومن يذق لذة الأنس بالله فياهناه.

الأنس بالله أغناني عن الناس والأنس بالله معراجي ونبراسي

والرجل الذي أنبأ عنه سيدنا رسول الله لأصحابه الكرام وقال سيأتيكم بعدي أويس القرني رجل من اليمن آمن بي ولم يرني، منعه من المجيء إليَ بـره بأمـه فـإذا رأيتموه بلغوه سلامي وسلوه أن يدعو الله ﷺ لكم – هنا يبين سـيدنا رسـول الله مكانة الأولياء – بعدها مكث سيدنا عمر سنين يحج كل عام وينادي يا أهل الـيمن هل فيكم أويس؟ يقولون لا وبعد عدة سنين بعد أن نادي علي أويس قالوا ليس فينا إلا غلام يرعى الإبل يدعي أويس، قال أين هو؟ قالوا في مكان كذا، فأشار سـيدنا عمر إلي سيدنا علي بأن لا تعرفهم أننا نريده وانسلا سوياً وذهبا إليه وسألاه أنـت أويس؟ قال نعم، ومن أنتما؟ قال أنا عمر بن الخطاب، قال أمير المؤمنين؟ قـال نعـم وهذا علي بن أبي طالب، قال ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته؟

قال نعم – قالا يا أويس أدعو الله لنا فدعا الله لهما، فقال عمر يا أويس هـل لك أن تصحبنا وتعيش معنا في المدينة فتأنس بنا ونأنس بك, قال:

{ يا أمير المؤمنين عجباً لك مَن أنس بالله كيف يأنس بسواه؟ }

وهذا هو حال الأولياء الذين أشار إليهم سيد الرسل والأنبياء ﷺ وبين منزلتهم ومكانتهم.

• السياحة في الملكوت

ومن علامات سلامة القلب الكبري أن ينام الإنسان فيرتفع قلبه إلي الملكـوت الأعلى، إلي عالم الضياء وعالم النور وعالم الجمال وعالم البهاء وإلي عوالم الملائكـة، أو إلي عوالم الجنات يدخلها ويشاهد ما أعده الله فيها للصالحين والـصالحات، أو لعـالم العرش فيري ما خطه الله فيه من نعيم لعباده أجمعين، أو لعالم اللوح ويري فيه الأقدار التي سطرها فيه الواحد القهار، إلي كل هذه العوالم العالية لترقي روحه ويصفو قلبـه فتذهب الروح وتأتي بهذه الفتوح وتشهدها للقلب وهو في حال الصفاء.

تجذب الروح الهياكل في الصفا أعلي المنازل

وهذا من علامات صفاء القلب وأن القلب سليم وأن حياة الإنسان الروحية بهية وعلية وعلي نهج خير البرية ﷺ ومن علامات أن قلبه وروحه في تمام أن يأتيه أهل الحقائق العالية والأرواح الراقية ليزوروه وفي كل ليلة يري.

قلوب العارفين لها عيون تري ما لا يراه الناظرون

وإذا اكتمل في دائرة الفتح يأتيه الإمام الأعظم والنبي الأكرم يزوره ويطمئن عليه كل ليلة في المنام ويعطيه توجيهاته وتعليماته وفتوحاته وذلك لأنه أصبح جندياً في معية حضرة ذاته صلوات ربي وتسليماته عليه، وهي علامة الصفاء والنقاء.

إذا صفا القلب من وهم وشبهات يشاهد الغيب مستوراً بآيات

يري هذه الغيوب علي الدوام وهي الدليل علي أنه أصبح صحته الروحانية سليمة وأحواله القلبية مستقيمة.

• علامات القلب السقيم

أما إذا مرض القلب النوراني الرباني وليس القلب الجسماني فالعياذ بالله ربما يفرح بعمل المعاصي، وربما يفرح بأخذ المال من حل أو من حرام وهي مصيبة هذا العصر، ومن لا يبالي إن كان قد اكتسب المال من حرام أو من حلال فإن ذلك دليل علي إن قلبه سقيم وحاله غير مستقيم لأن من حاله مستقيم وقلبه سليم عندما تمتد يده يأتيه النداء من العلى الأعلى

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ (٥٧ البقرة)

فيرجع علي الفور، وإذا كانت عينه تلحظ هذه وهاتيك ويشعر بالمتعة في النظر إلي هذه وهذه وهي ليست من المحرمات ولا من الزوجات كذلك فإن القلب سقيم ومريض وإذا كان لا يجد تأنيباً في نفسه عند أي فعل يغضب ربه فيعلم أن المرض

اشتد وزاد، لأن المرض لو كان في البداية فإن النفس اللوامة تيقظه، فحتى لو عمل الذنب فإنها تلومه وتؤنبه ويشعر بوخز في الضمير ولا يستطيع النوم ولا يستطيع أن يعمل أي عمل من الأعمال في الدنيا التي ترضي نفسه أو ترضي الأنام لأنه يشعر بوقع الذنب، لكن إذا فقد الإحساس بالذنب فقد استشري المرض ويحتاج علي الفور إلي طبيب رباني وحكيم روحاني أخذ الإذن من إمام الأطباء وسيد الحكماء ﷺ لكي يعالجه من هذا الداء بشرط أن يساعده لكي يتم الشفاء، وإذا زاد المرض والعياذ بالله وأخذ يتباهى بفعل المعاصي أني أفعل كذا وكذا وكذا فإن مثل هذا والعياذ بالله الذي أصبح كما قال الله

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ (١٠البقرة)

والأمل لمثل هذا في العلاج ضعيف لأنه وصل به الأمر أن يتباهى بعمل الذنوب ومعصية علام الغيوب ﷻ ، إذن علي كل إنسان من أهل الإيمان أن يزن نفسه بموازين القرآن، ويزن نفسه بموازين النبي العدنان وذلك لكي يحافظ علي الصحة الروحانية وعلي الأحوال القلبية التي نزل بها من عند رب البرية ﷻ لينطبق عليه قول الله وهو خارج من الدنيا

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (النحل)

• أطباء القلوب

إذن فنحن نحتاج إلي الصالحين ليعالجونا ليس من أمراض الأجسام لأن أمراض الأجسام فيها أجور لأن المريض الذي يمرض جسمه يقول الحبيب في شأنه:

{ قالَ الله تَعالى: إذا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ وَلَمْ يَشْكُنِي إلي عَوّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ أَساري ثُمّ أَبْدَلْتُهُ لَحْماً خَيْراً مِنْ لَحْمِهِ وَدَماً خَيْراً

مِنْ دَمِهِ ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ } [٥٥]

بذلك تكون أمراض الأجسام تكفير وتطهير أو رفع درجات عند الكبير ﷻ.

لكن المصيبة والكارثة في أمراض القلوب.

وقد ذكرها الله في الكافرين والجاحدين والمشركين والمنافقين وهي التي تحتاج إلي العلاج، فإذا كنت لا تشعر بالخشوع وأنت تناجي الله فلماذا تسكت علي نفسك؟! فلو فقدت لذة أي طعام لا تسكت وتبحث عن أكبر الأطباء في بلدك وإن لم يأتي بنتيجة تذهب إلي أطباء القاهرة ..

وإن لم يأتوا بنتيجة قد تسافر إلي أوربا أو أمريكا حتى لو بعت كل ما تملك من أجل أن تتمتع بالذوق السليم وتشعر بالحلو والمر والمالح، فما بالك لا تطلب لنفسك الشفاء من داء قسوة القلب، ولماذا لا تطلب لنفسك الشفاء من مرض غفلة القلب عن ذكر الله؟!

ولماذا لا تطلب لنفسك الشفاء من داء جحود نعم الله؟

يعطيك مهما يعطيك وإذا طلبت شيئاً وأخره عنك الله تشتكيه لكل الخلق، وتنسي عميم نعمه عليك، من منا الذي يستطيع أن يراجع كشوف النعم التي يعطيها له واهب النعم في نفسٍ واحد؟ ولن أقول في ساعة أو في يوم أو في شهر أو في العمر

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (النحل)

ماذا نفعل؟ نشكر:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ (إبراهيم)

وهذا هو الحاصل في زماننا ....

---

[٥٥] عن أبي هريرة المستدرك للحاكم

حيث نجد عذاب الهم والغم والأمراض والأنكاد والعناء والمشاكل التي ليس لها انتهاء وعقوق الوالدين والقسوة والفظاظة والغلظة – لماذا انتشرت؟

لأننا لا نشكر الله علي نعمه وعطاياه، ولا يريد أحد أن يشكر إلا بعد أن يأخذ كل ما يريده من الله، وقد يكون ما يريده ربما فيه حتفه وهو لا يدري فقد يكون فيه هلاك دينك والعياذ بالله، ومن الجائز أن يكون فيه ضياع إيمانك لأنك تطلب الخير المحدود الحسي ...

لكن لو أردت أن تطلب فعلاً فاطلب زيادة الإيمان واطلب حلاوة القرآن واطلب رؤية النبي العدنان واطلب أن تكون دوماً مجملاً بأحوال الصالحين في كل وقت وآن وهي الطلبات الحسان والخيرات الحسان التي أمرنا أن نطلبها الرحمن ﷻ وهي التي تتعلق بالدار الآخرة والحياة الطيبة التقية النقية بجوار الله جل في علاه.

إذن فنحن نحتاج إلي أطباء القلوب:

من أجل أن يعالجونا من هذه الأسقام والأمراض – لماذا يا أحباب؟ لأننا جميعاً مسافرين ولا يعرف أحد فينا ميعاد السفر، والمهم أن يخرج الإنسان من هنا وقد ختم الله صحائف أعماله بالإيمان ولن يتم هذا المراد إلا إذا كان مع عباد الرحمن الذين أمرنا الله بصحبتهم في القرآن

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ (التوبة)

لماذا يا رب؟ لأن هؤلاء القوم

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (يونس)

لا يخافون علي أنفسهم ولا يحزنون علي من معهم من أحبابهم وقد بشرهم الله أنهم ومن معهم سيخرجون من الدنيا علي خير ويثبتهم عند النفس الأخير

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ (٢٧ إبراهيم)

ولنفرض أني مقصر في بضاعة الطاعة فإنهم سيحملونني معهم، وفي يوم القيامة حكم الحكيم العليم رحمة بأمة هذا النبي الكريم أن يدخل أهل الجنة جماعات – لماذا؟ لكي يأخذ الناجي بيد أخيه

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (٧٣الزمر)

فلو كان واحد معهم هنا في الدنيا وقصر في الطاعات يبحثون عنه، يقول الحبيب صلوات ربى وتسليماته عليه فى الحديث الشريف:

{ إنّ أحد الأخوين في الله ﷻ إذا مات قبل صاحبه.وقيل له: ادخل الجنة سأل عن منزل أخيه، فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطي أخوه مثل منازله، قال: ولا يزال يسأل له من كذا وكذا، فيقال إنه لم يكن يعمل مثل عملك فيقول: إني كنت أعمل لي وله– أي خذ عملي واقسمه بيننا–، **قال: فيعطي جميع ما سأل له ويرفع أخوه إلى درجته معه }**[٥٦]

ويجعل الله ﷻ لكل عظيم من المؤمنين كشوف يسجل فيها من يشاء من أحبابه ليشفع لهم عند الله ولذلك قال الحبيب ﷺ :

{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الإخْوَانِ فَإنَّ لِكُل مُؤْمِنٍ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [٥٧]

فإذا وضعت في كشوف الشفاعات تضمن دخول الجنات مع الذين يقول فيهم الله في محكم الآيات

---

[٥٦] قوت القلوب لأبي طالب المكى
[٥٧] (ابن النَّجَّار) في تاريخِهِ عن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (الزخرف)

إذن من الذي سيكون في الأمان يوم لقاء الرحمن؟ المصاحب للمتقين لأهم أهل الأمان يوم لقاء الرحمن، فإن لم يدخل في شفاعة هذا فسيدخل فى شفاعة ذاك – والعمل؟ قال الحبيب : ﷺ

{ ما مِنْكُمْ أَحَدٌ يُنْجِيْهِ عَمَلُهُ»، قالوا: ولا أَنْتَ يا رسولَ الله قالَ: «ولاَ أَنَا، إلاَّ أَنْ يَتَغمَدنِي الله مِنْهُ بِرَحْمَةٍ } [٥٨]

علي من تتكل إذن؟ ... علي إخوانك الصالحين فإياك أن تسئ إليهم وإياك أن تبتعد عنهم وتهجرهم وإياك أن تخاصمهم حتى ولو جفوك فاذهب إليهم وودهم فلعلك تحشر في زمرتهم يوم الدين.

أما الصالحون يأتي الله ﷻ وينادي كما قال الحبيب :

{ أين العلماء؟ قال فيقومون فيقول الله ﷻ إني لم أضع علمي فيكم لأخزيكم اليوم انصرفوا مغفوراً لكم وادخلوا الجنة، أين الصالحون؟ فيقومون فيقول اهبطوا إلي أرض الموقف فكل من أسدي إليكم معروفاً من أجلي فخذوا بيده وأدخلوه معكم الجنة } [٥٩]

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ (مريم)

ولذلك عندما يريد واحد منهم أن يدخل يقول انتظر يا فلان بقية إخوانك لندخل مع بعض

---

٥٨ عن أبي هريرةَ سنن البيهقى الكبرى) ورواه البخاري في الصحيح عن آدمَ عن ابن أبي ذئب

٥٩ كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء)

وليس بالنبي أو الرسول ولكن "بإمامهم" ويؤمر بهم إلي الجنة، لذلك أمرنا الله أن نكون دائماً مع هؤلاء القوم ناهيك أن مجلساً ستجلس فيه معهم كمجلسنا هذا ولو لدقيقة واحدة حتى لو جئت لحاجة من واحد وقال انتظر حتى ينتهي المجلس — الملائكة التي تصور هذا المجلس وتصعد بعد انتهاء المجلس وذلك لأن الكاميرات النورانية الملكوتية تنقل هذا الحفل علي جميع الشاشات العلوية ويشاهدها أهل الملأ الأعلى ويروننا الآن "من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه"، عنه ﷺ فيما يحدث عن ربه قال :

{ مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ مِنَ النَّاسِ ذَكَرْتُهُ في مَلأٍ أَطْيَبَ مِنْهُمْ وَأَكْثَرَ } [٦٠]

{ إِنَّ للّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلاً. يَبتَغُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ. فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِساً فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ. وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِأَجْنِحَتِهِمْ. حَتَّىٰ يَمْلأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ اللّهُ ﷻ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لاَ. أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟. قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ. يَا رَبِّ قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟. قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ

[٦٠] عن أبي هريرة مصنف ابن أبي شيبة

غَفَرْتُ لَهُمْ. فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ. عَبْدٌ خَطَّاءٌ. إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ. هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ } [٦١]

أي ليس له نصيب في الشقاء..

فلا شأن له بجهنم ولا بسؤال منكر ونكير ..!!!

ولا يهمه أمر الميزان !!!

ولا أمر الصراط !!!

لأنه سيكون من أهل السعادة والحسني والزيادة.

ولذلك قال ﷺ فى الحديث الشريف والذى نرويه بمعناه:

{ جالسوا الصالحين فإن رحمة الله لا تفارقهم طرفة عين }

ولو جلسنا كما نحن هكذا وأطال الله في أعمارنا إلي يوم الدين ما استطعنا أن نذكر بعض الحوائج التي نحتاجها من الصالحين.

نسأل الله ﷻ أن يمنحنا رضاه ويتنزل لنا في قلوبنا بالسكينة والطمأنينة، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين ويمنحنا صفاء القلوب ويمنحنا صفاء الأرواح ويمنحنا التعلق بحضرة المنعم الكريم الفتاح ويجعلنا من الذين يشاهدون وجه الحبيب ﷺ مساءاً وصباحاً ويجعلنا من الذين يجنون في الدنيا الأرباح التي يحبها الفتاح ويحفظنا من المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

---

[٦١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صحيح مسلم

الفَصْلُ الخَامس

مَوَازِينُ الفتح الوهبى [٦٢]

- المثل الأعلى
- علامات صدق التقوى
- الرفيق للطريق
- الفتح الرباني
- الفرار إلي الله
- سبيل المكاشفات
- علامة السعادة
- أدب صحبة العارفين

[٦٢] مغاغة – آبا البلد – الأربعاء الموافق ٢١/١١/٢٠٠٧ – ١١ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ، الدرس بعد تناول العشاء

المثل الأعلى

كما سمعتم يا إخواني من القارئ فمن يريد أن يكون مبرَزاَ في دولة التلاوة كما يقولون لا بد وأن يبحث عن واحد من البارزين ويحذو حذوه وينــهج نهجــه إلي أن يصل إلي نهج الكرام ثم يفتح الله عليه بعد ذلك بنهج خاص به.

فإذا أراد أن يكون مغنياً بارعاً كذلك عليه أن يبحث عن مغني لــه شــهرة في هذا المجال ويحتذي حذوه إلي أن يبلغ اللياقة فيفتح الله عليه بنهج خاص به، ذلــك في كل المجالات حتى في التمثيل والكرة فمن يريد أن يكون لاعب كرة دولي يبحث لــه عن لاعب موهوب ويتخذه قدوة له لأنه يُسأل من مثلك الأعلى في الملعب؟ فيقــول فلان أو فلان – أليس كذلك؟

إذن لماذا نحن في طريق الله نريد أن نمنع المثل الأعلى الذي نجب أن نحتذيه لكي نصل إلي الله، ففي أي مجال وفي أي ميدان لا بد وأن يكون للإنسان مثل أعلى.

والمثل الأعلى عبارة عن واحد مشي في هذا الميدان واشتهر، حتى من يريد أن يصبح رجل أعمال مشهور عليه أن يبحث عن رجل ممن مشوا في هذا المجال، وكيف مشي لكي يسير علي هداه، وهكذا في أي مجال وفي أي ميدان، كذلك الطريــق إلي الله تستوجب مثل أعلى يحتذي الواحد به ويهتدي بهداه ويحاول أن يمشي علي نهجــه إلي أن يفتح عليه الفتاح بنهج خاص.

وقد يقول قائل نحن عندنا المثل الأعلى الذي اختاره الله والذي قال فيه الله

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب)

بالطبع فإن رسول الله هو المثل الأعلى للكل الــسابقين منــهم والمعاصــرين واللاحقين من بدء البدء إلي نهاية النهايات، لكن كيف أراه لأحتذي به؟! قال ﷺ:

{ صلُّوا كما رأيتُموني أُصَلّي } [٦٣]

فكيف نراه وهو يصلي؟! قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ } [٦٤]

كيف نأتي به لنأخذ عنه المناسك؟

يقول قائل إنما في الكتب – الكتب يلزمها ترجمة عملية، أريد أن أري أمامي من ترجم هذه العبادات في صورة عملية ثم حدثت له فتوحات إلهية لكي أوقن أنه يمشي علي الصواب...

فكل واحد يقتدي برسول الله، منهم من يقتدي بظاهره ويري ماذا كان يلبس ليلبس مثله، كيف كان يأكل ليأكل مثله، كيف كان يمشي ويتابعه، كيف كان ينام ويتابعه، وهناك من يتابعه في العبادات، وهناك من يتابعه في الأحوال القلبية، وهناك من يتابعه في أخلاقه الربانية، وهناك من يتابعه في أوصافه القرآنية.

وليس هناك من يستطيع أن يتابع سيدنا رسول الله في كل شيء لأنه ﷺ صورة فريدة لن يستطيع أحد في الوجود كله أن يتابعه متابعة كاملة.

وأنا أريد أن أتأسي برسول الله لكي أصل إلي الفتح وأكون من أهل الفتح الذين يفتح عليهم الله – كيف؟

• علامات صدق التقوى

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة)

وهذه علامة من العلامات أن يعلمه الله علم بدون تعلم فلم يحصله من كتاب ولا سمعه من عالم أو محدث فهو إلهام، وهذا العلم يوافق الشرع الشريف وهدي

---

[٦٣] متفق عليه.
[٦٤] عن جابر ﷺ، جامع الأحاديث والمراسيل.

المصطفي ﷺ ولا يختلف معه في صغير أو كبير، لأنه من الممكن أن يـأتي بخرافـات ويقول إنها إلهام، فالإلهام شرطه أن يوافق شرع الله.

ومن علامات التقي أيضاً أن يجعل الله له في كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ (٢الطلاق)

ويرزقه هنا معناها أن يرزقه الرزق الظاهر والباطن إن كانت الأموال أو العلوم أو الفهوم أو الأنوار أو المكاشفات أو أي شيء يخطر على البال أو لا يخطر على البال ولا يستجلبه الخيال لأنه عطاء من الواحد المتعال ﷻ ، وعطـاءات الله لا يـستطيع أحد حصرها ولا حظرها.

فإذا أردت فمن أقتدي به؟

هنا عليَ أن أبحث عن رجل اقتدي برسول الله ﷺ بشرط أن يكون قد ظهرت عليه علامات الفتح وهذا هو الدليل علي أنه رجل صادق – كيف؟

أن أجد أن الله قد رزقه الإلهام، رزقه الله الاستقامة في كل الأحوال، وأجد أن الله ﷻ أمده بجنود لا نعلمها ولا نحسبها في كل أمر وفي كل شأن، أجـد أن الله ﷻ إذا انتابه أي ضيق أو أي شدة يجعل له فيها مخرجاً يتحدث به المتحدثون ويذكرونـه ويقولون إن هذه كرامة لفلان – وكرامة أي أن الله أكرمه وفرج همه وكشف غمـه وأزال بأسه وضره..

هنا أعرف أن هذا الرجل علي الحق:

لأن الله قد فتح عليه بما فتح به علي العارفين ...

وبما فتح به علي الصحابة من الأنصار والمهاجرين وبما فتح به علي سيد الأولين والآخرين فأقتدي به.

الرفيق للطريق

هذا الرجل لا بد أن يكون موجود معي وأراه لكي أقتدي به، لا بد أن يكون حي يرزق لأن الذي انتقل إلي جوار الله لا أستطيع أن أراه وكل ما أستطيعه هـو أن أطالع سيرته وحسب، لكني أريد أن أري رجلاً أتابعه في الصلاة وأتابعـه في الأكـل والشرب وأتابعه في النوم وأتابعه في القول وأتابعه في الأخلاق.

إذن لا بد وأن يكون حي ولذلك قالوا:

"الله حي قيوم ولا يصل إليه واصل إلا بحي قائم"

حي قائم أقامه الحبيب المصطفي وجعله إماماً لأهل الصفا والوفا.

أما الأئمة السابقون فكلهم علي الرأس والعين فقد كانوا أئمة لأهـل زمـانهم وأهل عصرهم وأوانهم اقتدوا بهم واهتدوا بهم ووصلوا إلي الرشد والفلاح بـسببهم فلا يصلح أن أقتدي بهم فى هذا الزمان الذى أقام فيه رسول الله ﷺ رجـالا لهـذه المهمة ليقتدى بهم أهل هذا الزمان الذى نحن فيه.

أما إذا منَّ الله عليَّ وفتح الله عين بصيرتي وكشف الله الأستار عـن سـريرتي ورأيت هؤلاء القوم في عالم الصفاء فمن الجائز أن أستفيد منهم ببعض الفوائد، فـأي واحد منهم لم يعد يصلي لأنه غادر الدنيا وإذا صلي فإنه يصلي صلاة أخري بالروح وليست بالجسم – فكيف أقتدي به؟! إذن من أقتدي به لا بـد أن يكـون روحـاً وجسماً... موجود في الوجود لكي أقتدي به، وهو قد اقتدي بمن قبلـه ... ، ومـن قبله اقتدي بمن قبله ....، وهكذا إلي نهاية السلسلة حيث نجد أن الأول منهم اقتـدي بالحبيب الأعظم ﷺ.

وكما تعلمون فإننا جميعاً مسافرون ومن سافر اليوم وجاء إلينا هنا لكي يـأتي يبحث له عن رفيق يقول يا فلان إني مسافر اليوم إلي مكان كذا وأريـدك معـي – لماذا؟ قالوا "خذ الرفيق قبل الطريق" وإذا كان الإنسان مسافراً سفراً طويلاً فـالرفيق

هنا أوجب إذا كان مسافراً إلي القاهرة مثلاً، أما إذا كان مسافراً للحج إلي بيت الله الحرام فالرفيق هنا أوجب وأوجب ....

أما إذا كان مسافراً إلي الدار الآخرة فهو يحتاج إلي رفيق يكون معه هنا وهناك ولا يحدث بينهم عند الموت افتراق.

فالرفيق مثلاً إذا كنا مسافرين إلي القاهرة ويأتي عند محطة مغاغة ويقول اركب أنت القطار وأركب أنا الأتوبيس – فهل مثل هذا رفيق؟ أبداً فهنا تنتهي الرفقة إذ لا بد للرفيق أن يكون ملازماً لرفيقه.

وإذا كان الحبيب ﷺ قد ضرب الله ﷻ به لنا المثل الأعظم، دعاه الله ﷻ إليه وهو أدري الخلق جميعاً بالسبيل إليه والطريق الذي يوصل إليه فهو الذي يُعلم الكل ومع ذلك أرسل له رفيق ليؤنسه في الطريق وإن كان الرفيق دونه في المرتبة وأقل منه في المترلة وكان هذا الرفيق هو الأمين جبريل.

إذن لا بد يا إخواني من الرفيق قبل الطريق وذلك إن كنت أعرف الطريق، أما إذا كنت لا أعرف الطريق فأنا هنا أحتاج إلي دليل ليدلني علي الطريق.

• الفتح الرباني

أما إذا كنت أريد الفتح من عند الله فما الطريق إلي ذلك؟

يا تري هل نشتغل في العبادات قيام الليل وصيام النهار والأذكار والأوراد؟ قالوا " من دلك علي العمل فقد أتعبك" هل أبحث في الكتب؟

قالوا أن الكتب مثل الصيدلية فأنا مريض هل أستطيع أن آتي بعلاج لنفسي من كتب الأطباء؟ لا يصح إذ لا بد وأن اذهب إلي الطبيب يوقع عليَّ الكشف ويعرف ما بي من داء ويكتب لي روشتة من الصيدلية القرآنية أو من التركيبات النبوية يتحقق بها علاجي من هذه الأمراض النفسية والقلبية.

إذن لا بد من الطبيب الذي سيكشف عليَّ بأمر من الحبيب ويعطيني روشتة

أصرفها من كتاب الله ومن سنة حبيب الله ومصطفاه ﷺ

إنما القوم مســــــافرون	**ولحضرة الرحمن ظاعنون**
فاحتاجوا فيــه إلي دلـــيل	**عالم بالســـير وبالمقيل**
قد ســــلك الطريق ثم عاد	**ليخبر القوم بما اســـتفاد**

هذه هي الحكاية يا أحباب لا بد أن يكون قد سافر ثم عاد وعرف الطريق فيقول لي انتبه هنا مطب، انتبه هنا إشارة مرور، هنا العلامة حمراء، توكل علي الله العلامة هنا خضراء...

وهكذا يكون الدليل والذي سماه الحق ﷻ الخبير ...

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ (الفرقان)

ولم يقل فاسأل عنه ولكنه قال ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ خبيراً بالوصول إلي الفتح الأعظم .. والفتح يا أحباب ليس كما يظن النـــاس لأن النـــاس قـــد غـــيروا المصطلحات – يقولون فلان هذا فتح الله عليه، لماذا؟

يقولون وسع الله عليه في الدنيا، وهل الدنيا فتح؟ أو فلان هذا ربنا فتح عليـــه ورزقه المال الوفير – وهل المال فتح؟! الدنيا والمال قال فيهما سيدنا سليمان

﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾

لماذا؟

﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل)

ما الفتح إذن؟ .... أن يفتح الله لي طريق طاعته ....، أن يفتح الله لي ســـبيل الإخلاص .... ولا يفتحه إلا للخواص !!!، ومن يفتح الله له طريق الإخلاص فياهناه لأن الله جل في علاه قال:

{ الإخلاص سر من أسراري أستودعه قلب من أحب من عبادي – ليس في كتاب – لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسد } [٦٥]

أن يفتح الله ﷻ عليَّ بالصدق

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الزمر)

أن يفتح الله ﷻ عليَّ باب الذكر الذي يوصل إليه، فهناك ذكر يوصل إلي الجنة وهناك ذكر يوصل إلي الله، فالذكر الذي يوصل إلي الجنة هو الموجود في كتاب الله وفي سنة حبيب الله ومصطفاه.

أما الذكر الذي يوصل لحضرة الله فهو يأتي عطاء فوري خصوصية لمن يحبه الله من خلق الله "أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك" إذن فهناك أسماء يُعلمها للخلق، من يأخذ هذا الاسم يصل به إلي الحق – هذا الاسم في أي كتاب يوضع؟

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (المجادلة)

من الذي يكتب في القلب يا أحباب؟ ... الرحمن وحسب، يكتب له اسماً لا يطلع عليه ولا يراه أحد من خلق الله ولذلك يسمونه الاسم الأعظم وهو الأعظم عند صاحبه، فكل واحد له اسم أعظم يدخل به علي حضرة الله – مِن مَن؟ .. من الصالحين والمتقين والمجتبين والمصطفين من عباد الله الأخيار.

وهذا هو الفتح، وليس الفتح أن يفتح الله لي كنز أحصل منه علي نقود، فالفتح يجب أن يكون كنز نوراني أو كنز رباني أو كنز صمداني أو كنز قرآني، هذه هي الكنوز التي لها قيمة.

---

[٦٥] فتح البارى وشرح الزرقاني في كتاب الصوم

إذن لا بد من الدليل:

والدليل لا بد وأن يكون أستاذاً نبيل أذن له حضرة النبي ﷺ ولا يأذن له حق يعلمه علم الإجمال والتفصيل ... فيقول له عليك بالأحباب ... الذين لهم عطاء في كنوز حضرة الوهاب .... وخُذهم بالسنة والكتاب ... وأرشدهم وهذبهم حتى يصلوا إلي هذا الجناب...

هؤلاء الأحباب لكي يؤهلهم منهم من يريد الأسرار، ومنهم من يريد الأنوار، ومنهم من يريد أن يكون من الأخيار والأطهار.

لا بد أولاً أن يجهزوا أنفسهم لهذا السفر:

فمن يسافر إلي القاهرة يجهز حقيبة يأخذ فيها جلباب النوم، وقلم يكتب به، ونوتة يسجل فيها، وكل ما يحتاج إليه، ومن يسافر إلي الحج يحتاج إلي حقيبة أكبر بها كذا غيار وكذا جلباب لأنه سيمكث هناك مدة طويلة، ومن يسافر في بعثة دراسية لمدة عام مثلاً عليه أن يجهز حقيبة أكبر ويدخر مالاً أكثر يكفيه مدة العام، ومن هو مسافر إلي الدار الآخرة فماذا يحتاج؟

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (البقرة)

لا بد أن يجهز حقيبتين أو ثلاثة يملأهم بتقوى الله ... لأنه وهو خارج من الدنيا إلي الدار الآخرة فإن جمارك الآخرة لا تسمح إلا ببضاعة التقوى، فلا يسمحون لأحد بأن يأخذ جلباب صوف مثلاً معه، أو عباية يتدثر بها من زمهرير جهنم، أو يأخذ تكييف أو مروحة يروح بها عن نفسه في الموقف العظيم — كلا إنما يأخذ معه

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ (الكهف)

عليه أن يملأ الحقيبة بالباقيات الصالحات، بالأعمال الصالحة والأعمال النافعة والأعمال الرابحة التي بها يدخل جنة الله، ويتهنى في الموقف العظيم يوم لقاء الله.

وهذا للمسافر إلي الدار الآخرة فما بالكم بمن يريد السفر إلي الله، ماذا يحضر؟ وماذا يجهز؟

يا أحباب الله ورسوله من يسافر إلى الله، من أين يسافر؟

فمن يسافر إلي الدار الآخرة يبعث الله الملائكة ليعالجوا نفسه إلي أن يخرجوهـا من جسمه ويلفوها في حريرة خضراء وعطر من عطور الجنة ويأخذوها ويدخلوها في الدار الآخرة لأن الجسم ممنوع من الدخول، كل ما هنالك أننا نضعه في التـراب إلي أن يأتي يوم الدين فيبعثه الله مرة أخري، فهو لن يدخل إلا هناك ولا يـدخل الـدار الآخرة إلا النفس والروح ....

● الفرار إلي الله

من يريد أن يدخل علي الله كيف يسافر؟ وأين محطة السفر؟ وأيـن محطـة الوصول؟ .... محطة السفر منك أنت ....

مني أسافر لا من كوني الداني　　　أفردت ربي لا حور وولدان

كيف يسافر؟ يوجه وجهه نحو الله

وجهت وجهي لله العظيم ولي　　　شوق عظيم إلي فضل ورضوان

إذن عليه أن يتجه بقلبه إلي الله:

فلا يتجه القلب إلي الدنيا ولا إلي الشهوات ولا إلي الرياسة ولا إلي الحظـوظ ولا إلي الأهواء ولا إلي الملذات ولا يساكن أي شيء في هذه الدنيا لأنه يري أن الدنيا كلها فانية، وهو لا يري حتى الباقية ولكن يرجو أن يري أنوار حضرة الله ﷻ الراقية والعالية، حتى أنه لا يريد الجنة فإنه لو أراد الجنة فهو لا يريد الله لأنه يريد نعيم الجنة، لكن من يريد الله لا يكون في قلبه إلا الله فوجهته نحو الله حتى وهو مع الخلق ..

فإذا عامل أحداً فإنه يعامله لله لا يريد منه مدح ولا يخشى منه قدح ولا يريـد

منه أجر ولا يريد منه سمعة ولا يرغب في شهرة ولا يرجو إلا ما قال فيه الله فى محكم التنزيل فى الآية ٩رقم من سورة الإنسان :

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾

لا يريد شيء من أحد إلا الواحد الأحد.. وإذا فعل جميلاً فلا ينتظر أجر هــذا الجميل إلا من الله، وإذا أعرض عن جاهل فليس خوفاً منه وإنما رهبة من جنــاب الله جل في علاه لأنه لا يخشى ولا يرغب ولا يرهب إلا في حضرة الله جل في علاه، فإذا قدم طعاماً وإذا قدم خدمة للأنام وإذا عمل أي عمل لأي إنــسان في أي زمــان أو مكان لا يرجو الأجر إلا من الرحمن ...

وهذا نهج النبيين والمرسلين، فكل واحد منهم ذكر الله حكايته في القرآن ماذا قال عنه؟ كان كل واحد منهم يقول (٧٢يونس):

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾

وهذا كلام كل النبيين مع أنهم أتوا إلينا بالهداية والعنايــة والولايــة والنــور والسرور لكنهم لا يريدون شيئاً إلا مِن مَن بيده مقاليد السماوات والأرض وبيــده الخير كله وهو علي كل شيء قدير.

من الذي يستطيع أن يجاهد نفسه إلي أن يصل إلي هذا الحال؟

من يستطيع ذلك عليه أن يبشر نفسه بأنه من الرجال الذين سيكونون في معية المصطفي والصالحين والآل، أما إذا كان ما زال غير قادر علي نفسه ويحزن إذا عمل صنيع لواحد ولم يشكره عليه، أو عمل جميل لإنسان ولم يذكره بالخير لمن حوله فهــو بذلك ما زال محتاجاً لأن يربي نفسه ويجاهد نفسه لكي يكون علي قدم صــدق مــع الصالحين، وذلك لأن شرط الدخول علي حضرة الله

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥ البينة)

والإخلاص أن كل ما يقدمه صرف لله ولا يريد شيئاً من أحد، ومن يكون قلبه

لله فهو غير مشغول ظاهراً ولا باطناً إلا بحضرة الله.

أما إذا كان مشغولاً بزهرة الدنيا أو بهرجها أو بزخرفها أو أموالها أو نسائها أو وظائفها – ومشغول هنا أي مشغول بقلبه – وحريص عليها، وإذا ذهبت منه يحزن، وإذا رأي من معه هذه الأشياء يحسده عليها ويحقد عليه ويتكلم عليه ويقول لماذا فلان؟ هنا يعلم أنه مثل الأرض الصحراء التي يلزمها الاستصلاح من جديد لأنه يلزمه أن يلين حديد طبعه – لماذا؟ قال ﷺ:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يعْنِيهِ } [٦٦]

وانتبهوا للحديث فلم يقل من حسن إيمان المرء – إنه ما زال في مقام الإسلام ومن في مقام الإسلام ويريد أن يكون علي خير عليه أن يترك ما لا يعنيه، فلا يقول مثلاً يا فلان من أين أتيت بهذه الساعة وبكم؟ ولا يقول من أين أتيت بهذه النظارة؟ هل تنظر إلي الساعة والنظارة أم تنظر لله؟!

• سبيل المكاشفات

فمن يريد الله يجب أن يكون كما قال الله

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (١١٥البقرة)

لا يري إلا وجه مولاه جل في علاه لأنه غض عين الحس لتشرق عين القلب، وعين القلب هي التي تري هذه الحقائق العالية وهذه الأنوار الراقية...

وكلما كانت عين الحس مفتوحة فلن تري إلا المحسوسات، وإذا أردت أن تري الغيبيات فعليك أن تغض عين البصر ....

غض عين الحس واشهد بالضمير تشهدن يا صبُّ أنوار القدير

---

[٦٦] عن أبي هُرَيْرَةَ سنن الترمذي

وإذا أردت أن تتكلم مع ملائكة الله وهذا نوع من أنواع الفتح (٣٠ فصلت) :

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ ﴾

وكذلك تسمع حديث الكائنات وتكلم الجمادات وتخاطب جميع الحقائق العاليات والسفليات... إن أردت ذلك فيجب أن يصمت لسانك عن الحديث مع الأنام إلا في الضرورات وللضرورات أحكام.

لكن إذا كان لسانك لا يتعب من الكلام مع هذا وذاك وأنت بذلك تشوش صحفك فمن الذي يكتب فيها بعد ذلك؟!

فشرائط التسجيل التي أعطاها لك العلي الكبير لكي تسجل عليهم أحاديث البشير النذير وتسجل عليهم أحاديث الملأ الأعلى وعالم الطهر والصفاء ملأهم بتسجيلات من عالم الجفاء – فعلي أي شيء تسجل بعد ذلك؟

لأنك عندما تصلي لله أو تجلس مع نفسك تناجي الله تجد أن التسجيل الداخلي الخاص بك اشتغل وتأتيك الأحاديث التي شغلت نفسك بها في هذه الحياة !!! فأين تجد الصفاء؟ وأين تشعر بالنقاء؟

قد تقول ومن أين آتي بذلك والشيخ يتركني؟

وماذا يفعل لك الشيخ؟!

هل أمسكت عليك لسانك؟ هل غضضت طرفك وعينك؟ .. هل غلقت أذنك عن الأحاديث اللاغية لكي تفتح الآذان الواعية؟

من الذي سيجاهد لك؟ لا بد أن تجاهد بنفسك لكي تشاهد، وإلا لو وصلت لهذا الفضل بدون جهاد لاستحقه كل العباد لأنهم سيقولون لماذا فلان؟ إذ لا بد وأن يكون لك دور

﴿وَجَٰهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨ الحج)

• علامة السعادة

ولذلك فإن لنا علامة – متي نعرف أن هذا المريد سيدخل في فـــوج الـــسعادة ويسافر مع أهل الحسني والزيادة؟

إذا نظرنا إليه فوجدناه غير مشغول البال إلا بالواحد المتعال، ويكره الكلام مع الأنام، كما يحب الأنام الثرثرة وأصناف الكلام ..، وعندما يتكلم معه أحد يكـــون متضايق لأنه سيشغله عن الله .. فهو يريد أن يتكلم مع الله وأمام ناظريه قول الله

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١١٤النساء)

إذا كانت آذانه تبغض الغيبة والنميمة والسب والشتم واللعن وأي أحاديـــث جافية أو أي كلمات لاغية ... وتتلذذ بكلمات القرآن الغالية والعاليـــة ..، ويريـــد دوماً سماع كلام الله أو يسمع حديث رسول الله ...

فهي علامات واضحة لا فصال فيها، ونحن نضيع العمر في القيل والقال مـــع قول الحبيب المصطفي أن الله تعالى :

{ يَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ } [٦٧]

متي إذن نكون من الرجال؟

وهناك رجل من الرجال كان يعد ما تحدثت به شفتاه ولسانه في اليوم فيجدها بضع كلمات فيعرضها علي الأحكام ليري إن كانت في الضرورات أم في المحظورات .. كلمات معدودات ....، لكن من فينا يستطيع أن يعد الكلام الذي تحدث بـــه في مجلس واحد مع واحد؟

---

[٦٧] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ : «إِنَّ اللّهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلاَثاً وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثاً فَيَرْضَىٰ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ. وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».(صحيح مسلم)

لا يوجد !!! فقد فتحت العيار علي الآخر ...، ومع ذلك تريد أن تكون مع الصالحين وتقول لماذا الصالحون لا يعطوني المواهب؟ ولم يفتحوا لي الباب وكيف لم تأتيني الفتوحات؟ كيف تأتي هذه الفتوحات والحبيب يقول في علامة الفتح:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْداً فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ } [٦٨]

لماذا؟

قال في هذه الساعات تتولد الحكمة "فإنه يلقن الحكمة"، إذن يأتي الفتح عند الصمت، صمت العين عن النظر، وصمت الأذن عن السماع، وصمت اللسان عن الكلام، وصمت القلب عن الخواطر المردية، وصمت النفس عن الأهواء الإبليسية.

فإذا صمتت هذه الجوارح صالت الروح صولتها فجاء الفتح من الفتاح ﷻ، لكنك مع الأسف تريد الاثنين مع بعضهما

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ (٤ الأحزاب)

قد يقول قائل أريد.أن أعيش في الدنيا مستور ولا أذل نفسي لأحد في دار الغرور – إن ما قلناه هو الطريق لذلك، فإذا أقبلت علي مولاك تولاك وإذا تولاك مولاك فإن الدنيا كلها بمن فيها تصير تحت قدميك، لكنك تتعب وتجري وتنهب وتشاكل هذا وتحارب هذا وتمكر بهذا وتناور هذا وتذهب للمحامي فلان ومع ذلك لا تطول شيئاً..............

{ يا ابن آدم تركض في الدنيا ركض الوحوش في البرية ولا ينالك إلا ما كتب لك }

فلن تأخذ في النهاية إلا المكتوب، لكن إذا أردت من الموهوب فعليك أن تسلم نفسك وكلك لعلام الغيوب ﷻ لتكون داخلاً في :

---

[٦٨] (هـ حل هب) عن أَبِي خلاد (حل هب) عن أَبِي هريرةَ رضيَ اللّهُ عنهُما

﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ (الأعراف)

لكنك تشغل نفسك، حتى لو ذهبت عند حضرة الشيخ بما حوله من مظـاهر، علي ماذا يجلس؟ ماذا يأكل؟ ماذا يشرب؟ ماذا يقول لفلان؟ وإذا تكلم مع واحـد تريد أن تتصنت لتسمع ما يقول !!! فإن كنت علي هذه الشاكلة فما شأنك بأحوال الشيخ العالية وأوصافه الراقية !!!

هل تتصنت علي وجيب قلبه؟! وكيف يخاطب ربه بقلبه؟!!! هل سألت نفسك كيف تخلص من هواه وأصبح كله في ذات الله لتمشي علي هواه فتنال المنى كما نال مناه؟! لكنك شاغل نفسك كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ

لا تشتغل بأمور لست تدركها .....

ماذا أفعل إذن؟

.......وبعه نفسك والأموال يعطيك

أما أنت فتشغل نفسك بالأمور الدنيوية التي ليس لها أي قيمة عند الصالحين.

وإذا رأيت أحد من الصالحين أفاء الله عليه في نهايته تنظر إليه مـع أنـه غـير مشغول بهذه الأشياء، لكنك كما قلت مشغول بالأشياء التي فتحها عليه الفتاح لأنه أراح نفسه من هذه الأمور وتريد أن تعيش فيها، بذلك لن تصل إلي شيء.

● أدب صحبة العارفين

إذن لا بد للإنسان أن يعود نفسه علي:

- الاتجاه بالكلية لرب البرية.
- وألا ينشغل بالأشياء الظاهرية.
- ويعود لسانه علي قلة النطق.

- ويعود أذنه علي جودة السماع والترتيل العظيم لكتاب الله، فذلك هو الذي تفرح به وهو له إيقاع.
- ويصحب الصادقين ليتهذب بأوصافهم وينظر إلي أخلاقهم التي بها وصلوا إلي ربهم، ولا يكون كدورة عليهم يدخل عليهم ومعه أوصاف الشياطين وأوصاف الخاسرين فيبوء بغضب الله في الدنيا وسخطه وبعده يوم الدين، وذلك بأن يدخل بالغيبة والنميمة وفلان قال وفلان قال، وهذه الحضرات من روضات الجنة فلماذا تدخل بهذا الكلام؟! وأنت بذلك كإبليس عندما دخل لآدم لكي يخرجه من الجنة والصالحون لا شأن لهم بهذا الكلام، فعلي الأقل إن لم تكن مثلهم فتره بساطهم أن تكون فيه هذه الأشياء الدانية وهذه الأوصاف الخسيسة من بضاعة الشياطين، تذهب لتشغلهم بحكايات وروايات وفلان قال كذا وفلان قال كذا، أما سمعت قول الصالحين:

{إذا جالست العالم فأمسك لسانك ليرد عليك من علومه، وإذا جالست العارف فأمسك قلبك ولسانك ليرد عليك من عوارفه ولطائفه }

اللسان يأتيك بالعوارف والقلب يأتيك باللطائف – لكنك تذهب وأنت الذي تريد الكلام فماذا يقول لك عندما يراك في هذا الخبال وفى هذا الزوغان؟!

فماذا يفعل لك أو يملك لك وأنت الذي تريد ذلك؟! لذلك كانت مجالس الحبيب ومثلها مجالس الصالحين يقولون كانوا فيها كأن على رؤسهم الطير فلا كلمة والكل مشغول بالله.

فعندما يذهب الرجل لرياض العارفين ماذا يفعل؟

يصلى بقلبه صلاة استسقاء لمولاه ليتنزل على قلب العارف له من غيوث المواهب الإلهية وأمطار العلوم الربانية ما يجعله يفيضه على صدره وقلبه فيمتلئ بهذه العلوم الوهبية، ولذلك لو ذهبت إلى رجل من العارفين وجالسته ثم خرجت من عنده

ولم تسمع منه قبساً من العلوم المكنونة فاعلم أنك لم تؤهل نفسك لهذا المقام وحرمت نفسك من بلوغ هذا المرام – لماذا؟

لأنك ذهبت ومعك الدنيا وتقول فلان فعل كذا وفلان قال كذا ولا شأن لـه بهذا ولو شاء أن يعلم ذلك لأعلمه الله بذلك ، فلو أراد رجل من الصالحين أن يعرف أسرار رجل من الحاضرين أو الغائبين يستدعى الملكين الذين معه ويطلب منـهما أن يحدثانه بما يعرفونه عن هذا الرجل، فلماذا يسألك أنت أو غيرك؟ .. لكنهم في شغل شاغل بالله ولا يهتمون بمثل هذا.

ولذلك كان الإمام أبو العزائم ﷺ يؤدب أولاده فيقول اللهم لا تجعلني حجاباً لأوليائك أي إياك أن تذهب لتعطل الولي وتشغله عن الله، فإما تذهب لتستمطر فضل الله وعطايا الله التي تتزل على قلبه وتحصلها وإما أن تخرج.

فإن جلست فأمسك قلبك ولسانك ولا تتحدث عن فلان الذي يحـسدك أو تقول أن فلان يحقد عليَّ أو كذا وكذا ... ما للشيخ وهذه الشواغل البالية والفانيـة والتى لا يهتم بها ولا صبيان الصالحين لأن صبيان الصالحين طمعاً في فضل الله يهتمون بخدمة الصالحين فهم يشغلون أنفسهم فى حضرتهم بذلك فمنهم من يعد الطعام ومنهم من يقدم الزاد ومنهم من يخدم الأحباب ومنهم من ينظف المكان ومنهم ومنـهم ... طمعاً في فضل الله لأن من عاون الصالحين ملأ الله قلبه إيمانا وحكمة.

لكن تقول لى سنين طويلة وأنا أصحب الصالحين وأذهب إليهم ولم أرى شـيئاً من الفتح، أنت ذهبت إليهم لا لتعاونهم ولا لتتركهم فكيف يأتى لك الفتح؟ ولمـن يأتى الفتح؟ أللأشباح أم للقلوب والأرواح؟ ... وأنت إلى هذه اللحظة لم تهـتم إلا بطلبات عالم الأشباح فما الفتح الذي سيأتيك؟

أفيقوا يا إخوانى .... !!!! ..

واعلموا أن المطلوب عظيم والعمر قصير، وأنفاسك نفائس، وكل نفس إما أن يرفعك عند الله وإما أن تهوى به إذا قضيته في غفلة في هاوية البعـد عـن الله ﷻ ، اجعل أنفاسك كلها فى رضاه واجعل أوقاتك كلها في طاعة الله ولا تشغل البـال إلا

بحضرة الله واعلم أنك إذا كنت كذلك فكل ما تتمناه يقضيه لك الله بلا طلب ولا سؤال لأن هذه عادة الله ﷻ مع الصالحين:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [٣٤ الزمر]

لكن متى يأخذون هذا العطاء؟ وما الذي يشاءونه؟

يريدون الفتح، يريدون القرب، يريدون الأنس، يريدون اللطف فيعطيهم الله المشيئة، لكن يريدون الحسابات في البنوك أو أسهما في البورصة أو عمارات وعقارات!!! هل سيعطيهم الله؟

إذا أعطاهم الله ذلك إذن سيستدرجهم لأنه لما أعطى هذه الأشياء للكافرين بل وصاروا فيها أكثر من المسلمين أنبأنا سبحانه وتعالى عن هذا الحال بالحكمة العالية فقال تعالى:

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [القلم]

حتى نعرف أن هذا استدراج يا أحباب وليس رضا من الله ﷻ ، فإذا فتح لك هذا الباب فإياك أن تظن أنه علاقة رضا من الله وتقول أن الله قد رضي عني أو أن ربنا رضي عليَّ وكسبت هذا العام عشرة آلاف جنيه وهل هذا رضا؟

الرضا الحقيقي إذا وفقك لإنفاقها فيما يرضى الله وجعلك تحصله من حلال يوافق عليه شرع الله، وهذا هو الرضا ويا بشراك ويا هناك .. لكن إذا كان المال من حرام قال الحبيب ﷺ فى معنى الحديث المعلوم:

{ إذا أبغض الله عبداً رزقه من حرام فإذا اشتد غضبه عليه بارك له فيه }

وذلك لكي يطغيه وينسيه ولكي لا يرجع إلي خالقه وباريه ولا يتوب من الحال الذي هو فيه، وربما يكون من السفاهة إلي درجة أنه يتعالي علي العارفين والصالحين الذين حوله ويقول ماذا فعلتم بصلاتكم؟ لقد أعطاني الله كذا وكذا، وهذا من الغفلة والعياذ بالله ﷻ .

لكن المؤمن العاقل الكيس الفطن هو الذي يسافر إلي

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (٥٠الذاريات)

مولاه فلا يشغل البال إلا بحضرة الله ولا يقطع الوقت إلا في رضاه لان أي وقت تقطعه في غير رضا الله سيصير لك مقتاً وأسفاً وحزناً وهماً وغماً يوم تلقاه جل في علاه، وستقول كما قال الله

﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ (٥٦الزمر)

إذن لماذا يتركنا العارفون في مثل هذه الأشياء؟ لأن العارفين قلوبهم معلقة بالله ولا يشتغلون بمن حولهم، وتقول السيدة رابعة العدوية في شأنهم:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للخليل مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وهم كذلك يمشون علي نهج سيدنا رسول الله يقولون كان :ﷺ

إذا ذكر قوم الدنيا ذكرها معهم، وإذا ذكروا الآخرة تناولها معهم، وذلك لأنه يريد أن يقرب الناس إلي الله ويطمع أن تفيق في يوم وتتقرب إلي الله وينصلح حالك مع الله جل في علاه، وهذا ما يجعله صابراً علي الجفاء الذي أنت فيه لكي لا يقطعك عن الله جل في علاه.

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بجمال محابه ومراضيه، و أن يصلحنا ظاهراً وباطناً للورود عليه وأن يجعلنا من أهل تمام الإقبال علي حضرته، وأن يجعلنا من أهل المزيد، ويرزقنا بكمل الأولياء والصالحين الذين يأخذون بأيدينا إلي كنوز فضل الحميد المجيد، ولا يشغلنا بالدنيا وأهلها طرفة عين ولا أقل.

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

الفصل السادس

موازين أهل القرب[٦٩]

- الرجال العدول
- الإصلاح بالصلاح
- مجالس الصالحين
- الدين النصيحة

[٦٩] مغاغة – آبا البلد – الأربعاء الموافق ٢١/١١/٢٠٠٧ – ١١ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ، درس السهرة الثاني

• موازين أهل القرب

موازين أهل القرب التي يزنون بها أحوالهم :

أهم مع الحق علي أنفسهم وأهليهم وذويهم وأحبابهم لا يميلون مع قريب لقرابته إلا إذا كان معه الحق واضحاً جلياً، ولا يحكمون لأخ لأخوته في الطريق وإن كان ضالاً وبعيداً عن أهل التحقيق لأنهم رجال الحق ولا يظهرون إلا الحق.

قيل للإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه وهو إمام أهل الصفة بعد الحبيب ﷺ :

{ يا أمير المؤمنين نري الرجل يحبك أكثر من نفسه وماله وولده، والرجل الآخر يبغضك بغضاً لا يقف أمامه شيء وتحكم له علي محبيك، فقال ﷺ ليس ذلك لي وإنما لله ﷻ }

فنحن خلفاء الله في الأرض نقيم الحق، فإذا كنا لن نقيم الحق فمن إذن الذي يقيم الحق، فإذا كنا سنمالئ هذا إذا كان أخي في نسبي، أو أظاهر هذا لأنه من عصبي، مع أنني أعلم علم اليقين أن الحق ليس معه، إذن فقد ضاع الدين.

وهذا هو المحك الأول:

فإذا رأيت نفسك تقول الحق ولو كان مراً ولو كان علي نفسك، ولا ترضي بغير الحق بديلاً فأبشر واعلم أنك ستكون يوماً من رجالات الله الذين يحملهم بنفسه وبذاته سيدنا رسول الله.

لكن إذا رأيت أن الحياء يلجمك من أخيك عن قول الحق، ويجعلك الحياء من قريبك تزوغ حتى لا تقول الحق، فاعلم أنك ما زلت تحتاج إلي جهاد كبير لتكون من أهل معية البشير النذير ﷺ.

فسيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه قد نزلت في شأنه آيات كثيرة من كتاب الله، والآية التي نحفظها كلنا فقد كان يتكلم مع أبيه وكان لم يؤمن فنطق أبوه بألفاظ فيها

إساءة بالغة إلي حضرة النبي فما كان من سيدنا أبي بكر إلا أنه لم يتمالك نفسه وصكه علي وجهه، وبعدها حزن لذلك .. وذهب إلي رسول الله فقال ﷺ أو فعلتـها – لمَ فعلت ذلك؟ ، فنزل قول الله :

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (٢٢المجادلة)

وقد نزل كلام الله بسبب هذه الواقعة، فلم يقبل أبو بكر أن يخوض أبـوه في رسول الله ﷺ ونزل كلام الله تأييداً لفعله ومدحاً له.

وقد رأي سيدنا أبو عبيدة بن الجراح ﷺ أباه في غزوة بدر يقصده ويريـد أن يضربه وكلما زاغ منه وحاد عنه، وجده يبحث عنه فخاف أن يقتله مسلم فيحـدث في نفسه شيء منه، فما كان منه إلا أن أمسك بالسيف وقتله، وعندما سئله رسـول الله ﷺ لمَ قتلته وهو أبوك؟ قال:

{ يا رسول الله خفت أن يقتله رجل مسلم فيوغر صدري من مسلم بسبب كافر لا يؤمن بالله }

وكلهم كانوا علي هذه الشاكلة، وهذه النماذج لو استرسلنا فيها وجلسنا إلي الصباح فلن نوفيها حقها وهؤلاء هم من قال فيهم حضرة الله

﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾

ما هذا؟

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ (٥٤المائدة)

• الرجال العدول

من هم الرجال العدول الذين قال سيدنا رسول الله أنهم سيشهدون علي الأمم يوم القيامة وأتى بذلك كتاب الله؟

هم الذين يتصفون بهذه النعوت والأوصاف، لا يجـاملون في الله ولا يميلــون لأحد إلا إذا كان معه الحق الذي يؤيده كتاب الله ولو حق علي نفسه.

هل نستطيع أن نتخلق بهذا الخلق الكريم؟ .. من يستطيع عليه أن يستبشر أنه من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

لكن إذا زاغ من الحق أو راغ من الحق من أجل أبيه أو أخيه أو أخته أو قريبه أو جاره فإن ذلك هو الذي أضاع الدين في بلاد المسلمين وقد ورد فى الأثر :

{ لعن الله قوماً أضاعوا الحق بينهم }

وقال ﷺ فى معنى الحديث الشريف :

{ أمر الله جبريل أن يذهب إلي قرية من بني إسرائيل فيقلب عاليها سافلها، فقال يارب إن فيها سبعين ألفاً من الصالحين، قال فبهم فابدأ، قال ولمَ يارب؟ قال كان الرجل منهم يري الرجل علي غير الحق فلا ينهاه ولا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه }

وهذه هي المصيبة التي وصلت إلي الأمة الآن فجاءت الغمة التي نحن فيها.

ولن تكشف هذه الغمة إلا بعد أن يقول كل واحد فينا الحق ويتحرى الصدق في كل موقف يتعرض له، ومن يتعرض لموقف الآن في أي مكان أو زمان في بلادنا إن كان في الشارع أو في العمل أو في السوق – من الذي يشهد معه مـن الـذين رأوا الواقعة؟ لا يجد من يشهد معه !!!!

بل على العكس! نجدهم يذهبون لصاحب الحق ويؤكدون عليه ألا يستشهد بهم لأنهم سيقولون لم نرَ شيئاً، وهذه هي المصيبة العظمي في هذا الزمان.

والمصيبة الأعظم أن أهل الفجور يأتون بشهود زور ويقيمون الحجة علي المؤمنين الشرفاء الذين يخشون الله ﷻ ، ولا يجد الرجل الذي يخشى الله من يؤيده، ويقيم الفاجر القضية ويكسبها بشهود الزور !!!!

وهذه ليست أحوال أهل الإيمان لأن أحوال أهل الإيمان الذين رباهم النبي العدنان ﷺ هي شهادة الحق وقول الصدق ولو علي نفسه.

• الإصلاح بالصلاح

فما الذي يصلح أحوال بلادنا؟ هل لو تفجر فيها البترول مثلاً؟ لا، هل لو صارت كلها كنوز ذهب؟ لا !! هل لو زرعنا كل الصحاري وأتت كل سنبلة بسبع سنابل وفي كل سنبلة مائة حبة؟ أبداً !!

ولو أن بلادنا كلها تحتوي علي البترول والذهب في باطنها وفوق أرضها خيرات وزراعات وصناعات ولم يتغير سلوك أهلها ليصبح علي شرع الله وسنة حبيب الله ومصطفاه فلن تنفع هذه الخيرات ولن تحقق لنا أي مبرات – لماذا؟

لأنهم سيأتون علي كنوز الذهب ويسرقونها ثم البترول وينهبونه فأين إذن الصلاح والإصلاح؟! وكانت هذه مهمة سيدنا رسول الله لأنه كان يقول أن أساس الإصلاح هو إصلاح الأفراد، فلو صلح الأفراد لصلح المجتمع كله.

كيف كان يصلح الأفراد؟ كان يربيهم علي الأخلاق القرآنية وعلي الأوصاف المحمدية، وإذا تربوا علي ذلك فابشر بالخير، والمدارس الوحيدة في الوجود التي تربي على ذلك هي مدارس الصالحين، فعندما تأتي العدوى لربوعهم فقد ضاع الدين .

ولذلك نقول يا أحبابنا إن الذي منا هو من يتمسك بتعاليم ديننا وليس من يحضر معنا ويأكل ويشرب معنا ويسافر معنا ويزورنا ويذهب معنا ويجئ بل الذي

يسير علي نهج نبينا، والذي يقتدي بأصحابه الكرام في الأخلاق والمعاملات والعمل بهذه التشريعات، أما الذي سيأكل معنا عشرات السنين ويمشي علي حظه وهواه ولم يعمل بما استوجبه شرع الله فهو معنا بجسمه وحسب وليس معنا بروحه وقلبه، فنأتي يوم الدين ونقول له هذا فراق بيننا وبينك، وذلك لأننا في الدنيا مأمورين بالستر أما الآخرة فليس بها إلا الوضوح.

إذن من الذي منا؟ من هو مثلنا في الأخلاق والقيم والسلوكيات، ومن هو علي شاكلة سيدنا رسول الله وأصحابه والصالحين من عباد الله.

هذا الكلام أريد منكم أن تحفظوه وتعرفوه وتبلغوه لأنه عند حدوث أي مشكلة يأتيني واحد ويقول أليس هذا الرجل منكم – فلماذا يفعل كذا وكذا؟ ولماذا ظلم أخته وأخذ حقها؟ ولماذا ظلم أخيه وأخذ حقه؟ لماذا يغش في البيع والكيل والميزان؟ لماذا يأكل الحرام؟ وغير ذلك كثير –فماذا أفعل؟

ومثل هذا ليس مني !! لأني لا أستطيع أن أقول لأي أحد من الجالسين معي الآن أخرج، وكذلك لا أستطيع أن أوقف جماعة علي الباب وأقول هذا يدخل وهذا لا يدخل ....، وقد كان سيدنا رسول الله بذاته يجلس معه المنافقون.

وقد ذهب سيدنا عبد الله بن عبد الله بن أبي لرسول الله وكان أبوه زعيم المنافقين وقال يا رسول الله ائذن لي في أن أقتل أبي حتى لا يقتله رجل مسلم وربما لا أستطيع أن أتمالك نفسي وأقتله فأقتل مسلماً بكافر فقال ﷺ... أتريد أن يقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

• مجالس الصالحين

إذن فإن الذي منا هو الذي مثلنا ويمشي علي نهجنا وعلي نهج رسول الله وعلي كتاب الله، ويجب أن نهتم بذلك لأنه يحدث في كل زمان ومكان فقد يأتي واحد ويجلس مع الأحباب في بلدة كهذه البلدة، ويتصرف تصرفاً غير لائق فيجئ من يقول تعالَ يافلان ألا يحضر معكم هذا الرجل!!، إذن كيف يفعل كذا وكذا؟

ماذا أفعل أنا، وهل هناك من يستطيع حتي أن يسيطر علي سلوك ابنه؟! إنه يجلس معي وبعد أن يخرج يمشي علي هواه، ومن أكون مسئولاً عنه هو من يمشي معي كما أريد وحسب، وأنا أريد كما يريد حضرة النبي، وحضرة النبي يريد كما يريد كتاب الله، ومثل هذا يكون منا وأكون مسئولاً عنه.

لكن من يمشي علي هواه لا استطيع أن أقفل أمامه الطريق، فعندما يجلس معي مثل هذا فأنا متعشم أن يتوب ... إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد غد ... فهل أسد الطريق أمامه؟ لا! ولو كنا لن نصحب إلا أشباه الملائكة فمن نصاحب؟ ومن هو الذي في الدنيا ويشبه الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، إذن فنحن نصاحب كل الناس لكي نصححهم.

وبالمثال يتضح المقال: من الذي يذهب لعيادة الطبيب هل المريض أم السليم؟

طبعاً المريض، هل نقول للطبيب لماذا جاءك هذا المريض؟

أبداً لأنه لماذا يفتح هذه العيادة؟ ولمن؟! كذلك روضات الصالحين فهي مفتوحة لمرضي النفوس لكي يصلحوا نفوسهم ولكي يعدلوا سلوكهم وقد يشفي مرض الجسم في أسبوع أو في شهر، لكن أحياناً نجد واحداً منا يعاني من عيب في نفسه وإصلاحه يستغرق سنين، مثلاً واحد سريع الغضب لكي يصبح حليماً كم دورة تربوية يحتاجها؟ دورات كثيرة !!، آخر تعود لسانه علي الفلتان وعلي الكلام الذي لا يسر الآذان لكي يعود لسانه علي الكلام الجميل النبيل كم دورة تربوية يحتاجها؟ يلزمه دورات كثيرة وسنين طويلة !!، وقد يحدث في هذه السنين وهو يتدرب أن يهفو هفوة أو يخطئ فنتحمله لأنه ما زال في مرحلة التدريب والتمرين وهكذا !!!

ولذلك فإن روضات الصالحين عبارة عن عيادات لتطبيب السالكين.

إذن من يؤاخذ الصالحين بالمرضي الذين لم يتم شفاؤهم من المريدين فقد أخطأ القصد، لأنهم ما زالوا مرضي يتعالجون فماذا أفعل فيه؟

وعندما تتم جرعات العلاج عليك أن تحكم عليه بعد ذلك.

الدين النصيحة

وهذا ما يجب أن ننتبه إليه فلا نحاسب الصالحين علي أخطاء المريـــدين إلا إذا كان الرجل الصالح هو من قال له افعل كذا وهذا لن يحدث أبداً.

إذا فالأمر الجامع هو:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ (المدثر)

وكل ما هو مطلوب والواجب عليَّ في ذلك أنه إذا أخطأ أخي الذي يحـــضر معي أن أقول له أنك أخطأت والصواب كذا وكان ينبغي عليك ألا تفعل كذا بـــل ينبغي أن تفعل كذا وكذا.

ابني مثلاً فأنا لا أتابعه وهو خارج المترل، ولكي أكون رجل عـــادل علـــيَّ أن أقول يا بني لقد أخطأت في كذا وكان يجب أن تفعل كذا، لكن يكون ابني مخطئ وأنا أعلم ومع ذلك أدافع عنه فهذا لا يجوز في طريق الله ﷻ .

وكذلك إذا أخطأت زوجتي وتدخلت فيما لا يعنيها فماذا أفعل هل أمـــسك لسانها، ومن الذي يستطيع أن يمسك لسان أنثي في أي زمان ومكان؟! إن بـــضاعتهم الثرثرة، لكن كل ما أستطيع قوله أنك أخطأت وكان يجب ألا تفعلي كذا .

لكن متي أكون شريك لها في الخطأ؟ إذا وجهتها للخطأ .ز هنا أكون الأســـاس في الخطأ، لكن إذا أخذتها الحمية الجاهلية، أو رجعت لعاداتها الأولية فماذا أفعل؟ عليَّ هنا ألا أكابر وأقول لقد أخطأت وكان ينبغي عليك أن تفعلي كذا وكذا.

وإذا مشينا يا إخواني على هذا النهج فإنه النهج الـــذي ارتـــضاه رســـول الله والذي كان عليه الصالحون من عباد الله من بدء الدنيا إلي يـــوم الـــدين أن المـــسلم مسئول عن نفسه، لكنه لا يداهن ولا يمالئ قريباً ولا يسكت عن خطأه لقرابتـــه ولا يقر بخطأ إبنه لبنوته، وإنما علي المؤمن أن يظهر الحق ولو كان علي نفسه .

فإذا انتشر هذا الأمر في مجتمعنا فابشروا بالسعادة علي بلادنا حتى ولو لم يظهر فيها ذهب ولا بترول ولا غيره، قال ﷺ فى الحديث الوارد فى الصحاح:

{ حَدٌّ يُقَامُ في الأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً }

فعندما نحي حتى شهادة الحق فقط والتي ضاعت في هذا الزمان فهي أحسم من مطر السماء أربعين عاماً بالنسبة للخيرات، فأين شهادة الحق في هذا الزمـــان؟ كمـــا قلت شيء يندي له الجبين ويحز في نفس كل مؤمن أن يقع المؤمن في أمر ثم يبحث عن شهود الحق فلا يجد مع قول الله ﷻ (٢٨٣ البقرة):

﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾

ولو قال آثم لسانه لكانت سهلة لكن "آثم قلبه" يعني هي كبيرة من الكبـــائر، ولذا فقد قال رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات :

{ أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بِأَكْبَرِ الكبائرِ: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدينِ، قالَ: وكانَ متكئاً فَجَلَسَ وقالَ: وشهادةُ الزُّورِ وشهادةُ الزُّوْرِ وشَهَادَةُ الزُّورِ، أو قولُ الزُّوْرِ، فما زالَ رسولُ الله يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ } [٧٠]

وذلك لأنه يعرف أن ذلك هو السرطان الذي ينخر في المجتمع.

فعندما تضيع شهادة الحق وتنتشر شهادة الزور فقد ضاع الحق.

وإذا ضاع الحق "لعن الله قوماً أضاعوا الحق بينهم" إذن فقد انتهي أمر هـــذه البلدة إلي غير رجعة.

فهيا يا رجال الله نسعى لرضاه بشريعته، ونحي أنفسنا بكتاب الله والعمل بسنة حبيب الله ومصطفاه.

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

---

[٧٠] رواه البخاري فـــي الصحيحِ عن قـــيسِ بنِ حفصٍ. ورواه مسلـــم عن عمرِو الناقدِ، كِلاَهُمَا عن إسْمٰعيلَ

الفصل السابع[٧١]

موازين العدالة الإلهية الكونية

- عظمة قدرة الله
- فطرة الله
- بركات السماء والأرض
- رجال الصدق

[٧١] مغاغة– الخميس ٢٠٠٧/١١/٢٢ – ١٢ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ، الدرس بمنزل الدكتور ربيع الصعيدي بعد صلاة الظهر

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

هذه الآيات التي شنفت مسامعنا في هذه اللحظات يجد الإنسان فيها فضل الله الذي لا يعد ولا يحد علي هذه الأمة المجتباة أمة رسول الله ﷺ

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (الأحزاب)

من المعنيون بهذا الخطاب؟

ومن الذين يخاطبهم الله ﷻ بهذا النص في محكم الكتاب؟ هـم أمـة الـنبي، وأصحاب النبي وأتباع النبي الذين سلكوا الصراط السوي ومشوا علي المنهج الإلهي ولم يغيروه ولم يبدلوه ﴿ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب ٢٣]

فما العهد الذي عاهده الله عليه؟

ومتي كان هذا العهد مع وجودنا في هذا العصر و هذا كلام الله؟ فهل كان لنا وجود قبل هذا الوجود الدنيوي الذي نحن فيه الآن؟ نعم – أين هذا الوجود؟

كنا أرواح في حضرة الكريم الفتاح قبل خلق كل الأشباح، وأب الأشباح آدم عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام – نريد الدليل :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ﴾ كلكم ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ وبعد ذلك ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ [الأعراف ١١]

فهل خلقنا وصورنا قبل خلق آدم؟ إنها حقيقة قرآنية ومن يشك فيهـا فقـد خرج من هذه الأمة المحمدية "أفي الله شك".

• عظمة قدرة الله

خلقنا الله وصورنا وأخذ كل واحد منا صورته الفريدة، ومن إبـــداع صـــنع الصانع أن كل إنسان سواء من قبل أو في هذا العصر أو بعده له صورة فريدة فـــلا يشبه أحد ولا يشبهه أحد، له شكل انفرد به صوره عليه الواحـــد الأحـــد مـــع أن التصميم واحد ولكنه يبين ويوضح قدرة الواحد.

الشكل العام للوجه كلنا فيه نشبه بعضنا البعض، عينـــان وشـــفتان وأنـــف بفتحتين، فهل هناك واحد يشبه الآخر من قبل القبل إلي نهاية النهايات؟

أبداً والله، إن المصانع التي يتباهون بها والتي يعمـــل بهـــا مهندســـين بـــارعين ومخترعين مجدين يقولون يكفينا في كل عام أن نغير الموديل، وليس ذلـــك وحـــسب ولكن بعد عشر سنين يأتون بالموديل القديم ويطلقون عليه أسمـــاء ويجعلـــوه جديـــد وهكذا دواليك، لكن هل تستطيع شركة سيارات أن تجعل لكل سيارة شكل؟

لا تستطيع، أو هل تستطيع شركة كمبيوترات أن تجعل لكل جهاز كمبيـــوتر شكل؟ أو شركة تليفزيونات أن تجعل لكل تليفزيون موديل خاص به؟ لا فالموديـــل يمكث عدة أعوام حتى يتغير بعد أن يفكروا ويقدروا ويدبروا، لكن انظر إلي

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ (٨٨النمل)

حتى أن المصنع لو طور يقول أن خط الإنتاج لا يستطيع أن يعمل علي شـــيء واحد فعلي كل خط عمل مجموعة أشياء، لكن انظر أنت إلي خط الإنتـــاج الواحـــد وهو رحم الأم وهو خط إنتاج، ومع ذلك لا يأتي بواحد يشبه الآخر، ولو حمل الرحم بتوائم إن كان اثنين أو ثلاثة أو حتى خمسة فلا تجد واحد يشبه الآخر مع أن الكـــل وجه واحد وتقاطيع واحدة لكن لكل واحد مظهر خصه به الواحد عز جل.

وفي كل شيء له آية تدل علي أنه الواحد

وليس ذلك وحسب بل إن كل واحد له صوت ونبرات ونغمات خاصة بـــه مع أن الحنجرة عندما نبحث في علم التشريح الخاص بها نجدها متشابهة عنـــد جميـــع الخلق، فلماذا اختلاف النغمات والترددات والذبذبات؟ ولماذا نجد من لـــه وقـــع في أسماع الحاضرين بخلاف الآخر؟ كل الموضوع أن لكل واحـــد خـــصوصية، هـــذه الخصوصية هي سر الأفضلية وهي التي قال فيها الله

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ (٧٠الإسراء)

وكيفية التكريم أن لكل واحد خصوصية لا يشترك معه أحد أبداً في أي مزية، فما بالكم لو دخلنا علي الحقائق الداخلية فلعقل كل واحد مجاله ومداره ودرجاتـــه، ولقلب كل واحد عواطفه ومواجيده وتوجهاته، ولروح كل واحد إشراقاتها وأحوالها التي خصها بها الله ﷻ ، لماذا كل ذلك يا إخواني؟ ليشهد الإنسان في نفسه حـــضرة الرحمن ﷻ ، حتى أن بصمات ملك الملوك تجدها واضحة جلية.

• فطرة الله

إذن فقد خلقنا الله ﷻ وخصنا بهذه المزايا وجمعنا ونحن أرواح نورانية وأخذ علينا العهد أجمعين كما ذكر في آياته الفرقانية علي أن نوحده فلا نشرك بـــه شـــيئاً، وعلي أن نشكره علي نعمه فلا نكفر بها وننسبها إلي أنفسنا أو إلي غيره، وأن نذكره فلا ننساه، وأن نطيعه فلا نعصاه:

﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٢٣الأحزاب)

وكل هذه مجملها اسمها الفطرة التي فطر الله الناس عليها

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (٣٠الروم)

وهي التي أوجدنا عليها حضرة الله، فإن أي إنسان لو نظرت إلي باطنه قبل أن يتلبس بالحظوظ والأهواء والأكوان تجد أن قلبه وجنانـــه وروحـــه وكلـــه يـــشهد

بالوحدانية لحضرة الرحمن، ولذلك قد قال ربي في أهل الشرك والكفر (٣٨ الزمر):

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾

والفطرة هي التي تقول ذلك، أما المسكين الذي يضحك علي نفسه ويغير الفطرة ويحاول أن يصبغ نفسه بغير صبغة الله فهو الذي يمشي علي حسب حظه وهواه، ولذلك قال ﷺ :

{ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِدَانِهِ، أَوْ يُنَصرَانِهِ، أَوْ يُمَجسَانِهِ } [٧٢]

أو في عصرنا من يضحك عليه عقله وتضحك عليه نفسه ويمشي علي حسب هواه ويريد أن ينال حظوظه وشهواته ومناه، ويري أن شرع الله يحظر عليه ذلك فيتبع هواه ويترك شرع الله جل في علاه !!!

مع أن الشرع لا يمنع الإنسان من أي أمر لكنه يقنن ويحدد، فهل هناك شهوة في الوجود يمنعها الرب المعبود؟

أبداً لكن يقننها للمصلحة العليا لبني الإنسان ، مثلاً هل منع الله ﷻ شهوة النكاح؟ أبداً بل أباحها للكل وشرعها وحض عليها، لكنه يقول اجعلوا أنفسكم في هذه الطريقة الواضحة لكي تحفظوا الأصول ويأتي النسل كله علي النهج المقبول، لكنك تريد أن تحصل الشهوة من طريق غير الذي وضحه الله وبينه حبيب الله ومصطفاه، وهذا يخالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

والحقيقة يا إخواني أن كل مشاكل البشرية إن كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية، وكل أمراض البشرية إن كانت أمراض نفسية أو جسمانية، وكل ما يحدث للبشرية من هموم وغموم سببها تبديل فطرة الله التي فطر الناس عليها.

أما لو مشي الناس علي فطرة الله فان يحدث ذلك ، ولنضرب لذلك مثال من

---

[٧٢] (ق د) عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ (ز)

عصرنا، فالصين عندما كانت شيوعية قالوا أن عدد السكان كثير وفي ازدياد فماذا نفعل؟ أصدروا قانوناً بتحريم الإنجاب إلا لمولود واحد !!، والكل إن كانوا أمريكان أو ألمان أو يابان مثلنا يفضلون الذكر عن الأنثى وهذه حقيقة !!

فما كان من السيدات الصينيات بعد سن هذا القانون إلا وعندما تحمل وتعمل سونار علي الجنين وتجده أنثي إلا وتنزله فكانت النتيجة أن الذكور في الصين صاروا أكثر من البنات، حيث أن نسبة الذكور ٦٠% ونسبة الإناث ٤٠% فمن أين يأتون لكل شاب بزوجة؟ لا يوجد فما كان منهم إلا أن يتزوجوا من كمبوديا ومن تايلاند!! فانتهز هؤلاء الفرصة ورفعوا أسعار الزواج، وأصبحوا في مشكلة شاقة.

فما الذي أوقعهم في هذه الورطة؟ تغيير فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولن تجد أي إنسان يغير فطرة الله إلا ويكبه الله علي وجهه ويقع في حبائل حظه وهواه ويبعد عن حضرة الله جل في علاه، وقد أخذ الله علينا العهد بذلك – عهد أكيد سجله في قرآنه المجيد ﷻ .

النباتات والفواكه والخضروات مثال آخر عندنا الآن، فقد ألغينا من قاموس حياتنا مادة القناعة والتي كانت موجودة عند آبائنا وأمهاتنا وأجدادنا وقد رأيناها وعشناها، والقناعة كنز لا يفني.

فنجد أن كل واحد يريد أن يكون في يوم وليلة مليارديرا يملك المصانع والشركات والعمارات الشاهقات، من أين؟ إن الحلال لن يوفي والطبيعة لن تسعف، فماذا يفعل؟ يقول نغير الطبيعة، ففي العصر السابق كانت تقول أمي وأمك لا تذبح الدجاج حتى يؤذن ولا يؤذن ذكر الدجاج إلا بعد خمسة أشهر، أما الآن تجد أن الدجاجة تزن اثنين كيلوجرام أو ثلاثة خلال خمسة وأربعين يوم – كيف؟

يضعون لها كيماويات وهرمونات، وكذلك يضعون لها أقراص منع الحمل، وكل ذلك من مصائب هذا الزمان، وما عملناه مع الدجاج نفعله مع الزراعات من أجل أن ينتج الفدان قدر سبعة أفدنة فما كان من نتيجة ذلك إلا هذا الحصاد إن كان تفتيت الأكباد أو تفشي السرطان أو انتشار الفشل الكلوي، وذلك كله لأننا غيرنا

فطرة الله .. ، فأين النبات الذي ينمو علي تغذية الله بدون تـدخل مـن الإنـسان؟ نبحث عنه ولا نجده؟؟، أين المأكولات التي تأتي بها الطبيعة بدون تدخل الإنـسان في تكبيرها أو تصغيرها أو تحجيمها أو طعومها أو مذاقها أو لونها؟ لا توجد !!

ولا يحفظ صحة الكبار الآن إلا التغذية القديمة، وقد كانـت أشـياء خفيفـة ولكنها صحية لأنها خرجت بالتربية الإلهية التي وضعها الله ﷻ في القواعـد المرعيـة لإخراج الثمار والنباتات الأرضية لتغذية الهياكل الآدمية .. أما الآن وبعد أن تدخلنا في ذلك فإن ذلك ينخر في جسم الإنسان بالإفساد والتخريب والتدمير ولـو رجـع الإنسان إلي عالم الفطرة مرة أخري لعادت إليه القوة والصحة التي أسس الله عليهـا الإنسان وذلك لأنه لم يتدخل في فطرة الله التي جعلها الله ﷻ في هذه الأكوان.

• بركات السماء والأرض

يقول الناس نحن كثير والعدد يزداد والأرض كما هي لا تزيد، فكيف يكفـي هذا الزرع وكيف تكفي هذه الحيوانات؟! ونسينا منهج الرحمن الذي وضعه لنـا في القرآن وبينه لنا النبي العدنان

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (٩٦ الأعراف)

ولم يقل لفتحنا عليهم خيرات فالخيرات موجودة ولكنه سيضع فيها بركـات فتكون كما قال حضرة النبي ﷺ :

{ طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الإِثْنَيْنِ. وَطَعَامُ الإِثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ. وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ } [٧٣]

وهذه قاعدة المسلمين، ومع ذلك أهملناها ونسيناها، وإذ اقلت لواحد (البركة)

---

[٧٣] عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللّهِ صحيح مسلم

يقول ما البركة هذه؟ .. نحن نريد ما يكفي !!، مع أن البركة هي التي تكفي وتـــوفر ويظل الإنسان في تكوينه وفي بنيانه صحيح – ولا فائدة، وكانت النتيجة ما نحن فيـــه الآن، وطبعاً لا شيء يكفي لأن الطماع لا شيء يقنعه، وقد قال في ذلك ﷺ:

{ ابنَ آدَم، عِنْدَكَ ما يَكْفِيكَ، وأَنْتَ تَطْلُبُ مَا يُطْغِيكَ، لا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ، ولا مِنْ كَثِيرٍ تَشْبَعُ، ابنَ آدَمَ، إِذَا أَصْبَحْتَ آمِناً في سِرْبِكَ، مُعَافىً في جَسَدِكَ، عِنْدَكَ قُوتُ يَوْمِكَ، فَعَلى الدُّنْيَا العَفَاء } [٧٤]

ولذلك يحب الزيادة وإن كانت بالغش، وانظروا إلي ما نحن فيه من غـــش في كل المجالات إن كـــان في الزراعـــات أو في الخـــضروات أو في المـــصنوعات أو في التجارات وذلك لأننا نسينا قول الحبيب:

{ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا } [٧٥]

أي بدل العهد ونكث بالوعد، غير ما عاهد عليه مولاه وأصبح غير صادق في إتباعه لحبيب الله ومصطفاه ويمشي في الدنيا علي حسب هواه ومناه، ولذلك لا بـــد من القرار الإلهي وهو أن تتخلي عنه عناية الله جل في علاه.

• رجال الصدق

﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٢٣ الأحزاب)

أين هؤلاء الرجال يا إخواني؟ نحن نريدهم !!

فهم من حافظوا علي فطرة الله وحافظوا علي تسيير الأمور وجعلوا دفة الحياة كلها وفق كتاب الله وسنة حبيب الله ومصطفاه، فقد حكموا كتاب الله وشرع الله في أنفسهم وفي أقواتهم وفي أرزاقهم وفي دخلهم وفي معاملـــة أولادهـــم وفي مداعبـــة

---

[٧٤] عن عمر ﷺ رواه الطبراني في الأوسط

[٧٥] عن جماعة من الصحابة عند مسلم وغيره من أصحاب السنن والمسانيد

زوجاهم وفي كل شيء لهم أو حولهم.

وقد وعد الله هؤلاء وهو لا يخلف الميعاد وقال وهو أصدق القائلين

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ (النحل)

وحياة طيبة أي خالية من الهم والغم وخالية من الأمراض والأسقام وخالية من الذنوب والشرور والآثام، بل إنها كلها رضا عن الملك العلام ﷻ ، قال ﷺ :

"ارض بما قسم الله لك تكن أغني الناس" [٧٦]

ومن لم يعمل بهذا الكلام وأصر علي حظه وهواه ويريد بالوسيلة التي يحصل بها الأرزاق أن يستكثر من المال وإن مال به عن سبيل الواحد المتعال !!

وهنا يجد القسطاس المستقيم والميزان القويم من العزيز الحكيم ﷻ :

{ فمن جمع مالاً من حرام سلطه الله علي هلكته في الذنوب والآثام }

فيبوء بإثمه مرتين، من أين اكتسبته؟ من الحرام .. وفيما أنفقته؟ في الذنوب والآثام .. والمجتمع مملوء بذلك وإن كان هناك خلاف ما أقول فأتوني بالدليل، من أطعم جسمه من الحرام سلط الله ﷻ عليه الأسقام العظام التي لا يستطيع تكلفة علاجها في هذه الأيام..

وقد رأينا في الأهرام الأسبوعي أن عدد المصابين بالسرطان في مصر قد وصل عددهم إلي اثنا عشر مليون مصاب، فالسماء تمطر بلاءات – لماذا؟ لأن ..

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ (فصلت)

ولو حسب الإنسان لنفسه في مفكرة صغيرة:

---

[٧٦] أخرجه الترمذى وأحمد وابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ.

لوجد أن كل الشرور المستطيرة هي تجميع للأموال الصغيرة التي حصلها من الحرام، ولو اكتفي بالحلال ورضي بما كلفه به وأعطاه له ذو الجلال والإكرام فإن الله سيحييه حياة طيبة كما ذكر في كتاب الله جل في علاه .

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ... ﴿٩٧﴾﴾ (النحل)

وهل المتقون لا تأتيهم هذه الأمراض؟

من الجائز أن تأتيهم ولكن يعينهم الله ويقويهم من حيث لا يحتسبون حتى يشفيهم من هذا الداء، لكن الآخر يتركه الله لنفسه، وأردت أن أوضح هذا الأمر لعدم حدوث اللبس فليس معني أن كل من يأتيه المرض يأكل من حرام.

لكني أبحث عن الحياة الاجتماعية والتي يقولون عنها أن حالات الطلاق بين المتزوجين حديثاً أصبحت أكثر من أربعين في المائة، فلماذا لا يطلق الكبار؟ من أجل ما تكلمنا عنه .. ، فهل هناك من الشباب من يجمع المال من حلال ثم يقيم فرحاً يتكلف عشرة آلاف جنيه؟ إذا كان قد جمع المال بتعب وعناء فإنه ينفقه بتدبير وليس بتبذير، فإذا وجدت سفهاً وتبذير فاعلم أن هذا نذير من العلى الكبير وأن هذا شر مستطير سيترل علي هذا الإنسان لأنه لا يعمل بقول الرحمن:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ (الفرقان)

وهذا هو المنهج الإلهي، أن يمشي الإنسان علي الوسطية.

فالأمة المحمدية أمة مرعية بشرط أن تعمل بالشريعة المحمدية، لأنها هي التي توافق الفطرة الإلهية التي فطر الله ﷻ عليها الإنسان.

وعندما حدث البلاء ... ونظر المسلمون إلي الذين غيروا وبدلوا شرع الله وفطرة الله .,..... وقلدوهم وتابعوهم أصابنا ما أصابهم ونزل بنا ما نزل بهم ، فما شأننا بهم؟ فهم إن غيروا وإن بدلوا فليس لهم مصداقية عند رب العالمين ولا يؤمنون

بسيد الأولين والآخرين، وإذا أعطاهم الله ﷻ الأرزاق الدنيوية الكثيرة فـإن ذلـك استدراج منه لهم، قال في شأنهم رسول الله ﷺ:

{ أُولئِكَ عُجلَتْ لَهُمْ طَيبَاتُهُمْ وَهِيَ وَشِيكَةُ الانْقِطَاعِ } [٧٧]

عجل لهم الطيبات هنا لكي يخرجوا من الدنيا فقراء ليس لهم عند الله ﷻ خير أو حسنة يطالبونه بها ﷻ .

هل نتبع الممسوخين الذين قال فيهم الله ﷻ :

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَـٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ (٦٧ يس)

والذين جعل منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت...,

لا شأن لنا بهم، وحتى لو اتبعناهم فعلينا أن نتبعهم فيما أخذوه منـا والـذي تقدموا به علينا في عالم الوجود ، فقد أخذوا منا الإتقان في العمل ويقظـة الـضمير ومحاسبة النفس وجودة الأداء .. وهي بضاعتنا في الأساس، وقد تركنا هذه البضاعة ونريد أن نتبعهم في الهمجية والحالات الجنسية وحالات لا ترضي رب البريـة ﷻ في قليل ولا كثير.

إذن فنحن جميعاً نحتاج إلي وقفة مع النفس لنرجع إلي فطرة الله الـتي فطرنـا عليها ... ونرضي بشرع الله ...، ونعلم علم اليقين أن شرع الله هو الخـير لنـا في الدنيا وهو السعادة لنا يوم نلقاه.

نسأل الله ﷻ أن يغير حالنا إلي أحسن حال، وأن يبدل شئوننا إلي أفضل شأن، وأن يصلح جميع أحوالنا وأحوال أولادنا وبناتنا وزوجاتنا وأحـوال حكامنـا وولاة أمورنا وأحوال المسلمين أجمعين، وأن يجعلنا أجمعين بشرعه عاملين وبسنة حبيبـه ﷺ آخذين وعن الشهوات والحظوظ والأهواء بعيدين وعن فتن هذا الزمان محصنين.

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

---

[٧٧] (ك) عن عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.(جامع الأحاديث والمراسيل)

الفصل الثامن

موازين مفارقة الروح للجسد [٧٨]

- الموت والحياة
- أجساد لا تبلي
- حقيقة الموت
- الخاتمة

[٧٨] مغاغة – مركز مطاي – الخميس ٢٠٠٧/١١/٢٢ – ١٢ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ، بعد صلاة العشاء – مسجد الشيخ أبو بكر

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

استمعت معكم إلي درس عن الموت من فضيلة الشيخ عيسي إمام المسجد قبل إقامة الصلاة، وكان من الآيات التي تلاها علينا في الركعة الثانية من صلاة العشاء آيات من كتاب الله تبين حقيقة الموت في نظر الله، لا كما يتوهمه المتوهمون ويتحدث عنه الجاهلون ولكن كما يراه الحي القيوم ﷻ .

وكان ختام الآيات التي استمعنا إليها من أخي القارئ في استفتاح حفلنا الآن آيات تتحدث عن عناية الله بالمؤمنين والمؤمنات عند خروجهم إلي الله من هذه الحياة، ونريد بفضل الله ﷻ أن نبشر إخواننا المؤمنين بالموت وحقيقته، لأنه عندما يستمع الناس إلي خبر عن الموت يصابون بالوجوم والحزن ويظهر علي وجوههم الأسي وتستشعر فيهم الألم وكأنهم ذاهبون إلي أمر عظيم وأمر جسيم، وهذا صحيح ...

ولكن بالنسبة لغير المؤمنين وغير المسلمين، أما المؤمنين يكفيهم قول الصادق الوعد المبعوث رحمة للعالمين:

{ الْمَوْتُ تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ } [٧٩]

وتحفة يعني هدية قيمة ليس لها مثيل.

• الموت والحياة

فالموت بالنسبة للمؤمن تحفة يتحفه بها مولاه جزاء علي ما صنعه وعمله في طاعة الله في هذه الحياة، ولذلك فإن الموت بالنسبة للمؤمن شيء جميل وعظيم — فما الموت؟ كتاب الله يذكر الموت بعكسه

﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ (الفجر)

---

[٧٩] »(قط) عن جابرٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ.(جامع الأحاديث والمراسيل)

إذن فهو ذاهب إلي حياة، ولو كان الموت نهاية المسيرة لكنا ارتحنا جميعاً بالموت:

ولو أنا إذا متنا تركنا   لكان الموت غاية كل شيء

لكن الموت حياة لكنها حياة أعلي وأرقي وأبهي من الحياة التي نحن فيها الآن وهي حياة محدودة والأيام فيها معدودة والأشياء فيها محسوسة وملموسة ولها قيم بعد حين تكون مفقودة وهذه هي الحياة الدنيا التي نحن فيها الآن.

لكن الموت حياة أرقي، فأنا هنا لا أستطيع أن أنتقل من مكان إلي مكان إلا إذا استخدمت وسيلة في الركوب إن كان سيارة أو قطار أو طائرة، لكن من انتقل إلي الدار الآخرة يجد أن الحياة هناك واسعة يقول فيها ﷺ "أرواح المؤمنين – عندما تخرج من هنا – في حواصل طيور خضر يمرحون بين أشجار الجنة" طلقاء أحرار متحركين ليسوا بساكنين ولا ميتين كما يقول الناس ولا معذبين.

● أجساد لا تبلي

فإن الجسد يبلي وقد لا يبلي وذلك لأن جسد الأتقياء والصالحين والأولياء كجسد الأنبياء لا يبلي قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ } [٨٠]

ومثلهم من علي نهجهم.

ولذلك حدث بعد غزوة أحد التى مات فيها سبعون من أصحاب رسول الله وكان علي رأسهم سيدنا الحمزة ﷺ عم النبي، وصلي عليهم النبي ودفنوا في موقع واحد، ومن يذهب إلي الحج يري هذا المكان الطاهر، حدث في عصر معاوية بعد اثنين وأربعين عاماً أن ذهب كل الشهداء كل إلي أهله في المنام يقول أنقذونا من الماء.

---

[٨٠] عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ مسند الإمام أحمد والدارمى وأبي داوود.

وكان معاوية قد حفر بئراً بجوارهم فزاد منسوب الماء الذي غمر أجسامهم وما كان من أهل الشهداء إلا أن ذهبوا إليهم وأخذوا يحفرون، وأثناء الحفـر أصـابت الفأس قدم سيدنا الحمزة فسال الدم من قدمه وذلك بعد كل هذه المدة

﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ (آل عمران)

فهل يوجد دم يظل في جسد المتوفي اثنين وأربعين عاماً ولا يتجلط ولا يتجمد؟

فالإنسان الآن عندما يصاب بشكة إبرة وهي من نعم الله علينا أنه بعد دقيقـة يتجلط الدم، لكن هؤلاء بعد اثنين وأربعين عام ويظل الدم كما هـو في العـروق والأوردة، فكيف يمشي؟ ... وكيف تعمل الدورة الدموية؟! هل يفرز الكبد ويخـرج الدم؟! إنها عناية الله وقدرة الله بعباد الله الصالحين الذين كانوا مـع سـيد الأولـين والآخرين ﷺ.

والأعجب من ذلك سيدنا جابر وكان أباه سيدنا عبد الله بن حرام قد وصـل إلي أبيه فوجد أن جرح أبيه كان في بطنه ووجد أن أبيه واضع يـده فـوق الجـرح وعندما حملوا يده ووضعوها بجانبه سال الدم وبغزارة، وعندما وضـعوا الـضمادات والقطن علي الجرح لم يتوقف الدم، من أين هذا الدم؟! الله ورسوله أعلم، فأشار أحد الحاضرين عليه بأن يرد يد أبيه كما كانت، ولما ردها لموضعها توقف الدم علي الفور.

وهذه هي العينة التي لا تأكل الأرض أجسادهم، لكن جميـع الأرواح لحظـة الخروج من الدنيا تصعد إلي الله ﷻ ولذلك عندما كان يعالج الإمـام الغـزالي ﷺ سكرات الموت، التف تلاميذه حوله يبكون فقال ﷺ :

قل لإخوان يروني ميتا	لـيس والله بالميت أنا
أنا عـصفور وهذا قفصي	طرت منـه إلي دار الهنا
لا ترعكم هجمة الموت فما	هو إلا نقـلة من هاهنا
لا تظنوا الموت موتـاً إنه	لحيـاة وهو غايات المني

• حقيقة الموت

فالموت انتقال من دار إلي دار :

﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٠٠﴾ (المؤمنون)

وعندما ينتهي الأجل المحدود والزمن المعدود لفترة الاختبار التي جعلها لنا الله ﷻ في هذه الحياة ... فيرجع الإنسان مرة أخري – كيف يتم هذا الرجوع بالنسبة للمؤمنين وبالنسبة للمسلمين؟

نسأل حضرة النبي ﷺ، قال صلوات ربي وتسليماته عليه :

{ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لتَمُوتُنَّ – وهذا قسم منه ﷺ – كَمَا تَنَامُون وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُون } [٨١]

إذن فالموت مثل النوم، فهل يتعب المؤمن عندما ينام؟

فما دام قد أرضي الله وأدي ما عليه من حقوق لعباد الله فإنه عندما ينام ينام مرتاح البال، فمن منا يأتيه العذاب أثناء النوم؟

من ظلم هذا وسب هذا وأكل مال هذا ومن عق والديه ومن قصر في طاعة الله، فعندما ينام يؤنبه ضميره وتلومه نفسه فيصبح نومه عبارة عن تأنيب الضمير ولوم للنفس فيكون نومه عبارة عن كوابيس وأحلام مزعجة – لماذا؟

لأن لم يصنع فى يومه ما يرضي الله أو ما يرضي به عباد الله جل في علاه، لكن الإنسان الذي يأتي في آخر النهار ويجد أنه قد أدي ما عليه لمولاه وليس عليه حق لأحد من عباد الله فلم يظلم أحداً ولم يغش أحداً ولم يسئ لأحد فإن مثل هذا ينام قرير العين، كذلك يكون الموت بالنسبة للمؤمنين...

---

[٨١] رواه جعفر بن عبدالله بن الحكم ، الألبانى فى فقه السيرة

وذلك كما صوره سيد الأولين والآخرين ﷺ في حديث طويل عن البراء بـــن عازب رواه الإمام أحمد فى مسنده:

{ خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رءُوسنا الطير وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ثلاث مرات أو مرتين ثم قال: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ حَتَّىٰ يَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٍ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقْعُدُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقُطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَإِذَا أَخَذَوهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَذَلِكَ الْحَنُوطِ فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ (مَلك) مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ: هَذَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ (يَنْتَهون) بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَسْتَقْبِلُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّىٰ (يَنْتَهِي) بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ

وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلاَمُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا عَمَلُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ وَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ بِهِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَافْرُشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ طِيبِهَا وَرَوْحِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي }

كيف تخرج الروح يا رسول الله؟ قال "فتخرج روحه كما تنزل قطرة الماء من فِيِّ السقاء" فقطرة الماء عندما تنزل من القربة هل تنزل بمشقة وتعب؟ أبداً.. وكذلك تخرج الروح، فذا كانت من أهل اليمين من المؤمنين فكما قال رب العالمين :

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (النحل)

بدون عذاب القبر وبدون هم وبدون حزن وبدون فزع أو جزع، ويخـرج إلي جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

وإذا كان هذا الرجل من المقربين الذين هم قريبون من سيد الأولين والآخرين يتشبه برسول الله ويقتدي به في كل أمر في هذه الحياة ويكثر من الصلاة والتسليم عليه في دنياه، مثل هذا عندما تخرج روحه للقاء الله يأتي حضرة النبي بذاته ومعه

رسل الله وأنبياءه لكي يستقبلوا هذه النفس الطيبة، وقد ورد ذلك في الروايات الصحيحة، وقد قال سيدنا رسول الله مرة لأصحابه في حديث عام سيتكلم رجل من أمتي بعد الوفاة، فمر زمان سيدنا أبو بكر، وفي زمن سيدنا عمر واحد من أصحاب رسول الله اسمه الربيع بن خراش ﷺ مات وبعد أن مات غطاه أخوته وخرجوا لكي يجهزوا المقبرة لكي يدفنوه ورجعوا بعد قليل وإذا به يكشف الغطاء ويقول لهم:

{ يا إخوتي عجلوا غسلي وتكفيني فإن رسول الله ﷺ قد حضر للصلاة عليّ} ... وهل يصلي رسول الله علي أحد بعد انتقاله؟ نعم فقد قال الله:

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ (١٠٣ التوبة)

ما الذي يسكّن القلب ويجعله لا يخاف، ويسكن النفس ويجعلها تطمئن؟

صلاة الحبيب علي العبد القريب الذي توفاه الرب القريب ﷻ ، وهذه الخصوصية ليست لمن كانوا في زمانه وحسب وإلا تحذف هذه الآية من القرآن ولكنها ليوم الدين موجودة وسارية أبد الآبدين في الصالحين والمقربين الذين يأتي ويستقبلهم سيدنا رسول الله ليصلي علي أرواحهم، فنحن نصلي علي الجسم وهو يصلي علي الروح ﷺ.

أما إذا كان الإنسان في مقام أعلي وفي درجة من القرب من الله أدني مثل سيدنا أبي بكر، فعندما حانت منيته قال أسمع من يقول السلام عليك يا أبا بكر، وبعد قليل سمعوا صوتاً ولم يروا شخصاً يقول تعالى فى سورة الفجر :

﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

ممن سمع سيدنا أبو بكر السلام؟ الآية التي استمعنا إليها اليوم

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ (٤٤الأحزاب)

من الذي يحييه بالسلام؟ السلام ﷻ :

﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾ (يس)

بالله عليك يا أخي من يسمع السلام من الله أو من يستقبله سيدنا رسول الله أو حتى من يستقبله ملائكة الرحمة من الجنة ماذا يكون حاله؟ ياهناه لأنه ذاهب إلي الله ﷻ ، وبعد أن تخرج الروح يأتون كما قلت بكفن من الجنة وعطر من الجنة فيلفوها في حريرة خضراء من الجنة:

﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ﴾ (٢١الإنسان)

ويضعون الطيب، هذا الطيب يشمه كل الملأ الأعلى، ملائكة السماء الأولي والثانية إلي السابعة يشمون هذا الطيب لأن ريح الجنة يشم علي مسيرة خمسمائة عام، فتفتح أبواب السماء ويقف علي كل باب سماء مقربوها – ويقولون أي روح هذه فيقال هذه روح فلان بن فلان، قال ﷺ في معنى حديث آخر :

{ فينزل ستمائة ألف من الملائكة يصطفون صفين من الأرض إلي السماء ويتقاذفونها بينهم كما تتقاذفون الجلة حتى تصل إلي قاب قوسين أو أدني }

فيقول الله تعالي – في هذه الحالة نكون قد تولينا هنا دفن الجسم وهم هناك يتولون الروح – فيقول الله تعالي اهبطوا بروح عبدي إلي الأرض وافرشوا له فراشاً من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة يأتيه منه الروح والريحان إلي يوم القيامة"

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩١﴾ (الواقعة)

وتنزل الروح بعد أن نكون قد ودعناه ونزلنا من علي المقابر، وبعـد نزولنـا مباشرة يأتيه شخص شديد بياض الوجه شديد بياض الثياب له رائحة طيبـة يقـول السلام عليك يا فلان فيقول ومن أنت ومن أدراك بي؟ فيقول أو مـا تعـرفني؟ أنـا عملك الصالح وأنا معك هنا إلي يوم القيامة كما أوردنا بالحديث .

وهذا هو الموت بالنسبة للمؤمنين وبالنسبة للمتقين وبالنسبة للمقربين.

أما من سيضربونهم فهم الكافرون:

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ (محمد)

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ (٢٨النحل)

مثل هؤلاء هم من لهم العذاب وعليهم العقاب وهم من لهم هذا المصير الـذي يتحدث عنه الأئمة ويذكرونه في كل موضع وفي كل كتاب.

أما المؤمنون فهم في نعيم مقيم، ولذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم :

{ ونَظَرَ النبيُّ ﷺ إلى مَلَكِ المَوْتِ عليه السّلامُ عِنْدَ رَأْسِ رَجُلٍ مِنَ ألانْصَارِ، فقالَ: يا مَلَكَ المَوْتِ ارْفِقْ بصَاحِبِي فإنَّهُ مُؤْمِنٌ، فقالَ مَلَكُ المَوْتِ عليهِ السّلام: طِبْ نَفْساً وقَرَّ عَيْناً، واعْلَمْ أنّي بِكُلِّ مُؤْمِنٍ رَفِيقٌ، واعْلَمْ يا محمّدُ أنا اقْبِضُ رُوحَ ابنِ آدَمَ فَّاذَا صَرَخَ صَارِخٌ مِنْ أَهْلِهِ قُمْتُ في الدّارِ وَمَعِي رُوحُهُ فقلتُ: ما هَذا الصَّارِخُ؟ والله ما ظَلَمْنَاهُ ولا سَبَقْنَا أَجَلَهُ، ولا اسْتَعْجَلْنَا قَدَرَهُ، ومَا لَنا في قَبْضِهِ مِنْ ذَنْبٍ، فإنْ تَرْضَوا بِما صَنَعَ الله تُؤْجَرُوا، وإنْ تَحْزَنُوا وتَسْخَطُوا تَّأثمُوا وتُؤْزَرُوا، مَا لَكُمْ عِنْدَنا مِنْهُ عُتْبى، وإنْ لَنا عِنْدَكُمْ بَعْدُ عَوْدَةٌ وعودة فالحذرَ الحذَرَ، ومَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ ـ يا محمَّدُ ـ شَعَرٍ ولا مَدَرٍ، بِرٍّ ولا فَاجِرٍ، سَهْلٍ

ولا جَبَلٍ، إِلاَّ أَنَا أَتَصَفَّحُهُمْ في كُلِّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ حتَّى لأنَا أَعْرَفُ بِصَغِيرِهِمْ وكَبِيرِهِمْ مِنْهُمْ انْفُسِهِمْ، والله يا محمّدُ لَوْ أَرَدْتُ أَقْبِضُ رُوحَ بَعُوضَةٍ مَا قَدِرْتُ على ذَلِكَ حتَّى يَكُونَ الله هُوَ أَذِنَ بِقَبْضِهَا} [٨٢]

وذلك لأن المؤمنين قد أدوا ما عليهم لله وليس عليهم حق لأحد من خلق الله، فعندما يأتِ الموت يكون الموت عبارة عن انتقال من هنا إلي هناك ..

وبعدها يشعرون بنا ... وينتقلون بحرية، لأن ما يقيدنا الآن هو الجسم.

أما هم فينتقلون إلي كل الأرجاء .. وكل الأنحاء ينزل إلي الأرض أو يـــذهب إلي الجنة ... أو يذهب إلي العرش .. أو إلي الكرسي كما يريد...

يمرحون بين أشجار الجنة ... وذلك لأن له لباس الحرية

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴿٣٣﴾﴾ (فاطر)

أي حر.

من إذن المقيد والمسجون والمعذب؟

إنه الكافر والمشرك والجاحد والعاصي الذي أصر علي معصيته ولم يتب منـــها حتى لقي الله ﷻ ، لكننا إلي النفس الأخير تقبل منا التوبة :

{ إِنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ } [٨٣]

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (٣١النور)

---

[٨٢] عن الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ ، عن أَبيهِ مجمع الزوائد

[٨٣] عن ابن عمر مسند الإمام أحمد

● الخاتمة

ما الذي يخاف منه المؤمن عند الموت يا إخواني؟ .. ما يخاف منه هي الخاتمة، من الذي يخاف من الخاتمة؟ ومن الذي تأتيه سوء الخاتمة؟

من ارتكب كبيرة من الكبائر ولم يتب منها حتى جاءه الموت، ومثل هذا متروك لأمر الله، مرجواً لأمر الله إما أن يعذبه وإما أن يغفر له ... مثل من يموت وهو عـــاق لأحد والديه.

أو آخر جاءه الموت وهو يشرب الخمر ولم يتب منه ..

أو آخر قتل مؤمناً بغير أمر يدعو إلي ذلك أو أخطأ ولم يتب من ذلك ..

أو آخر يسلب المؤمنين أموالهم ويسرق ومات قبل أن يتوب ويرجع ...

أو آخر لا قدر الله زني بامرأة ولم يتب من ذلك ...

أو آخر يتعامل بالربا ويأكل بالربا ولم يتب من ذلك ...

أو آخر أكل مال اليتيم ظلماً ...

أو من ذهب إلي ميدان القتال وعندما رأي الأعداء فر وهرب وترك الميدان ولم يتب إلي الله من ذلك ...

وهذه تسمي الكبائر .

ومن يرتكبها إذا لم يتب إلي الله ﷻ منها إلي الموت ... فهو والعياذ بالله ينتظر له سوء الخاتمة .... إلا إذا عفا عنه العفو ﷻ .

لكن المؤمن ما دام قد اجتنب الكبائر وحافظ علي الفرائض فله البشري:

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ ماذا يحدث؟

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وبعد ذلك؟

﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾(النساء)

وأكبر الكبائر في هذا الزمان:

شهادة الزور وقول الزور وذلك بنص حديث رسول الله ﷺ.

فإذا اجتنب المؤمن الكبائر، وحافظ علي الفرائض وهى التى يمحو الله ﷻ بها الصغائر، يدخله مدخلاً كريماً .... بشرط:

ألا يظلم أحداً من عباد الله ﷻ لكي لا يأتي المظلوم يوم القيامة ويقول يارب خذ لي بحقي من هذا.

يحيا هؤلاء في عالم البرزخ..:

منهم من يذكر الله ﷻ مع أنهم غير مطالبين بذلك ولكنهم يذكرون الله تفكهاً وتنعماً !!! ، ومنهم من يجتمعون علي العلماء ... وعلي الرسل والأنبياء ... يستمعون منهم دروس العلم العالية ... ويشاهدون فيهم الأنوار الراقية ... ، حياة عالية وحياة سامية ... يحيونها إلي يوم الدين!!!

لكنها حياة لا تراها العين الحسية إنما تراها عين البصيرة وعين السريرة إذا فتحها الله ﷻ وصارت منيرة.

نسأل الله ﷻ أن يتوفانا مسلمين وأن يلحقنا بالصالحين وأن يختم لنا بالإسلام أجمعين وأن يجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا وإذا جاءهم الموت سرهم الله ﷻ بالبشائر من عنده

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

الفصل التاسع

موازين الحكماء الربانيين[٨٤]

- كمالات أسماء الله
- حديث الجنة
- طلاب الوجه
- الدعوة الحكيمة

[٨٤] مغاغة – مطاي يوم الخميس ٢٠٠٧/١١/٢٢ – ١٢ ذو القعدة ١٤٢٨ هـ، الدرس بعد تناول العشاء بمسجد الشيخ أبو بكر

• كمالات أسماء الله

هذه الآيات التي استمعنا إليها الآن وهي آخر سورة الحشر، نزلت عندما اجتمع أهل الشرك علي سيدنا رسول الله ﷺ وقالوا له يا محمد صف لنا ربك؟

فوصف الله ﷻ ذاته وبين صفاته، وبين الله ﷻ في أوصافه في كتابه وعلي لسان حبيبه أن الله ﷻ له أوصاف كمال لا يستطيع أحد أن يدانيها أو يشابهها أو يأتي لها بمثال لأنها صفات ذاتية تتعلق بعظمة الله الأزلية وعزته الأبدية، الواحد الأحد الفرد الصمد وهكذا..

ولله ﷻ صفات جمالية يواجه بها المؤمنين ويعامل بها المسلمين، فهو بالمؤمنين رءوف رحيم وهو بالمؤمنين تواب وعفو وكريم وهو بالمؤمنين باسط وودود ووهاب ورزاق وفتاح وعليم، كل الصفات الجميلة الجمالية يعامل الله ﷻ بها المؤمنين.

أما أوصاف قهره وصفات انتقامه فهي علي الكافرين والمشركين والبعيدين عن شرع رب العالمين ﷻ ... ، فهو قهار علي الكافرين .. وجبار علي المشركين .. وشديد البطش علي أهل العناد والحرب لعباد الله المؤمنين .. ، وهذه الصفات ليس للمؤمنين فيها نصيب وإنما جعلها الله ﷻ ليواجه بها أعداءه وأعدائنا وأعداء الدين وأعداء رسوله ﷺ في كل وقت وحين.

ولذلك وجب علينا أن نجعل لكل مقام مقال، وكما بين الله ﷻ في أوصافه بين ما أعده لأحبابه ولأعدائه، فقد أعد لأحبابه جنات النعيم، دار الخلد، الفردوس الأعلى، أنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفي، وغيرها من الأوصاف القرآنية التي يتكلم فيها الله ﷻ عن الجنة التي أعدها لعباده المؤمنين، وبعد أن عدد هذه الأوصاف وبين هذه النعوت قال فيها:

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ (٧١ الزخرف)

وزاد في التوضيح الحبيب فقال ﷺ:

{ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } [85]

فكل ما خطر ببالك فالجنة بخلاف ذلك، وكل ما تراه في الدنيا من ألوان النعيم لا يساوي بضع ذرة من نعيم حضرة الكريم في جنة النعيم..

وبين الله ﷻ ما جهزه وأعده للكافرين من العذاب الأليم ومن أنواع الجحيم في لظى وفي سقر والقارعة وغيرها من أنواع العذاب التي فصلها في الكتاب، وأعد لهؤلاء القوم الذين ابتعدوا عن الصواب وضلوا عن طريق الهداية ولم يؤمنوا بالله ولم يصدقوا برسوله ﷺ.

• حديث الجنة

فعندما يتحدث الداعي مع المؤمنين ففيم يتحدث؟ عليه أن يكلمهم عما جهزه لهم الله وما أعده لهم الله من ألوان النعيم

﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦﴾ (محمد)

قد عرَّفها الله ونحن نوضحها، مثلاً إذا حجزت فيلا أو شقة في مدينة السادس من أكتوبر بالقاهرة وطلبت مني أن أصف لك هذه المدينة هل أتركها وأوضح لك مدينة العاشر من رمضان؟ بالطبع لا لأنك لن تذهب للعاشر لكن عليَّ أن أوضح لك مكان سكنك كالعنوان واسم الشارع ورقم المنزل ومواصفاته وحدائقه وأنهاره وبحيراته، وهذا هو السكن الذي تحجزه إذا كنت من المخاطبين بقول رب العالمين :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ (سورة المؤمنون)

---

[85] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صحيح مسلم

عليَّ أن أعرفك من هنا ما في الفردوس من النعيم ومن أصناف التكريم، ومن الذي يشاركك السكن فيه، ومن هم أهل الجوار الذين ستسكن معهم في هذه الدار وذلك لتعرف المكانة قبل أن تخرج من هنا.

ولابد لكل مؤمن قبل أن يخرج من هذه الدار أن يري المقام الكريم الذي جهزه له الرءوف الرحيم ﷺ، أما إذا كنت قد حجزت في جنة عدن، عليَّ أيضاً أن أشرح لك ما في جنة عدن ... وما فيها من ألوان النعيم والتكريم، هل عرف أحد مثل هذه الأشياء؟ من الذي شرح لكم ما في جنة الفردوس وما في جنة عدن وما في جنة الخلد وما في جنة المأوي، وهل وجدتم من يصف لكم ذلك؟.

إذن كيف سنراها بدون أن نعرف عنها شيء مع أن الله قد قال

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ (محمد)

إذن لا بد أن تعرفها من الآن ؟! إذا لم يعرف ذلك فكيف يدفع نقوده، فأنت تشتري – ماذا تشتري؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾

ما الثمن؟ ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ (١١١ التوبة)

وهذه الجنة لنا لأن الله ليس له حاجة في الجنة، وكذلك الملائكة وهم خدم الجنة، وقد خلق الله الجنة ليكافئنا بها ويعطيها لنا جزاء ما عملنا

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ (الرحمن)

فهو يعطينا الجزاء الجميل..

وعلي كل واحد فينا أن يختار الدرجة التي يريدها في الجنة ويري الأوصاف ويدفع الثمن لله ليكافئه بهذا النعيم يوم يخرج من هذه الدنيا

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ (٧٣الزمر)

والأبواب مفتوحة من الآن لكي تنظر وتري ...، أما الآخرون أعاذنا الله فلن يروا زنازنهم إلا بعد أن يذهبوا إلي هناك ...

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ (٧١الزمر)

ما الذي فيها؟ لا يعرف لأنه يؤخذ علي غرة، أما أنت فلا بد أن تعرف الآن.

• طلاب الوجه

لذلك كان الرجل الصالح سيدي أبو علي الروزباري ﷺ عند أنفاسه الأخيرة جلست أخته بجواره تبكي فقال لها لم تبكين؟ ها أنا أري أبواب السماوات وقد فتحت وأري الجنات وقد زينت وأسمع منادياً ينادي ويقول يا أبا علي قد بلغناك الدرجة القصوي من الجنة وإن لم تكن تريدها.

وهناك صنف آخر يقولون نحن لا نريد الدار إلا من أجل الجوار:

ويريدون جوار من؟

يريدون جوار النبي المختار.

فماذا نفعل لكي نكون في هذا الجوار؟

نقتدي به ونهتدي بهداه ونتابعه في كل الحركات والسكنات ونتخلق بأخلاقه بين عباد الله لأن ذلك هو ما سيبلغنا هذه المترلة يوم لقاء الله، من الذي سيكون مع حضرة النبي؟ قال ﷺ في الحديث الطويل المروي في الكتب الصحاح :

{ إنَّ أَحَبَّكُمْ إلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخلاَقاً المُوَطَّئُونَ أَكْنَافاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إلَيَّ المَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ المُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَيْبَ } [٨٦]

مثل هؤلاء هم الذين يريدون جوار النبي المختار.

وهناك جماعة أخري يريدون نعيم أكمل وأجمل وأبهي وهو أن يتمتعوا بالنظر إلي جمال الله، وعندما يدخلون الجنة ويكشف الله ﷻ لهم عن عز جنابه وعن عظيم جماله فيرونه ﷻ بالنور الذي يقويهم به علي رؤيته ﷻ .

ومن هؤلاء الشيخ عمر بن الفارض ﷺ عندما كان في الأنفاس الأخيرة كشفوا له عن قصوره في الجنة فلم تعجبه وقال مخاطباً الله ﷻ :

فإن تك منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

فماذا يريد؟ يريدون وجه الله

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ (٢٨الكهف)

وهؤلاء هم أهل الدرجات العلى وأهل المنازل الراقية والمقامات السامية، والذين نسميهم طلاب الوجه وليس طلاب الجنان أو طلاب العطاء والإحسان وإنما طلاب الوجه العلى.

وأوصاف هؤلاء أن يكون الفؤاد خالياً إلا من رب العباد ﷻ في كل الأحوال، يتقلب فؤاده بين يدي مقلبه فلا يتقلب في الدنيا ولا يتقلب في الأهواء ولا يتقلب في الطعام والشراب ولا في المال وإنما يتقلب دائماً قلبه بين يدي الواحد المتعال ﷻ ، كل هذه درجات في الجنة يجب أن يعرفها الناس.

---

٨٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود باختصار

الدعوة الحكيمة

لكن عندما نركز للمؤمنين علي، سورة القارعة :

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾

فما شأنه بالقارعة؟ إنها للمجرمين.

مثلاً الرجل الذي يعمل عندي وهو مجد ومجتهد، ماذا أبين له؟ العلاوات التشجيعية التي سيحصل عليها نتيجة اجتهاده والترقيات التي سيأخذها نتيجة جده واجتهاده، فهل يجوز أن أخوف هذا المجتهد بلائحة الجزاءات وأنه إذا أخطأ يحدث له كذا وكذا؟ لا ،ولكن مثل هذا الكلام أقوله للرجل المتسيب المهمل كثير الأخطاء.

مثال آخر علي مستوي الأسرة فإذا كان ابنك مجد ومجتهد في الدراسة، هل أقول له إذا لم تنجح فإن عقابك سيكون كذا وكذا؟ إن هذا أسلوب خاطئ في التربية وكل ما عليك أن تقوله هو إذا نجحت هذا العام فإني سأكافئك بكذا وكذا، وهكذ تكون التربية الإلهية والتربية القرآنية والتربية النبوية في كل زمان ومكان.

فما شأن أهل اليمين بالقارعة وما شأن المقربين بالحطمة وما أدراك ما الحطمة وما شأن المجدين والمجتهدين في عبادة الله ولظي ونزاعة للشوي تدعوا من أدبر وتولي وجمع فأوعي، كل ما عليَّ أن أذكره هو الترقيات التي سيحصلون عليها من أجل جهادهم والعلاوات الإلهية والنبوية والقرآنية والنورانية والروحانية التي سيحصلون عليها نتيجة عبادتهم وجهادهم، وهذه هي الدعوة التي قال فيها الحبيب:

{ بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا، وَلاَ تُعَسِّرُوا }[87]

نبشر من؟ من يفعل الصالحات ومن يعمل الخيرات ومن يجتهد في طاعة الله ومن يمشي علي الاستقامة في هذه الحياة.

---

[87] عن أَبِي مُوسَى سنن أبي داوود

أما البعيد عن حضرة الله من أهل الإيمان علينا أن نرغبه في التوبة ونفتح له أبواب القبول ونقول له تعالَ إلي الله إنه رءوف رحيم وتواب كريم، لأننا عندما نخوفه ييأس ويقنط ويتركنا أو يقول لا شأن لك أنا حر، أما العذاب فأذكره للكافرين والجاحدين والمشركين حتى عصاة المؤمنين فأنا مطالب أن أفتح لهم باب التوبة

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾

ماذا قال بعدها؟ هل قال ستدخلون جهنم والقارعة والحطمة؟ أبداً إنما قال

﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾

هناك ذنوب نخاف منها يارب قال لا تخافوا

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾

نريد أن نطمئن أكثر يارب قال

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ (الزمر)

تعالوا وادخلوا من باب الغفور ومن باب التواب ومن باب العفو ومن باب الرحيم تجده أرحم بك وأولي بك من أمك وأبيك.

إذن حتى عصاة المؤمنين المفروض أن نقربهم إلي الله ونعطيهم الأمل بأن الله سيغفر لهم، وكل ما عليه أن يتوب ويرجع، لكن أقنطه من رحمة الله وأقول أنت لم تصلي من أيام وستدخل جهنم وسيحدث لك فيها كذا وكذا، وهذا ما يحدث دائماً من إخواننا الذين لا يفهمون فقه الدعوة النبوية، وقد أعطانا حضرة النبي المثال:

فقد ذكر قصة رجل من بني اسرائيل قتل تسعة وتسعين فأراد أن يتوب بعد أن أعطاه الله صحوة بداخله فسأل هل لي من توبة؟ قالوا له اذهب لهذا الرجل العابد، وكان هذا الرجل متفرغ للعبادة لكنه ليس بعالم، فذهب إلي الرجل وقال هل لي من توبة؟ قال ابعد عني لأنك لو لم تفعل لنزل غضب الله عليَّ وعليك فقتله الرجل

وأكمل به المائة، فسأل مرة أخري هل لي من توبة؟ قالوا اذهب لعالم علمه العليم ﷻ

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦﴾ (٧٦) سورة يوسف

وإياك أن تأخذ العلم إلا من الذي علمه العليم، ومن أخذ العلم من معاهد التعليم أو من كتب العلم المنسوخة من قديم فإن علمه كله قديم، ومثل هذا العلم لا يروي الظمأ ولا ينبت النبات ولا يعطي الحياة لمن يأخذه من مثل هذا العالم.

إذن علينا أن نأخذ العلم من الذي علمه العليم ﷻ ، فذهب الرجل إلي العالم وقال لقد قتلت مائة فهل لي من توبة؟ قال ومن الذي يستطيع أن يمنع عنك التوبة، وكل ما أراه أن بلدتك والبيئة التي تعيش فيها يزينون لك المعاصي فعليك أن تترك هذه البلدة وتذهب للبلدة الفلانية فإن بها أناس صالحون.

فعليك يا أخي أن تختار الصاحب الصالح لأن النبى قال :

{ المرءُ على دين خَليله، فلْيَنْظُرْ أحدُكم مَنْ يُخَالِطُ أو يُخَالِلُ } [٨٨]

لأنه هو الذي سيعينك علي طاعة الله، فمشي الرجل نحو هذه البلدة فجاءه الموت، من الذي يترل؟ كما قلنا اليوم فإن الذي يتوفى الإنسان إذا كان من الكافرين والمشركين والمذنبين الذين لم يتوبوا توبة نصوحة إلي رب العالمين ملائكة العذاب، وإذا كان من المؤمنين أهل اليمين الصالحين المستقيمين يتوفاه ملائكة الرحمة:

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (١١السجدة)

فمن وكل بالكافرين؟ ملائكة العذاب، ومن وكل بالمؤمنين؟ ملائكة الرحمة، ومن وكل بالمقربين؟ زعيم ملائكة الموت عزرائيل، وهناك من هو أعلي من ذلك ولا يستطيع أحد من الملائكة أن يقبض أرواحهم وهؤلاء كانوا يقولون "وتولي قبض أرواحنا بيمناك مع شد الشوق إلي لقائك يا رحمن" وكيف يقبض الله أرواحهم؟ عندما يتجلى لأحدهم حضرة الله بجماله يهيم في كماله فيأخذه الله إليه، والدليل

---

[٨٨] عن أبي هريرة مسند الإمام أحمد

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ (٤٢ الزمر)

والأنفس جمع قلة أي أناس معدودين يتوفاهم الله بذاته حين موهتا.

وعندما جاء الموت إلي الرجل وكما قال حضرة النبي اختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، تقول ملائكة العذاب نحن الذين سنقبض نفسه لأنه لم يعمل حسنة واحدة، وتقول ملائكة الرحمة لقد خرج تائباً لله ﷻ ولديه النية لذلك.

ونزل الفريقان وحدث خلاف بينهم فأنزل الله ﷻ ملكاً من السماء يحكم بينهم فأشار الملك أن قيسوا الأرض من البلدة التي خرج منها إلي البلدة التي كان ذاهباً إليها، وإذا كان الرجل أقرب إلي البلدة التي خرج منها فإن من يقبض روحه ملائكة العذاب، وإن كان أقرب إلي البلدة التي كان ذاهباً إليها يقبض روحه ملائكة الرحمة، وفي الحقيقة كان الرجل أقرب للبلدة التي كان خارجاً منها! وكان بينه وبين نصف المسافة قيمة ذراع، قال ﷺ: فأوحي لله إلي الأرض أن امتدِّ!، فوجد الملائكة أن الرجل أقرب إلي البلدة التي كان ذاهباً إليها.. فقبضت ملائكة الرحمة روح الرجل مع أنه لم يعمل حسنة واحدة في حياته...

لكن الموضوع أنه نوي أن يتوب إلي الله ﷻ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ (البقرة)

إذن من يوفقه الله في الدنيا ماذا يفعل؟ .. يبحث عن هؤلاء التوابين ويدخلهم علي رحاب رب العالمين ولا يقنطهم من رحمة الله ولا يجعلهم ييأسوا من البشريات التي ذكرها كتاب الله ويوصد أبواب دخول الجنة أمامهم، ومثل هذا نقول له ما شأنك يا أخي؟ هل معك الأحكام أو اطلعت علي الأختام؟ إن الحكم إلا لله ﷻ .

إذن من الواجب عليَّ وعليك وعلي كل مؤمن أن نذكر الناس بالجنة لنحببهم في الأعمال التي يدخلون بها الجنة، ونقرب للعصاة والمذنبين الطريق ونقول تعالوا فإن طريق التوبة مفتوح والتائبين ربنا يحبهم ويبدل سيئاتهم حسنات، ومن الجائز أن يأتي تائب اليوم إلي حضرة الله فيجعله من أولياء الله ويجعل له مقام عظيم في الجنات.

وهذه هي الدعوة التي كان عليها سيدنا رسول الله وكان عليها الأئمة الهـداة الذين يعلمهم العليم عز شأنه، أما النار فإننا نخوِّ ف بها الفجار والأشرار وذلك مـن أجل أن يرجع ويتوب، ومثل هؤلاء الدعاة يقول فيهم الله (٩٠الأنبياء):

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

سيدي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في لحظة إنتقاله ... اللحظة نظـر وحـدق ... وأطال .. ثم قال لمن حوله بعد أن تبسم:

{إني أري حضرة ما هم بجن ولا إنس}

ثم تبسم وخرجت روحه للقاء الله عز وجل .

فنعرف الناس أن الملائكة يجلسون منه مد البصر ويقولون له يا أيتها الـنفس الطيبة، وهذا هو خروج الروح ... فلا مشرط ولا جذب كما يقولون ولا شـد ، أيتها النفس المطمئنة الطيبة اخرجي إلي روح وريحان ورب راض عنك غير غضبان، ثم يسوقون له البشري فيقولون أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك وتخـرج، كيف يكون خروجها؟ قال الحبيب في شأنها:

{ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقُطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ} [٨٩]

أي كما تخرج قطرة الماء من الصنبور فهل تؤذي أو تضر؟ كلا. وهـذه هـي حالة المقربين وأهل اليمين، وهذا هو ما يجب أن نبشر به المؤمنين فى كل وقت وحين.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل الدرجات العلى في الجنة، وأن يتم علينا منتـه فيجعلنا من أهل النظر إلي وجهه الجميل، وأن يرزقنا صحبة النبي المختـار ويرزقنـا جواره في دار القرار ويجعلنا تحت لواء شفاعته ويمتعنا بالشراب من حوضه الشريف بيمناه فنشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً.

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

---

[٨٩] مسند الإمام أحمد

الفصل العاشر

موازين حج الحقائق

• حج الحقائق

كل إنسان فيه حقائق لا يعلمها علي الحقيقة إلا من كشفها له مولاه..

الناس مشغولة بالحقيقة الظاهرة وهي الجسم وهو من طين فجعل الله ﷻ لــه الكعبة التي يطوف حولها ويتجه إليها في صلاته، وهي أيضاً من عالم الطين.

وفيه قلب وهو من النور، وجعل الله لهذا القلب لمن كشف الله له عنه وجعله يتصرف فيه وبه كما نتصرف نحن بأجسامنا حجا ...، وهذه أحوال عالية وموجودة لبعض الصالحين، فإذا لم تستطع فلا تنكر، علي الأقل سلم!، فإذا لم يصل مقامك إلي هذا الحال فسلم كلام الرجال.. فهناك أناس يتصرفوا في قلــوبهم كمــا نتــصرف بأجسامنا ويراه ويحركه ويذهب به حيث يشاء في عالم الملكوت.

وملكوت كل شيء باطنه، والقلب ليس له حدود ولا مسافات ولا جهـــات، يقطع ما بين السماوات السبع والأراضين السبع في أقل من لمح البصر لمن أراد الله له ذلك وجمله بذلك.

هذا القلب له كعبة يطوف حولها وله وجهة يتجه في صلاته(أى صلته) إليها :

صلّ صلاة اتصال تحظي بالحسنى واستغرق الوقت في كشف بلا ميل

فهم مشغولون بالتوجهات الروحانية والأنوار الربانية التي تواليهم وتواجههم

في كل أنفاسهم في حياتهم الدنيوية

في كل نفس له نور يواجهه من حضرة الحق ترويحاً وتيقينا

حتى وهو يتكلم معنا لكن قلبه في عالمه، ولا يطلع علي حقائق هذا المقام إلا كمل الرجال، هذا القلب كعبته النور الأعظم والسر المطلسم الحبيب الأكرم ﷺ لأنه قال "**إن في القلب لغيب وإن في الغيب لسر وإن في السر لنور وإن في النور لأنا**" فيتجه القلب إلي رسول الله يطوف حوله.

ليس إلي محمد بن عبد الله ولكن إلي رسول الله أي إلي ذاته النورانية وحقيقته القدسية يطوف حولها طوافاً لا تحيزه جهات ولا يقطع به مسافات، وإنما طوافه غرف من الفتوحات ورشف من الشراب الطهور من الحضرة المحمدية من التجليات والمكاشفات والمواجهات والمؤانسات، مما لا يستطيع كشفه حتى لأهل هذه الحالات لأن لكل رجل مقام معلوم في هذا الفتح من السر المكتوم.

وربما ينكر الرجل الذي في هذا الفضل وهذا الفتح علي الرجل مثله الذي في هذا الفتح لأن لكل رجل فتحه ولكل رجل خصوصيته التي خصه بها الحبيب الأعظم ﷺ، وفي هذا المقام يقول الله ﷻ لسيدنا موسي عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام:

﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً﴾

وبيوتهم ليست المباني ولكن قلوبهم

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٨٧ يونس)

أي الصلة بالله والصلة بخلق الله، أي وصلوا الخلق بحضرة الله لأنكم سر هذه الوصلة التي أنزلها الله جل في علاه وفيها يقول الله ﷻ لنا

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾(١٢٥البقرة)

لم يقل من مكان إبراهيم أو من الحجر الذي وقف عليه إبراهيم، ولكن اتخذوا من المقام الذي وصل إليه إبراهيم، ومصلي أي صلة، أي اجعلوا همكم أن تصلوا إلي

هذا المقام ليتم قربكم إلي الله ﷻ ، وإبراهيم قال الله ﷻ له

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً ﴾

أي القصد إلي الله "يأتوك" ولم يقل يأتين لأنه سيكون الذهاب هنا للبيت، ولكن يأتوك أنت، ومن الذي سيأتيك "رجالاً" أي في مقام الرجال

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾

أي علي كل جسد ضامر من الجهاد من الجوع والظمأ ومكابدة الليل وجهاد النفس

﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾(٢٧الحج)

لماذا؟

﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾

ليصلوا إلي مقام المشاهدة، ولم يقل لينظروا أو ليرو ولكن "ليشهدوا منافع لهم" فيشهدوا منافع روحانية ومنافع نورانية ومنافع شهودية ومنافع من العلوم الوهبية ومنافع لا عد لها ولا حد لها من الأسرار القرآنية والأنوار المحمدية والعلوم العرفانية يجعلها الله لهؤلاء لأنهم أهل الخصوصية : (٢٨ سورة الحج)

﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم ﴾

علي ما أعطاهم، فإذا ارتقى صار الآذان كما قالوا علي هذا الشأن الذي يقوم به في الحقيقة هو النبي العدنان، فمنا من يسمع آذان الخليل فيلبي ويذهب لزيارة الله في بيته الجليل، ومنا من يسمع نداء الحبيب فيسمعه بسره ويخلو بمناجاة ربه بغير رقيب وكلٌّ يسمع علي قدره بما وصل إليه سير سره وصفاء قلبه.

"وأذن في الناس" الذي أذن في الحقيقة بعد ذلك من؟ سيدنا رسول الله هو الذي يؤذن في كل زمان ومكان للناس ليشهدوا منافع لهم عند حضرة الرحمن ﷻ ،

وسيدنا رسول الله ﷺ أحياناً ينيب عن حضرته رجلاً في مقام خلته ويأمره أن ينـــادي علي أهل القرب من حضرته، وفيه يقول الإمام أبو العزائم ﷺ

يؤذن إبراهيم يسمع من لبي فيجذب قول الفرد مصطلماً صباً

ويؤذن إبراهيم أي من هو في مقام إبراهيم في عصرنا، فيطوف حوله ليؤدبـــه بالأدب الواجب له ليواجه الحبيب المختار ثم يؤدبه الحبيب المختار بما ينبغي أن يتأدب به حين يتجلى الله ﷻ له من القدس الأعلى بخالص الأنوار وبصافي الأسرار وتلـــك رتب يسير فيها الأخيار يقول فيها الله ﷻ

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾(الصافات)

فإذا ارتقي الإنسان في المقام وصارت روحه لها الهيمنة علي هذا الجسم وقـــد ملأها الله ﷻ بالوله والإصطلام .... فإن الروح تحن إلي حبيب ذي رفعـــة ومقـــام، تريد أن تطوف حوله، وأن تنال شيئاً من سره... ، وطواف الروح لتحصيل الفتوح بأمر من الملك السبوح ﷻ .

هذه المقامات كلها حقائق لها حجها ولها طوافها ولها سعيها ولها عرفاقا، وهذه الأمور لا نستطيع كشفها لأن العبارات والكلمات لا تتحملـــها، وآذان العقـــول لا تطيقها، فمن سمع هذه الكلمات بالعقول فهو في أفول ولكنها كلمات من القلوب إلي القلوب، يقول فيها الإمام أبو العزائم ﷺ

أمن القلوب إلي القلوب شرابي ومن الفؤاد إلي الفؤاد خطابي

ومن اللطيفة للطيفة نظرتي تعطي لمطـــلوب من الوهاب

نسأل الله جل في علاه أن يكشف عنا كل حجاب حتى نسعى ظاهراً وباطنـــاً بين القلب والروح لنفوز بالفتوح ونكون من الذين يطوفون بأســـرارهم بالحبيـــب المختار ومن الذين يتجلى لهم الله بأسراره في كل لحظة من ليل أو نهار، وصـــلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

الفصل الحادى عشر

موازين أهل العناية [٩٠]

- الغاية من العبادات
- مقام المعية
- ميزان ابتلاء الأنبياء والأولياء
- قلوب الصالحين

[٩٠] المعادي – الخميس الموافق ٢٠٠٧/١٢/١٣ – ٤ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ

• الغاية من العبادات

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

ما نسك الله ﷻ المناسك، ولا أمر بالعبادات من صلاة وصيام وحج، ولا رغب في النوافل والقربات من قيام لليل ومن ذكر وفكر وتحميد وتمجيد واستغفار وصلاة علي النبي المختار، ما أمر الله بذلك أو حض أو حث علي ذلك إلا ...

لأنه ﷻ يطلب من عباده أن يعلموا أن الغاية العظمي من كل الأوامر والتوجيهات والعبادات هي ذكره سبحانه وتعالي علي كل الحالات، فكل العبادات الغاية منها ذكر الله، وإذا كان الله ﷻ يطلب من خلقه أن يذكروه فليس لحاجة منه ﷻ حاشا لذلك، وإنما لأنه ﷻ يريد رفعهم ويحب نفعهم وانتفاعهم، ويريد أن يجعل الحياة الدنيا خاضعةً ومذللة لهم والآخرة دار القرار والهناء لهم، ويجعلهم متوجين بتاج ولايته وفي الآخرة ملحوظين بعين رعايته وعنايته، مجموعين تحت لواء سعادته حتى يرزقهم جواره في جنته ﷻ ، فكل من يريد الله ﷻ له الفضل والإنعام والإكرام، فإنه ﷻ يوجهه ظاهراً وباطناً لذكره ﷻ في كل مقام، قال ﷺ "إذا أحب الله عبداً ألهمه ذكره" فأفضل الإلهام وأعلي الإلهام وأعظم الإلهام أن يلهم الله ﷻ العبد بذكر الله علي الدوام.

تفرح النفس إذا ألهمت بكلام تقوله للأنام لأن في ذلك حظ للنفس من التعظيم والتبجيل، تستشرف النفس لذلك لأنها تعجب بذلك وتريد أن تنال الرضاء والاستحسان من السامعين والحاضرين، أو تنال الثناء من السامعين، لكن أعظم إلهام يتفضل الله ﷻ به علي رجل من الأنام أن يلهمه ذكره علي الدوام، أن يكون من الذين يقول الله ﷻ فيهم في أطيب وأعذب وأحلي وأجمل الكلام (١٩١آل عمران):

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾

ويعطيه الله ﷻ علي ذلك ما يريد، يجعل له ثناء في عالم النور والجمال والبهاء

فيذكره أهل كل سماء، يذكره حملة العرش والحافين بالكرسي وأهل الجنات وكل عمار السماوات لأن الله ﷻ يقول في حديثه القدسي:

{ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي. وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي. فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُ. } [٩١]

• مقام المعية

ويكفي العبد إذا ذكر الله أن الله ﷻ فوراً يتفضل عليه بأعلى مقام خص به عباد الله المقربين بل والأنبياء والمرسلين، أعلي مقام يتفضل الله ﷻ به علي أفضل البشر والأنام – ما هو؟ مقام المعية (سورة النحل):

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

ومعية الله ﷻ ليست معية جسمانية أو شبحية أو ظاهرية لأن الله ﷻ تعالي عن ذلك، فكل ما خطر ببالك فهو هالك والله ﷻ من وراء ذلك.

وإنما معية الله ﷻ معية إحاطة يحيط بالعبد من جميع وجهه حتى يجعله خالصاً لحضرته، فكلما أرادت نفسه أن تميل به إلي الدنيا فطمه عن ذلك وكلما أرادت نفسه أن تهوي إلي الحظوظ حفظها من ذلك إن كان من أهل الحفظ وهم الأولياء أو عصمها من ذلك إن كان من أهل العصمة وهم الأنبياء، فالحفظ للأولياء والعصمة للرسل وللأنبياء.

وإذا تولي الله عبداً بهذه الولاية وأحاطه بهذه العناية كان من أهل سعادة الله في البداية ومن أهل خاتمة الحسني في النهاية ومن أهل رعاية الله في كل غاية وكان عبداً لله في كل حال، وما أعظم هذه المترلة لمن يعلمها ويقدرها قدرها:

---

[٩١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صحيح البخارى ومسلم

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾(يونس)

وتلك غاية العارفين وطلبة الأفراد والمقربين ومنية كل الصالحين والأمل الأعظم حتى للأنبياء والمرسلين أن يتولاه الله بولايته وأن يحيطه بعنايته ويجعل الله ﷻ أمره كله من بدايته إلي نهايته موكولاً إلي حضرته ﷻ ولا يكله إلي نفسه ولا إلي غيره طرفة عين ولا أقل.

وأنتم تعلمون أن وِرد الحبيب ﷺ الذي كان يداوم عليه كل يوم بعد صلاة الفجر، فكان بعد أن يصلي الفجر بأصحابه ويطلب منهم أن يقصوا عليه رؤياهم ليؤولها لهم، ثم يخلو بنفسه مع ربه وكان وِرده كما جاءت كتب السنة المشهورة:

"يا حي يا قيوم لا إله ألا أنت برحمتك أستغيث فأغثني، ولا تكلني إلي نفسي ولا إلي غيرك طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا أكثر، وأصلح لي شأني كله يارب العالمين"

كان يكررها علي الدوام في كل صباح عندما يخلوا مع الله ﷻ ، وهي أيضاً وِرد الصالحين الكمل فيحافظون عليها علي الدوام، فحافظوا عليها تحشروا في زمرتهم وتكونوا من أهل معيتهم، وأظنه دعاء جامع مانع محيط بكل طلبات العبد ورغباته وآماله في الدنيا وفي الآخرة بل والمنازل العالية والمقامات الراقية مع أنه ورد صغير لكن فحواه ومعناه كبير لأن الذي نطق به هو البشير والذي ألهمه به وأوحي به إليه هو العلي الكبير ﷻ ، فيا هناء من داوم علي هذا الورد والذي يداوم عليه يجد عاقبته في الحسني وفي المآل.

فغاية الغايات وأكبر الأمل للصالحين والصالحات أن يكون في معية الله، ومعني

أنه في معية الله أنه محسوب علي مولاه إذا استعان به في أمر أعانه فوراً وقـــواه، وإذا طلب منه طلباً سارع فوراً ولباه وأجاب دعاه، وإذا حتى أوقعته نفـــسه في غفلـــة أو سهو أو نسيان ذكّره الله لأن الله يحبه

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ (٢٠١الأعراف)

وإذا كان جاهلاً علمه الله

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾(٢٨٢البقرة)

وإذا كان في خلقه سفهاً أو حدة أو أي شيء سَوي أدبه وخَلقه بأخلاقه مولاه:

{ أَدَّبَنِي رَبي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي } [٩٢]

وإذا قذفه الخلق ووقعوا في عرضه أو في سبه أو في شتمه أو في حربه فإن الذي يتولى الدفاع عنه هو الله :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾(٣٨الحج)

ناهيك عن الذين أحسنوا فقد قال في شأنهم :

{ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ } [٩٣]

يدافع عن المؤمنين العَاْدّيين، ولكن يعلن الحرب علي مـــن يحـــارب المحـــسنين والموقنين، ومن يطيق حرب الله ﷻ والله ﷻ لا يغلبه غالب ولا يفر منـــه هـــارب، السماوات في قبضته والأرض في قبضته وكل شيء في الأكوان في قبضته.

من كان في معية الله فإن الله ﷻ يتجلى لقلبه بأنواره وبإلهامه وبعلومه وبأسراره وبخصوصية كتابه وبمنازل حبيبه وبمقامات أنبياءه ورسله، ويجعله عبداً ربانياً يقول في

---

٩٢ ابن السَّمْعَانِي في أَدَب الإِمْلاَء ،عن ابن مسعُود رضِيَ اللَّهُ عنهما.
٩٣ رواه البخارى في صحيحه) عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ

شأنه فى (سورة الكهف):

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

معية الله كيف ينالها العبد؟ .. فوراً .. يقول في شأنها النبى ﷺ عن رب العزة :

{ أَنَا مَعَ عَبدي إذا ذَكَرَني وَتحركت بي شَفَتَاهُ }[٩٤]

هل هناك طريق أيسر من ذلك يا أهل الله؟! يقول الغني بذاته وبصفاته عن جميع مخلوقاته بجلالي وكمالي وكبريائي وعظمتي وعلومي وأسراري وأنواري وخيري وبركتي أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه، بمجرد أن تبدأ الشفتين تتحرك لذكر الله ويكون معهم القلب يستحضر عظمة الله وكبرياء الله وجلال الله فاللسان يذكر والقلب يحضر أو يستحضر، بمجرد أن يفعل ذلك يدخل في معية الله ..

ياإخوانى ... ولو مكثنا في مقامنا هذا إلي الصباح ... نتحدث عن عشر معشار ما خص الله به أهلها ... ما استطعنا إلي ذلك سبيلاً، ولا تتحمل العقول ذلك ولا تطيق القلوب ذلك لأن لهم حال عند الله لا يعرفه إلا من ذاق فعرف، يعرف ما لهم، يكفي قول الله ﷻ في شأنهم

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣٤الزمر)

من يستطيع أن يحيز هذه الكلمات؟ أو يقنن هذه العبارات؟ "مَّا يَشَآءُونَ " مفتوحة في الدنيا ويوم الدين وفي جنات النعيم، حتى أنهم كما قال بعض الصالحين في شأنهم إذا احتاروا في أمرهم ماذا يطلبون من ربهم؟ تجلى الله ﷻ في قلوبهم فألهمهم ما يطلبونه من إلهم ليلبيه الله ﷻ لهم، وبعد ما يطلبوا كل ما سمعوه وما عرفوه ويحببها الله يتجلى لهم الله بحقائق صادقة في قلوبهم بما يطلبونه مناسباً لمقامهم ومناسباً لحالهم حتى يعطيه الله ﷻ لهم بناءاً علي طلبهم لأنه قال :

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٦٠غافر)

[٩٤] صحيح البخارى عن أبي هريرة

● ميزان ابتلاء الأنبياء والأولياء

هؤلاء القوم لأن الله أدخلهم في معيته وجعلهم من أهل حصون عنايته فإن الله ﷻ يغار علي قلوبهم أن يدخل فيها غير حضرته، لهم معاملة مخصوصة بالقلوب مع حضرة علام الغيوب ويحاسبهم الله ﷻ علي ذلك بمثاقيل الذر حتى يدوم صفاؤهم ويدوم نقاؤهم ويدوم أنسهم وتدوم لهم معية الله ﷻ .

ومن هذا الباب فسر إن شئت كل ما هو في ظاهره بلاء أو ابتلاء للمرسلين والأنبياء والصالحين والمتقين، ظاهره بلاء لكن باطنه اجتباء واصطفاء لأن الله ﷻ أحبهم ولا يرضي لهم أن يبرحوا عن بابه أو أن ينشغلوا عن حضرته أو يلتفتوا عن جمال سدرته أو طلعته، يريدهم دوماً عليه مقبلون وبه ﷻ سائرون وإليه ﷻ من كل شيء في الدنيا يفرون في كل أحوالهم حتى ينالوا المقام الأمين الذي يقول الله ﷻ في شأنه لسيد الأولين والآخرين

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾(الحجر)

ومن هنا كانت قصص الأنبياء والمرسلين وتبريرها بهذا الميزان الذي ذكرناه وهو ميزان البلاء والابتلاء للمرسلين والنبيين والصالحين، الله ﷻ يغار علي قلوبهم أن يدخل فيها غير ذاته، يجعلوا أجسامهم لمن يشاءون من زوجة أو ولد أو أهل أو صحب أو عمل أو دنيا فانية، لكن القلب لا يكون إلا لله ولا يسمحون طرفة عين ولا أقل أن يتغير أو يتحول عن حضرة الله، فإذا تحول أو تغير بادره مولاه بالابتلاء ليرده إلي الحضرة الإلهية ويجعله دوماً في معية الله، وإذا انشغل عن الله رده الله ﷻ بالابتلاء والاجتباء حتى يصطفيه وينقيه ويجعله دوماً مع الله في كل حال، وهذا سر بلاء كل الأنبياء والمرسلين.

وانظروا معي إلي أبينا إبراهيم عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم عندما بين الله ﷻ لنا لمحات من تربية الله ﷻ له، فهي تربية بالبلاء للرسل والأنبياء

والصالحين والمتقين تربية ربانية، الله يربيهم بذاته ولا يوكلهم إلي أحد من مخلوقاته:

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾(طـه)

يصنع علي عينه بهذا البلاء.

انصرف إبراهيم إلي الكواكب يتفكر فيها ويتدبر في شأنها فرده الله ﷻ بـأن سبب الأسباب حتى جعله يلقي في النار، وعندما يلقي في النار لا تكـون في القلـب شعبة إلا للواحد القهار، فالإنسان عندما يلقي في النار أو عندما يشرف علي الغـرق في البحار، أين ملجأه إلا إلي الله :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل ٦٢]

ولذلك فإن الله ﷻ أراد أن يبين لملائكته ﷻ تربيته لعبده إبراهيم عندما قالوا له يا إلهنا إن عبد ك وخليلك يلقي في النار، فقال عز شأنه هل استغاث بكـم؟ هـل استجار بكم؟ إن كان قد استغاث بكم فأغيثوه وإن كان قد استجار بكم فـأجيروه، فقالوا يا ربنا لا بد لنا من إغاثته ولو لم يطلب منا، قال فليترل كبيركم بالنيابة عنكم، فترل الأمين جبريل وعرض خدماته علي الخليل، وقال بلسان الأدب ألـك حاجـة؟ فقال إبراهيم الذي استوعب الدرس لأنه نبيل من النبلاء، والنبلاء في الكون كله هم الأنبياء والمرسلين وكُمَّل الأولياء والصالحين، فقال إبراهيم أما إليك فلا، فطلب منـه أن يعاونه ليبلغ رسالته إلي الله ولم يلحظ أنه في معية الله ولا يغيب عنه مولاه طرفـة عين ولا أقل فكيف يطلب من سواه؟

إن من كان في معية الله عار عليه وعيب أن يتجه بقلبه إلي سواه أو يطلب من أحد غير مولاه لأنه لا يشهد في الكونين ضاراً ولا نافعاً ولا محيياً ولا مميتاً ولا رازقـاً ولا معطياً إلا حضرة الله، ويشهد كل الأكوان العالية والدانية فقيرة إلا إذا أمـدها الله، فكيف يطلب من فقير وهو بين يدي الغني، أيترك الغني ويطلب من الفقـراء؟ لا يليق هذا بالأنبياء والمرسلين وكمل الصالحين والمقربين.

فقال الخليل لجبريل علمه بحالي يغني عن سؤالي، فلما تحقق بصدق دعوتـه في

التوجه إلي الله وعدم انشغال قلبه لحظة عن مولاه كان النداء من الله بصرف نار البلاء عنه لأنه رجع إلي أصله الأول وفطرته السامية وهي التوجه بالكلية إلي الله.

﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾(الأنبياء)

فكان كما قال من يقول للشيء كن فيكون.

فلما هاجر إلي فلسطين، ورأي الله ﷻ في قلبه شهوة الولد، رزقه الله ﷻ بالولد، لكن الله عندما يرزق أحبابه وأولياؤه بأي نعمة من نعم الدنيا، أدبه معهم وأدبهم معه ﷻ أن يكون ذلك في أيديهم وليس في قلوبهم، ولذلك كانوا خيار المؤدبين من أصحاب النبي الأمين يقولون "اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا" لأنهم علموا أن القلوب لله ولا يجب أن تشغل عن حضرة الله نفساً ولا أقل، فلما انشغل قلب الخليل بالغلام أمره رب الغلام وخالق الغلام أن يخرجه من قلبه، وإكراما له ولصلاحه يلقيه في موضع البيت الحرام.

انظروا إلي أدب الله مع كمل أنبياء الله ورسل الله، ولذلك سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه يقول وُلد لي اثني عشر ولداً ما ولد لي واحد منهم إلا وكبرت عليه أربعة تكبيرات، أي لم يجعله في قلبه، وإن كان هذا ليس المقام الأعلى لكنها أحوال الصالحين والمتقين يخرجه من قلبه ويتركه لله يتولاه

﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾(الأعراف)

أيهما أكرم وأيهما أعظم أن تتولي ابنك بولايتك أو يتولاه الله ﷻ وهو الولي بولايته؟ ولاية الله.

ولذلك سئل سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ لَم نري أولادك بررة وصالحين ومتقين وفي الدنيا مرزوقين ومستورين مع أنك ليس عندك وقت لرعايتهم؟ فقال ﷺ انشغلنا بالله وتركنا أمر الأولاد علي حضرة الله فكانت عناية الله بهم أكمل من عنايتنا بهم لو كنا معهم بهذه العناية، وهذه هي أحوال الصالحين في كل وقت وحين.

ذهب إبراهيم بعد ذلك لزيارة ابنه عندما بلغ مقام اليفوعة ثم الشباب، وصار

شاباً غضاً يسر النظر، فدخل الإعجاب به في فؤاده، فأدبه الله ﷻ وطلب منه ذبحه

﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾

"فانظر ماذا تري" أي أن إسماعيل كان من أهل الكشف لأنه نبي، وما الـذي عرَّف إسماعيل أن هذا أمر؟ الإلهام الذي ألهمه به الذي يقول للشيء كـن فيكـون، فكان إسماعيل غلام مُعلَم يري الغيبيات ويري بنور قلبه الأمور المعنويات لأن الله رباه علي ذلك فقال لأبيه :

﴿قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (الصافات)

وزاد إسماعيل فقال لأبيه لا تخبر أمي بذلك حتى لا تحزن عليَّ، وأخذا الحبـل والمنجل وتظاهرا أنهما ذاهبان ليحتطبا، وذهبا إلي مِني وقد أخفي المدية أي الـسكينة في ثيابه، وبعد أن وصلا والقلوب بالله ﷻ اتصلتا، قال يا أبت اشحذ المدية حـتى تقطع بسرعة وكبني علي وجهي حتى لا تنظر إليَّ فتأخذك الشفقة في تنفيذ أمـر الله ﷻ ،وانزع قميصي حتى لا يقع عليه الدم فتراه أمي فتحزن لأجلي، وشـد وثـاقي جيداً حتى لا يرتج عليَّ فأتململ من تنفيذ أمر ربي، ولما شد وثاقه قال يا أبـت فـك وثاقي حتى لا تقول الملائكة إني خاف من تطبيق وتنفيذ أمر الله ولا أنفذ أمر الله إلا موثقاً بالحبال، فقال الأب نعم العون أنت لأبيك يا بني، قال تعالى (سورة الصافات) :

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

فلما أسلما الوجه لله، لما تحقق كمال إسلام قلبه وباطنه لمولاه وأخرج منه شعبة حب الولد، ولم يعد فيه غير مولاه رفع الله ﷻ فوراً عنه هذا البلاء.

إذن البلاء للرسل والأنبياء والصالحين والأولياء إنما هو تأديب من الله ﷻ لهم

ليرجعوا إلي حضرته بالكلية إذا التفتوا عن حضرته طرفة عين أو أقـل، فيـتم لهـم الاجتباء ويكمل لهم الصفاء ويكونوا في معية الله ﷻ الدائمة لا يشغلهم عن الله ﷻ أحد سواه، ولذلك قال الله ﷻ " يا إبراهيم تدري لَمَ اتخذتك خليلاً؟ قـال لا، قـال لأنك جعلت بدنك للنيران ومالك للضيفان وولدك للقربان وقلبك للرحمن"

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٥﴾﴾(النساء)

هذا المقام وهو مقام الخلة جعل الله ﷻ لهذه الأمة نصيباً عظيماً فيه فقال فيـه ﷺ فى معنى الحديث :

{ لا تخلو الأرض من أربعين رجلاً علي قدم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فبهم ترزقون وبهم تغاثون وبهم تنصرون وإذا أراد الله ﷻ بأهل الأرض عذاباً نظر إليهم فصرف العذاب عنهم }

هم علي الأقل أربعون فقد يزيدون لأن فضل الله واسع وعطاء الله غير مجذوذ، ولأن فضل الله لهذه الأمة لا يحد ولا يعد لأنها أمة سيد الأولين والآخرين، وقد قـال الله ﷻ له خصوصية له :

﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾(النساء)

نفس الحال يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام:

فقد علم يعقوب بوحي الله وإلهام الله أن يوسف وارث نبوتـه، وهـو الـذي سيحمل أمانة النبوة من ولده، وزاده الله ﷻ تأكيداً ووضوحاً عندما أعلـم الله ﷻ الغلام وهو غلام عندما رأي الرؤية فقال له فى الآية (٥يوسف) :

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ﴾

تربية الله ﷻ للأنبياء عظيمة وللصالحين كذلك عظيمة... فعاتبه الله علي ذلك لأنه لم يلحظ أن الله يلحظه بعنايته ويحفظه بحفظه وصيانته لأنه مستودع لنبوته، كيف

يحمل النبوة ويتخلى عنه مولاه طرفة عين أو أقل؟ وكيف يصل إليه أحد من البـــشر بمكروه والله ﷻ أعلي شأنه وجعله نبياً من أنبياءه؟ .. فجعل الله ﷻ إخوته يكيدون له كيداً، فلو لم يذكر ذلك ما حدث له ذلك، وعندما جاء إخوته ليأخذوه سها وقال في سورة يوسف :

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾

فكانت كلماته هي الحجة التي اتكأوا عليها والمخرج الذي يخرجون بـــه ممـــا يفعلون، فعندما عادوا وسألهم عن يوسف قالوا أكله الذئب، فجاء الـــذئب عنـــدما أعلمه الله بذلك وجاء ماشياً حتى وقف أمام نبي الله يعقوب وقال يا نبي الله أنت تعلم أن الله حرم علينا أكل لحوم الأنبياء، فحرم الله علي الحيوانات أجساد الأنبياء وحرم الله علي الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء لأن الله عصمهم وحفظهم بحفظه وجعـــل الله العصمة للأنبياء والحفظ وراثة للأولياء الكمل الذين تابعو الأنبياء والمرسلين.

وكذلك كمل الأولياء؛ سيدي إبراهيم الدسوقي عندما وضعوه مع أسد جائع جداً في قفص، لم ينشغل بذلك وإذا هم يجدون الأسد يربت علي كتفه، فقالوا له بعد ذلك أما خفت الأسد؟ قال من انشغل بالله كيف ينشغل بغيره؟! قالوا وبمـــا كنـــت تحدث نفسك؟ قال أقول هل سؤر الأسد طاهر أم نجس؟ وغيره من الصالحين كثير .

فلما انشغل يعقوب بولده .. مثل الذي حدث مع جده أبعده الله عنه :

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾(٨٤يوسف)

ليس علي يوسف، ولكن علي الذنب الذي ظن أنه ارتكبه لأنه لم يوكله إلي الله ﷻ ولو وكله إلي الله ما برح دياره طرفة عين ولا أقل.

سيدنا يوسف عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما انشغلت بـــه زوجة العزيز وقُدم للمحاكمة وقال:

﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾(٣٣ يوسف)

فلم يعتمد تمام الاعتماد الواجب علي الأنبياء في هذا المقام علـــي حـــضرة الله فأدخله الله السجن ومكث فيه سبع سنين.

• قلوب الصالحين

قلب الرجل الصالح الذي يريد أن يكون من أهل المقامات لا ينشغل عـــن الله طرفة عين ولا أقل، ينشغل بجسمه مع أولاده ومع أهله ومع أصحابه لكن قلبه مع الله ﷻ ، ولذلك مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ كان يقول في هذا المقام وهو في البرلس:

لولا الذين تحبهم لفررت من كل الخلائق ســــائحاً فرارا

لكن قلوب العاشقين دعت إلي أني أقيـــم بدارهم مختارا

قلبي لديك وبالبرلس هيكلي أوصل إليك الصب أعلي منارا

حتى أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله ﷻ لما كانوا في غزوة بدر لا يعتمدون إلا على الله والقلوب معلقة بحضرته، لا على السلاح ولا عتاد ولا علي جمع ولا علي قوة بدنية، لا يعتمدون إلا علي المعونة الربانية، فكانت النتيجة أن نصرهم الله:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ﴾ (١٢٣آل عمران)

وفي غزوة حنين عندما رأوا جمعهم وكثرة عتادهم وقوة سيوفهم وشدة رماحهم وقالوا لن نهزم اليوم من قلة، أعطاهم الله ﷻ درساً في البداية لكنه أعقبه بالنـــصر في النهاية من أجل الحبيب المختار ﷺ، وقال معللاً ذلك آية (٢٥) سورة التوبة:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾

ثم كان سر النجاح (٢٦ التوبة) :

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

القلة المتحققون الذين كانوا حوله فهم الذين جاء الله بالنصر من أجلهم لأنهم قلوبهم لم تتعلق إلا بحضرة الله، ولم ترتكن علي غير الله طرفة عين ولا أقل، ولذلك لما فر أصحاب حضرة النبي من حوله وهربوا والعدو يحيط به من كل جانب ركب بغلة لا فرسا ومعروف بطئها، ومشي وهو يقول: أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

لأن الله حفظه بحفظه وعصمه بعصمته وقال له

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(٦٧المائدة)

هذه هي معية الله التي علمها في الدرس العملي لأبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه عندما قال أبو بكر يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، قال ﷺ :

{ يا أبا بكر ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (٤٠التوبة) ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! ثم أشار إلي مؤخرة الغار فوجد بحراً عجاجاً مطمطماً وعلي ساحله باخرة جاهزة عليها رجال يتأهبون للسفر، وقال يا أبا بكر لو جاءوا من هاهنا لخرجنا من هاهنا }

فكانت النتيجة عندما ارتدت الجزيرة العربية كلها ولم يبق إلا القليل الذي احتفظ بإسلامه ودينه — من الذي استوعب الدرس من الأصحاب؟ إنه أبو بكر، فجهز احدي عشر جيشاً وترك المدينة، قالوا يا خليفة رسول الله تترك المدينة وزوجات النبي أمهات المؤمنين ونساء الأنصار والمهاجرين بدون جيش يدافع، فقال قولته:{ والله لو تخطفت السباع أمهات المؤمنين بالمدينة ما رددت جيشاً أرسلته قط }

لماذا؟ لأنه واثق في الله ... واثق في فضل مولاه، وفي معية الله ومن كان في معية الله فإن ثقته بمولاه تجعله يستسهل كل صعب ويواجه كل شدة ولا يهمه أي أمر في هذه الحياة لأنه يمشي بالله ويتحرك بالله وتحوطه عناية مولاه ﷻ وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

الفصل الثانى عشر

موازين أهل الخصوصية [٩٥]

- حقيقة الإنسان
- جهاد الأصفياء
- مقام الإيقان

[٩٥] المعادي – الجمعة ٢٠٠٧/١٢/١٤ – ٥ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ، بعد الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن الآن نتعامل مع الله ﷻ بالجوارح والأجسام ونحاول أن تكون معها القلوب، أما الخاصة فقد جاهدوا حتى كان التعامل بينهم وبين الله بالقلوب وأخذوا معها الأجسام.

القلوب في أصلها وبدءها هي من عالم النور الموهوب من حضرة علام الغيوب، فعندما يكون التعامل بالقلوب تكشف عنها الحجب ويباح لها النظر إلي الغيوب لكن متي؟ إذا خلت من الذنوب وحفظت من العيوب، قال ﷺ عندما قرأ قول الله ﷻ :

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين)

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ، إِذَا أَذْنَبَ، كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ. فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ. فَإِنْ زَادَ زَادَتْ. فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ﴿الآية﴾ } [٩٦]

• حقيقة الإنسان

الإنسان في الأصل نور قبل عالم الظهور، ولذلك رأينا كل عوالم النور :

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا﴾ (١٧٢الأعراف)

ليس سمعنا ولكن "شهدنا" ماذا شهدنا؟ جمال الحضرة العلية وكل العوالم العلوية والملكوتية المندرجة في هذه الحضرة العلية، فلما نزل الإنسان إلي عالم الجسم في الدنيا حصل اللبس فأصبح الإنسان ثنائي بعد أن كان واحداً، فأصبح جسم وقلب، أو جسم وروح، أو جزء مكون من عناصر الأرض والجزء الثاني من نور الله.

[٩٦] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ سنن ابن ماجة

الجزء الظاهر من الدنيا والجزء الآخر من الآخرة، أو الجزء الظاهر من العــالم الذي نحن فيه واسمه عالم الملك، والجزء الآخر من عالم الملكوت، الملك يقول فيه الله :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾(١ الملك)

والملكوت يقول فيه الله :

﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٨٣ يس)

ويقول عن الإنسان "خلقتك بيدي" أي فيك الملك وفيك الملكوت.

الجزء الظاهر من عالم الظاهر والذي يرعاه اسم الله الظاهر الــذي يتجلــى في هذه المظاهر، والجزء الباطن يتجلى عليه اسم الله الباطن ويرعاه من عالم البطون ومن كل البواطن.

الجزء الظاهر نراه بالعين الحسية ولذلك يسمي عالم الشهادة، والجزء الباطن لا نراه إلا بالعين القلبية ولذلك يسمي عالم الغيب.

فالإنسان فيه غيب وفيه شهادة، فيه من عالم الشهادة الجسم ومن عالم الغيــب القلب والروح والسر والخفا وكل الحقائق.

فإذا استطاع الإنسان أن يجاهد ظاهره إلي أن يصفيه لأن الجسم مــن كثافــة وكثافته كثافة طينية لأنه من عناصر الأرض من تراب وماء وهواء ونار وهذه عناصر أي شيء علي وجه الأرض، فهو أولاً من ماء :

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾(سورة المرسلات)

وثانياً :﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾(٢٠ الروم)

فعندما نضيف الماء إلي التراب يصير طيناً ... :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾(الصافات)

وعندما نضيف إلي الطين النار والهواء ماذا يصير؟ فخار

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾(الرحمن)

ففيه العناصر الأربعة، وكل من علي ظهر البسيطة من العناصر الأربعة ولكن بنسب متفاوتة لا يعلمها إلا من يقول للشيء كن فيكون، ومادام فيه هذه العناصر الأربعة فهو كثيف أي لا تري من وراءه ولا تري من بداخله ويحجب من خلفه وهكذا جسم الإنسان.

أما الجزء الآخر في الإنسان فهو لطيف لا يُري إلا لمن كشف الله ﷻ عنه الحجاب فأصبح بنور الله يري، لكنه لا يُري بعين الحس ولكن يُري بعين البصيرة وبعين السريرة وبعين القلب وبعين السويداء.

• جهاد الأصفياء

فعندما يجاهد الإنسان هذا الجسم، والجهاد لا يكون إلا علي النهج الشرعي من كتاب الله ومن سنة رسول الله وعلي المنهج الذي كان عليه محمد رسول الله والذين معه، إذا جاهد هذا الجهاد فالجسم يتخلص من هذه الكثافة، ولما يتخلص منها يصير شفاف ولطيف فيصبح نور، فيكون الجسم نور والباطن نور فيكون نور علي نور، فيري حتى وهو في ظاهر الجسم وحتى وهو في عالم الحس عالم النور.

هل الكثيف يستطيع أن يشف؟

نعم فالزجاج عبارة عن رمل والرمل كثيف، لكن عندما يدخل الفرن الحراري علي درجات حرارة معينة يصبح شفافاً، كذلك الإنسان عندما يدخل دائرة الجهاد، ويُدخله مهندس قرآني في دائرة الجهاد ولا يكون عنده عناد ولا فتور ولاكسل ويدخل الجهاد سيصبح شفافاً.

هناك أناس لا يدخلون الفرن إلا بشدة وهم المجاذيب، وهم لا يدرون بالليل ولا بالنهار ولا بالشمس ولا بالقمر إلي أن يتم تصفية الجسم من كثافته،وهناك أناس

علي النهج الأكمل الذين يتبعون منهج رسول الله، فيكون مع الناس ويتزوج وينجب ويعمل مثل أصحاب رسول الله ﷺ تماماً بتمام لكن له جهاد مع الله ﷻ ، هذا الجهاد يخلص الجسم من الكثافة فيكون الجسم في هذه الفترة عبارة عن نور، ولما يكون الجسم نور فتكون هناك وراثة من رسول الله.

سيدنا رسول الله ﷺ كان إذا مشي لا يُري له ظل لأنه نور وكان إذا وقف في الصلاة يأتي بعد الصلاة ويحدث من خلفه ويعرفهم أخطائهم فيقولون يا رسول الله كيف رأيتنا وأنت في الصلاة فيقول ﷺ :

{ إِنِّي والله لَأَرى مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي كَما أَرى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ } [٩٧]

لأن ظاهره نور وباطنه نور وكله نور فأصبح يري من كل الجهات ويري كل الحقائق الظاهرات والخفيات.

هذه الحالة التي يجاهد فيها الصالحون حتى يصلوا إليها، لكن ليس جهادهم ليصلوا إليها حتى يتباهوا بها ويفتخروا بشأنها ولكن لكي يصلوا إلي رؤية نور الله الخاص الذي ادخره لعباد الله وحتى يتمتعوا بالنظر إلي وجه حبيب الله ومصطفاه الذي لا يغيب نفَساً عن هذه الحياة، فيكون معه رسول الله في كل نَفَس وفي كل حال كما كانت السيدة رابعة العدوية تقول:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للخليل مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسى

هذه حالة إن شئت قلت حالة خاصة ... لأنه لا يستطيع أن يصل إليها أحد إلا أهل الخصوصية.

وإن شئت قلت أنها حالة فريدة لأنها لا يخص الله بها إلا المفردين من عباده، وإن شئت قلت أنها حالة عجيبة لأن أهل العقول لا يصدقونها لكن القرآن ذكرها فى محكم الآيات ، فقال تعالى :

[٩٧] عن أبي هريرة هذا حديث صحيح على شرط مسلم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾(فصلت)

من الأفضل هم أم الملائكة؟ الملائكة خادمين عندهم [فصلت ٣١]:

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾

لماذا؟ لأنهم وصلوا لهذا المقام العظيم والذي يقول فيه الله ﷻ

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (الأنعام)

"وكذلك" أي هناك من قبله ومن بعده.

• مقام الإيقان

فالذي يصل إلي مقام الإيقان يري بعالم النور الذي في باطنه كل عالم البـــواطن التي استنكهها وخلقها الرحمن ﷻ ، لكن الكيف لا يصرح به، فمثلاً إذا جاء شخص كفيف وآخر مبصر، فلو قال الكفيف للمبصر صف لي كيف تطلع الشمس؟ فمهما يصف له هل يستطيع أن يبلغه الوصف؟ لا لأنه لا يري، فهذه الأشياء تكون من باب ذق تعرف.

عندما يصل هؤلاء إلي هذا الحال فيرتقوا أولاً إلي رؤية باطن الأشياء فكل شيء له باطن وكل بواطن الأشياء تسبح لله ﷻ

﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ (٤٤الإسراء)

فعندما يري عالم البواطن يسمع بلغتها تسبيحها لله ﷻ ، ولذلك يفقه التسبيح بكل اللغات:

﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾(١٦النمل)

وهذا هو ملكوت عالم الملك.

ثانياً يكشف له عن ملكوت الله فيري عالم الضياء وعالم النور في السماء ويري الملائكة بأنواعهم وأعدادهم ويحادثهم ويحادثونه ويكلمهم ويكلمونه ويستفيد منهم معارف وعوارف ولطائف، ويري عالم الجمال، جمال السر ويدخلها ولكن بروحه، فيظل الجسم مكانه ويرسل الروح كيف يشاء وأني يشاء وإلي من يشاء لأنه يستطيع في كل وقت وحين أن يرسل روحه إلي أي مكان أو أي زمان أو إلي ما فوق الزمان والمكان إلي حيث لا طاقة للعقل بحصره ولا إمكان

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ ﴾ وهو الجسم . ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ . أي طلوع الروح : ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾(يس)

فالروح تنسلخ منا ساعة النوم فتري الرؤيات الصالحة فتذهب إلي مكة أو المدينة أو تذهب إلي الجنة، : مثل الرجل الذي سأله رسول الله ﷺ :

{ كيف أصبحت؟ فقال أصبحت مؤمناً حقاً، قال لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها, فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وأصبحت وكأني أري أهل الجنة وهم يتزاورون فيها وكأني أري أهل النار وهم يتعاوون فيها وكأني أري عرش ربي بارزاً، قال له عرفت فالزم، وقال: عبدٌ نور الله قلبه بالإيمان } ٩٨

[٩٨] الحارث بن مالكو أنس ، فى تخريج الإحياء ، والإصابة لابن حبان وكتب عدة ، مع إختلاف فى الروايات.

فما يراه النائم في نومه إذا كان من الصالحين يراه العارف في يقظته لأنه وصل إلي قدرات وإمكانيات أعلى في عالم الروحانيات وهذه أشياء لا تكشف أسرارها إلا لمن اختبروه ووزنوه بموازين أهل الخصوصية، فإذا كانت النفس موجودة فهذه الأسرار مفقودة وخاصة إذا كان من المتحدثين، فلا بد من تهذيب النفس.

هذب النفس إن رمت الوصول غير هذا عندنا عين الفضول

هذب النفس بتوحيد العلي عن بيان الآي من فرد قؤول

فما يراه العارف في منامه ... يراه المتمكن في يقظته، وهذه درجة أعلي.

وما يراه المتمكن في منامه ... يراه الوارث في يقظته....

وما يراه الوارث في منامه يراه النبي في يقظته فيري عالم الملكوت ثم عالم الجنان، ثم بعد ذلك يشرف علي عالم القدس الأعلى فيطلعه الله ﷻ علي أسرار الكرسي وعلي أقدار اللوح المحفوظ وعلي حقائق لا يستطيع أن يشير إليها حتى يغلفها برموز لأنها كنوز لا يفضها ولا يكشفها الله ﷻ إلا لكمل الموقنين الذين إن أباحوا بالسر تباح دماؤهم لأن هذه أسرار القدر...

وأسرار القدر لا يطلع عليها إنسان وفيه ذرة من البشرية، فلا بد أن يكون كله مشغول بالحضرة الإلهية.

هؤلاء لا يقع أحدهم في ذنب أو يفعل عيب لأنهم عندما يدخلوا هذه الدوائر يصدر لهم قرار الحفظ الإلهي

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾(الأنعام)

وإذا اشتغلت العين فهذا للقلب المنشغل بغير الله وكذلك اليد وكذلك الجوارح، لكن القلب إذا كان لا ينشغل بغير الله طرفة عين ولا أقل هل تنظر العين لسواه؟ هل يستمع الإنسان بإذنه إلي حديث لسواه؟

فإذا انشغل القلب بالله كانت الجوارح كلها في خدمة الله جل في علاه فلما

يمتعهم الله ﷻ بهذه المشاهد العالية فهم في هذه الآنات أكبر عقاب لهم إذا غفلوا عن الله طرفة عين أن يحجبه الله ﷻ عن هذه المشاهد الراقية، لذلك الذي يحجب منـــهم عن هذه المشاهد يحس بالذل الشديد، ولذلك الإمام أبو العزائم ﷺ يقول:

أنا لا أخاف وحقه من نــــاره كلا ولا ابغي الجنان لطيبها

فالقرب منه جنتي ومحاســني والبعد عنه نــاره ولهيبها

فالحجاب ذل بالنسبة لهؤلاء الأقوام لأن لهم أحوال خاصة مـــع الله ﷻ فـــلا يتلذذون إلا بمناجاته ولا يتمتعون إلا بمشاهدة حضرة ذاته ولا يأنـــسون إلا بلذيـــذ حديثه ومناجاته، سألوا الإمام علي كيف حالك مع الله؟:

{ قال عبد إذا دعوت أجابني ... وإذا ناديت استمع إليّ ....
وإذا سكت افتتحني بالكلام }

سيدي أبو يزيد البسطامي ﷺ وأرضاه في أحد هذه الحالات يقول:

{ لو أنبأت الخلق بسعة رحمتك ما عبدوك، فقال الله ﷻ له في حالة المناجاة ولو أنبأناهم بمحبتنا لك لقتلوك، فقال يارب لا تقول ولا نقول. }

هذه أحوال خاصة لرجال يقول فيهم الإمام أبو العزائم ﷺ :

إن الرجال كنوز ليس يدريـــــــها إلا مراد تحلي من معانيها

في الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم قلوبهم صفت والله هاديها

هم الشموس لشـــرع المصطفي وهمـو سفينة الوصل بسم الله مجريها

ويقول أيضاً في شأنهم:

رجال لهم حــــــال مع الله ظاهــرٌ وحال مع المختار في كل لحظة

في كل لحظة لهم حال مع رسول الله ﷺ .

سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ :

كان يشرف علي تربيته في بدايته أمه وكانت من الصالحات، وعندما أشـــرف علي مقام رأي فيه النبي ﷺ في المنام فرح فذهب يبشرها، فقالت يا بني أفرحت بذلك لا يكون الرجل رجلاً حتى يراه في اليقظة وليس في المنام.

وذلك حتي لا يقف عند هذا المقام، إذا كان صاحب كل المقامات وكل المنازل الكريمات قال له الله :

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾(طـه)

علماً شهوداً مقاماً في كل شيء، لأن كمال الله لا حد له ولا نهاية له وما عند الله ﷻ لا يستطيع أحد حده ولا عده ولا حسابه لأنه يرزق من يشاء بغير حساب.

فلما رأي سيدى إبراهيم المتبولى النبي ﷺ يقظة، قالت له أمه :

{ يا بني الآن تمت رجولتك }

ورجل أي من الرجال الذين في كتاب الله :

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾(الأحزاب)

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

الفصل الثالث عشر

النِّيَّةَ ميزانُ الفتوحات الوهبية [٩٩]

- الهجرة وإصلاح الأحوال
- هجرة الصالحين
- مراحل الهجرة المعنوية
- موازين العارفين

---

٩٩ المعادي في ١٠/١/٢٠٠٨ – ٢ من المحرم ١٤٢٩ هـ ، الدرس بعد صلاة العشاء بمقر الجمعية العامة للدعوة إلي الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عجّل لنا الفتح بالخير النازل من فضل الله، ونسأله ﷻ أن يجعله عام خير وفتح وبركة ونصر علينا وعلي المسلمين أجمعين، وندعوا الله ﷻ قائلين: اللهم اجعل أول هذا العام فتحاً وصلاحاً وأوسطه خيراً ونجاحاً وآخره بركة وفلاحاً، ووفقنا والمسلمين أجمعين لما تحبه وترضاه يا أرحم الراحمين، وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين.

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

• الهجرة وإصلاح الأحوال

كانت هجرة النبي المختار ﷺ علامة فارقة بين زمانين وبين حالتين، بين زمن الجاهلية وبين زمن المدنية والرفاهية والحياة الإيمانية الإسلامية، بين عادات جاهلية تسيطر عليها العصبيات القبلية والأهواء الشخصية إلي طباع إسلامية قرآنية يسيطر علي أهلها الإيثار والحب للنبي المختار والمودة لجميع المسلمين والمؤمنين في كل الأمصار والأقطار، هذا الدرس العظيم جعله الله ﷻ نبراساً وقدوة لكل مؤمن كريم.

إن صلاح الأحوال إن كان للأفراد أو للمجتمعات لا بد له من هجرة حسية أو معنوية، فلا بد للفرد أن يهاجر من حظه وهواه إلي ما يحب الله ويرضاه لكي يكون من أهل الرضا عن حضرة الله جل في علاه، أما من تمسك بحظه وهواه ويريد مع ذلك أن ينال رضا مولاه فهو يتمسك بمحال لأن الله ﷻ يحب مِن خَلقه مَن كان علي خُلقه.

إذن لا بد وأن يهجر خلقه ليتخلق بأخلاق الله حتى يحبه الله وينال رضاه جل في علاه، وأنتم تعلمون الرجل الذي أخبرنا عنه النبي ﷺ وكان من بني اسرائيل والذي استلذ الخطيئة واستحلي أكبر معصية وهي القتل لدرجة أنه قتل تسعة وتسعين نفساً ومع ذلك أبقي له الله ﷻ في قلبه نبعاً يصب فيه ﷻ هديه وإلهامه مع هذا الجهل الشديد، فأحس في يوم بأنه لا بد له من الرجوع إلي الله وسلوك طريق

الإستقامه مع أحباب الله جل في علاه، ولكنه ذهب إلي رجل عابد وقال له هل لي من توبة؟ فقنته العابد من رحمة الله، وأخذ يطرده من مجلسه بحجة أن لعنة الله ستنزل عليه وهو معه، ونسي العابد أن الله ﷻ يعامل الخلق بالنوايا وليس بالأفعال والأعمال فبمجرد أن يتوجه القلب إلي الله فإن الله ﷻ ينظر إلي هذه النية ويعامله بقدر ما فيها من صدق وإخلاص لحضرة الله، قال ﷺ :

{ إنّما الأعْمَالُ بالنّيات، وإنّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى } [100]

• هجرة الصالحين

ولذلك فإن أول هجرة يهاجرها الصالحون يهجرون النوايا السيئة والطوايا الفاسدة الكاسدة، فلا يخطر علي بالهم إلا شيء يحبه الله جل في علاه وهذا هو أول الجهاد لمن أراد أن يكون مقرباً من رب العباد ﷻ ، وإذا صلحت النوايا والطوايا أصلح الله ﷻ للإنسان باطنه، والظاهر يتبع الباطن لأنه يأتمر بأمره ويفعل عن رأيه فيصلح الله ﷻ الظاهر لصلاح الباطن، وليس الشأن شأن الخطوات التي تقطعها الأقدام في طاعة الله ولكن الشأن شأن حركات القلوب في التوجه إلي حضرة الله:

{ إنَّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ } [101]

﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا ﴾ [٧٠الأنفال]

إذن هل يأتي الخير علي حسب صلاح القلب أم الجوارح؟ من الجائز أن الإنسان بالجوارح قد يملأ الأرض عبادة لله لكن نيته كاسدة وفاسدة نحو الله أو نحو خلق الله وبذلك يصبح عمله كله كما يقول فيه الله فى كتابه العزيز [٢٣الفرقان]:

---

[100] عن عمرَ بنَ الخَطّاب ﷺ صحيح البخارى
[101] عَنْ أبي هُرَيْرَةَ صحيح مسلم

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾

وإذا كانت النية طيبة والنفس متغلبة وتجعل الإنسان يقع في الزلل لكنه في باطنه لا يرضي عن هذا الزلل ويندم ويخجل من مولاه ويتحسس توبة نصوحة إلي حضرة الله، مثل هذا يقول فيه الله:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف ١٦]

فإذا علمت هذه الحقيقة فأصلح دائماً وأبداً لله لوح قلبك وخط فيه نوايا ترضي ربك فإن الله ﷻ إذا نظر إلي القلب ووجد فيه النوايا التي ترضيه فلا يبالي بعمل الظاهر إن قليل أو كثير، ولذلك قال البشير النذير ﷺ لرجل من عباد الصحابة وهو سيدنا أبا ذر ﷺ وكان يقول فيه:

{ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى شَبِيْهِ عِيسى ابنِ مَرْيَمَ ﷺ خُلُقاً وخَلْقاً، فَلْيَنْظُرْ إلى أبي ذَرٍّ } [102]

أي إلي زهده وورعه وإقباله وإخباته الدائم إلي مولاه فقال له ﷺ حتى لا يشتغل بعمل الظاهر ويترك نور الله الظاهر في فؤاده :

{ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ } [103]

أي لا تبحث عن الكم ولا العدد لكن ابحث عن اللوح الذي إذا نظر فيه الله حدد لك ما يليق بك من الفتوح وهو لوح القلب:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [٢٢المجادلة]

---

[102] عن عبد الله بن مسعود صحيح ابن حبان ومجمع الزوائد

[103] (ابنُ أَبِي الدُّنْيَا) فِي الإِخْلاَصِ (ك) عن معاذ رضيَ اللَّهُ عنهُ

والمدد هنا ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ وإذا أُمد الإنسان بروح من مولاه فكيف يكون حاله في عبادة الله وطاعة الله جل في علاه؟ فالجاهل من اهتم بأعمال الجوارح ونسي النوايا والطوايا، لكن عبادة المقربين وقرب الصالحين إنما هو بإصلاح القلب وكتابة النوايا الطيبة فيه لرب العالمين ﷻ ، حتى أن بعضهم قد قال:

"إني لا أخرج من بيتي إلا إذا نويت سبعين نية كلها لله ﷻ "

فكم يُحصل مثل هذا؟ فأنت تذهب إلي المسجد لتصلي ركعتين أما هو فيذهب إلي المسجد ومعه سبعين نية وكل نية لها ثمنها وفتحها عند رب البرية ﷻ :

﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴾ [الصافات ٦١]

ومثل هذا العمل ما يُتدارك به الزلل من الله جل وعلا، فعندما ذهب إلي الرجل العابد سد عليه الباب فأخذته نفسه فقتله وأكمل به المائة ومع ذلك كان بصيص الإيمان مازال موجوداً في قلبه وذلك حتى لا نستعظم التوبة علي أي إنسان، فسأل فدلوه علي رجل من العارفين الذين هم علي قدم النبيين والمرسلين وهؤلاء هم من يقرأون ألواح الحقائق في قلوب الحاضرين ويأتيهم المدد الخاص بهم من مائدة رب العالمين ﷻ ، وليس كلمتين يحفظهم ويتشدق بهم وحسب، فقال له من أي البلاد أنت؟ قال من بلدة كذا، قال إن البلدة التي أنت منها بلدة سوء فاخرج منها إلي بلدة كذا فإن أهلهاصالحون.

وهذه هجرة مكان — وخرج الرجل مهاجراً وانظروا إلي الهجرة وفائدتها فقد وافته المنية قبل انتصاف الطريق، فلا هو قد ذهب إلي الصالحين ولا هو أعلن التوبة بلسانه وكررها أمام أحد الحاضرين لرب العالمين ولم يصلي ركعة ولم يصم يوما ولم يعمل أي عمل، لكن كل الموضوع أنه نوي يتوب إلي الله.

وذلك لأن الحسابات الإلهية لحضرة الحسيب تحسب كل شيء في أسرع من لمح البصر ويصدر الأمر علي الفور، لكن خالق القوي والقدر أراد أن يبين لنا موقفاً لنعتبر ولنري فضل الله لمن نوي خيراً لمولاه فقال المعصوم ﷺ فنزلت ملائكة الرحمة

وجاءت ملائكة العذاب، وهذا لا يحدث أبداً فإما هؤلاء أو هؤلاء لكنها حكمة لكي نعتبر، واختصموا (راجع باقى القصة بصفحة ١٢٨).

والعبرة هنا أن ملائكة العذاب نظرت إلي الظواهر والله ﷻ يحكـم بالـسرائر وعلمنا الله أن نحكم بالسرائر إذا علمناها وأن نفوض الأمر فيها إلي الله ونهجر ظـن السوء فهو سبب كل المشاكل بين عباد الله في هذه الحياة:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [٢٢٢البقرة].

إذن الهجرة التي نحتاج إليها أجمعين في هذا الوقت والحين..

إن كنا أفراد أو جماعات أو شعوباً وأمماً هي هجرة النوايا والطوايا.

فمن غش وهو لا يعلم فإن الله ﷻ يغفر له ذلك، لكن من غش وهو يعلم علم اليقين أنه يغش مسلماً!!!

ومن يكذب ويعلم علم اليقين أنه كاذب في قوله !!!

ومن يشهد شهادة الزور وهو علي ثقة تامة أنه يخالف ضميره ويغالط نفسه!!

وقس عليها أشباهها لأنها هي ما أودت بحياتنا وجعلتها فيما بيننا معاناة وشدة ضغوط نفسية وعصبية ...

وذلك لأن المسلمين يعصون الله وهم عالمون ومصرون.

لكن لو كانت المعصية مع حسن النية فإنه إذا رجع إلي الله طرفة عين فـإن الله يغفر له ذلك ...، وإن كانت المعصية ناتجة عن جهل فإن الله يغفر له ذلـك ...، وإذا كان عالماً ونسي عند المعصية فإن الله يغفر له ذلك، قال حبيبي وقرة عيني ﷺ:

{ رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أستكرهوا عليه } [١٠٤]

كل ذلك مرفوع من الأمة .. الأمة كلها، لكن ما يسبب كل غمة هي المعاصي

---

[١٠٤] عن ثوبان ﷺ ، أخرجه الألباني فى صحيح الجامع.

السلوكية التي نراها مع التعمد وسبق الإصرار ....!!!

بل الأشد من ذلك وقعاً:

من يتعمد أن يغيظ أخيه المسلم بهذه المعصية كأن يقول أنا أعرف ما أعمل بل أعمله لكي أغيظه – أتغيظ مسلماً؟! وهل غظت يهودياً؟ أو مشركاً؟ أو وثنياً ؟؟؟ حتى تغيظ مسلماً؟!

أما سمعت قول الله جل في علاه:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [٤٧الحجر].

● مراحل الهجرة المعنوية

والهجرة التي نحتاجها أجمعين أن نهجر التفكير في المعصية أو التدبير لمعصية أو شغل النفس بعمل معصية، وعلي الإنسان أن يفكر دوماً في كيفية التوبة إلي الله والرجوع الصحيح إلي حضرة مولاه والقيام بالأعمال التي بها يحبه مولاه ويرضي عنه في الدنيا ويجعله من المقربين يوم لقياه جل في علاه.

وهذه الهجرة قد حققها سيدنا رسول الله ﷺ مع صحبه الكرام قبل هجرته المكانية الحسية، فإنه لم يهاجر إلي المدينة إلا بعد أن هجر أهلها العصبية القبلية وأصبحوا من الداخلين في قول الله:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [١٠الحجرات]

فوجبت هنا الهجرة، ولم يهاجر إليهم إلا بعد أن هاجروا من الشهوات والحظوظ والأهواء والملذات وأعظمها وأكبرها وهي آفة الآفات حب الدرهم والدينار، فإن معظم الأوزار في زماننا في كل أنحاء الأمة سببها الأساسي حب الدرهم

والدينار، فبعد أن هاجروا من حب الدرهم والدينار إلي صفة الإيثار وأصبحوا يؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة هاجر إليهم النبي المختار ﷺ.

هذه الهجرة يا إخواني نحن في أمس الحاجة إليها سواء في بدء العام أو في الختام.

هجرة علي الدوام من كل الصفات والعادات التي نهي عنها الله والتي يبغضها سيدنا رسول الله، ونتحلي بالصفات الإيمانية والاوصاف القرآنية.

وهذه الهجرة تمر بمراحل، أولاً علي الإنسان أن يهجر أوصاف المنافقين ليكون مسلماً صحيح الإسلام عند رب العالمين و هى التي يقول فيها ﷺ :

{ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقا خَالِصا. وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ. حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ. وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ }، وفى رواية أخرى { وإذا أؤتمن خان } [١٠٥]

إذن لا بد وأن يهجر أوصاف النفاق ليكون مسلماً، من المسلم؟

{ المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ } [١٠٦]

إذن عليه أن يهجر السب والشتم واللعن والغيبة والنميمة وقول الزور وألفاظ الخني والفجور واللغو، لأنه من أوصاف المؤمنين:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾ [٣المؤمنون]

ويصبح له لسان لا يقول إلا ما يرضي الرحمن ...

لا يتحدث إلا بالصدق ولا يتحدث إلا بكل قول جميل ولا يخرج منه إلا كل لفظ يثاب عليه عند الجليل ويرضي به الأهل والصاحب والخليل، بل يرضي به العدو

---

[١٠٥] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو صحيح البخارى ومسلم

[١٠٦] عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ صحيح البخارى ومسلم)

لأنه لا يتجاوز الحد في الكلام حتى مع أعداء الله وأعداء الإسلام لأنه مؤدب بأدب المصطفي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وهذه هي الهجرة الأولي ولا ينتقل منها إلي ما بعدها إلا إذا أتم العمل بها :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام]

ودائماً ما نقول ذلك في استفتاح الصلاة بعد النية وتكبيرة الإحرام:

فكيف نقولها؟

علمونا الكرام أن نقول إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين فلا يجوز أن أقول "وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ"

لأن من يقول ذلك هو واحد فقط ﷺ لكن أنا وأنت علينا أن نقول من المسلمين، متي أكون من المسلمين؟

البداية ... من سلم المسلمون من لسانه ويده:

ونهاية مقام الإسلام "صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، بعد مقام الإسلام ينتقل إلي مقام الإيمان ... ومن أجل أن يرتقي بعد ذلك وينتقل ويهاجر من الإسلام إلي الإيمان لا بد وأن يتصف بالأوصاف التي وصف بها الله أهل الإيمان في القرآن ويبدأ بأول المؤمنون:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) ﴾ [المؤمنون]

هل الذين هم في صلاتهم مطيلون؟ أبداً لكن العبرة هنا بالخشوع.

• موازين العارفين

إذن بمَ يزن الله ﷻ قدر العبد في الصلاة؟ .... بخشوعه لله ...

فالوزن هنا للقلب وليس الوزن ظاهري فنحن جميعاً نصلي الجماعة وفي صف واحد لكن هل الفتح والثواب والأجر واحد؟ لا لكن علي حسب النوايا والطوايا والخشوع لله ﷻ في الصلاة .... فهناك من يصلي بجواري وهو مشغول البال بالعمل والعيال والطعام والشراب، وآخر يصلي وباله لم ينشغل لحظة عن مولاه هل يستويان في الأجر؟

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [٤٦فصلت]

فالميزان هنا للنوايا والخشوع وأعمال القلب من الإخلاص والصدق والخشوع والحضور والخوف والخشية، وهذه هي الموازين التي يزن بها الله ﷻ أحوال العارفين ويعطيهم عليها الفتح في كل وقت وحين.

ومن يريد الفتح عليه بالصدق والإخلاص والخشوع والحضور والحياء من الله ﷻ والرغبة والرهبة والإخبات والتبتل، كل هذه الأحوال القلبية والاعمال القلبية هي الموازين التي يعطي بها رب البرية الفتح للعارفين والصالحين.

ما بالكم بمن يصلي ألف ركعة أو أكثر أو أقل؟

يأخذ بها الثواب وهي تقييم العابدين الذي يختلف عن تقييم العارفين، فتقييم العابدين ييحسب ويعدُّ له الله ليعطيه الثواب والأجر أما تقييم العارفين ليعطيه الفتح.

فهناك من يفتح عليه بالإلهام ..

وهناك من يفتح عليه بنور ..

وهناك من يفتح عليه بمقام من مقامات الفراسة ...

وهناك من يفتح عليه بمقام الورع الكامل لحضرة الله ...

وهناك من يفتح عليه بفتح غيبي ...

وهناك من يفتح عليه بفتح وهبي ...

وهناك من يفتح عليه بفتح رباني ....

وهناك من يفتح عليه بفتح جناني ....

وهناك من يفتح عليه بفتح قدسـي. .....

فتوحات لا عد لها ولا حد وكنوز لا يستطيع أحد عد أسماءها فضلاً عن الخير الذي جهزه الله فيها للصالحين والذي يقول فيه سيد الأولين والآخرينأن الله تعالى أعد لعباده الصالحين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر.

وكل هذا علي أساس أعمال القلوب التي بها الفتح من عند حـضرة عـلام الغيوب ﷻ ، أما أعمال الظواهر فبها الثواب والأجر الذي به ينال الإنسان منـازل الجنان والمقامات الحسان يوم يدخله الله ﷻ جنة عرضها السموات والارض أعـدت كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

جنة عرضها السموات والارض أعدت   والوجـه مرأي الرجال

أي أن الرجال لا يريدون هذه الجنة ولكنهم يريدون الوجه.

وقد يعرضون عليهم كل ما في الجنة فيقولون وماذا نعمل بها؟ تركناها أحـوج ما نكون إليها ونحن في الدنيا، فيقول رب العزة وماذا تريدون؟

فيقولون وعزتك وجلالك لا نريد إلا جمال وجهك.

مثل الشيخ ابن الفارض ﷺ في لحظة مفارقته للدنيا عندما أطلعوه علي مقامـه في الجنة ودرجاته ومنازله وما أعد له في الجنة لم يفرح ولم يتبسم بل قال:

فإن تك منزلتي في الحب عندكم   ما قد رأيت فقد ضيعت أنفاسي

وهو بذلك يريد الوجه[الكهف ٢٨]:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾.

وإذا اتصف الإنسان بصفات أهل الإيمان وأراد أن يرتقي إلي مقام الإحسان فعليه أن يحسن كل شيء يعمله.

والإحسان لأي عمل لا يكون إلا بأن يعمله المرء علي نهج النبي العدنان وأن يسبقه ويرافقه ويتبعه نية صالحة لوجه الحنان المنان ﷻ .

وأن يجرد النفس فيه من شهوة الرياء أو السمعة أو العجب أو حب الظهور لأنه لا يريد من وراء ذلك إلا خالص النور من العزيز الغفور ﷻ ، وتلك هي موازين هجرة أهل الإحسان.

مرة أخري – كيف يحسن المرء العمل؟ أن يتبع فيه أولاً سيدنا رسول الله يفعل كفعله ويعمل كعمله ويتأسي في كل عمل بحضرته ﷺ وهذا ما يقول فيه الله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ [الكهف ٣٠]

ولم يقل هنا مَن عمل لكن من ضمنه هنا من أحسن العمل لأن من عمل وحسب قد يقال له ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان ٢٣]

إذن علي الإنسان أن يعمل العمل متأسياً بالحبيب ﷺ في كيفية العمل.

وكان الصالحون يلاحظون ذلك حتى في الأمور الهامشية في الطعام والشراب وفي الكلام وفي التعامل مع الأنام وفي النوم وفي الجلوس وحتى في الهيئة الظاهرة مع أن أساس المتابعة متابعة باطنة وهي الأساس الأول.

كيف كان باطنه مع الله حال العمل لله؟ وهذا هو المهم..

ولكنهم أيضاً كانوا يتحروا متابعته في الظواهر.

وأن يتحرَّ المرء أن تكون نيته قبل العمل وأثناء العمل وبعد العمل إلي أن يوافيه الأجل خالصة لوجه الله.

لأنه من الجائز أن تبدأ العمل بنية خالصة لله وتتحول النية في أثناءه لخلق الله،

أو تتحول النية بعده طلباً للشهرة بين خلق الله، أو بعد حين من الدهر تذكره علـي سبيل الإعجاب والفخر .. فيفقد ثمرة الإخلاص التي توجهت به لحضرة الله مـع أن الإخلاص يجب أن يكون في كل المراحل.

ومن هنا فإن من عمل عملاً لوجه الله عليه ألا يراه إلا عندما يلقاه، وقـالوا في ذلك في تأويل قول الله:

﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [١٠فاطر]

يرفعه أي لا يضعه أمام عينيه لأنه مادام أمام عيني فإني أريد أن أتكلم عنـه أو أريد أن يمدحني الناس عليه أو يُثني عليَّ بسببه، فيجب أن أرفعه من أمام عيني نهائيـاً وأنساه حتي عندما يُذَكِرُنِي أحد بهذا العمل أقول متي وأين؟

وأنسي هذا العمل نهائياً لأنني أعمل لله ومن يعمل لله يجب أن يرفع العمل مـن أمام عينيه ويعلم علم اليقين أن الله ﷻ لن يضيعه وسيعطيه أجره.

والأجر هنا ليس ثواب وغرف وحور وأكواب :

لكنه نور وفتح وكشف وعلوم وأسرار وإلهام ومن كل أنواع العطاءات الـتي يخص الله بها الأنبياء والمرسلين، وليس من أنواع العطاءات التي يخص الله بها الزاهدين والعابدين لأنهم يريدون أشياء حسية، أما الصالحين فإنهم يريدون فتوحـات قلبيـة ومعنوية.

وإذا أراد أن يكون من أهل اليقين لا بد أن يتجمل بجمال صفات رب العالمين "إن الله يحب من خَلقه من كان علي خُلقه" يري صفات الله ويحاول أن يتجمل بها مع خلق الله وذلك لأنها الدرجة العظمي، فالعبادات سهلة الأداء قليلة العناء، لكن عظم العناء في التخلق بأخلاق الله.

عندما يتخلق الإنسان بالعفو عندما يغيظه إنسان ... هنا قد أصـبح متـصفاً بصفة العفو ... ، عندما يتصف بالكرم لمن حرمه ... وبالوصـل لمـن قطعـه .... وبالإحسان إلي من أساء إليه:

{ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَحْسِنْ إلى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ } [١٠٧]

هذه يا إخواني هجرات الصالحين وهي لا تتم ولا ينصلح الحال ولا يستقيم البال إلا إذا تجمل المرء بحب صادق لله ورسوله .

كما كان الصديق الأكبر ﷺ مع النبي الأعظم ﷺ وذلك لأن الحب هو الذي يسهل علي الإنسان كل الاعمال وكل الاحوال، ولذلك قال ﷺ عنه لأصحابه :

{ ما فضلكم أبو بكر بكثير صلاة ولا بكثير صيام وإنما بشيء وقر في صدره } [١٠٨]

وهو إصلاح القلب والنوايا.

درجة الصديقية:

هي أعظم درجة بعد النبوة، وهى لا تنال إلا بقلب سليم.

نواياه كلها كريمة ويتوجه بها بإخلاص وصدق لحضرة الكريم ﷺ ..

وهذا هو الجهاد الاعظم لمن أراد أن يكرم ....

ومن أراد أن يغنم ...

ومن أراد أن يفتح الله عليه بما فتح به علي النبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين.

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

---

[١٠٧] ابن النَّجَّار عن عليٍّ رضيَ اللَّهُ عنهُ
[١٠٨] فيض القدير

الفصل الرابع عشر

موازين المجاهدة لتحقيق الفتح[١٠٩]

- رياض المشاهد
- جهاد الإنسان حقائقه
- ميدان المجاهدة
- العدل أخص صفات الصالحين
- خلفاء الله في الأرض
- جمال أهل الفتح

---

[١٠٩] المعادي – الخميس ٢٠٠٨/١/١٠ – ٢ من المحرم ١٤٢٩ هـ ، الدرس بعد تناول العشاء بمقر الجمعية العامة للدعوة إلي الله

• رياض المشاهد

قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

التحـــلي بالتخـلي	بعد محــوي لمحلي
وانفصالي عن فعــالي	وســـروري بالتجلي
وشـــهودي لوجودي	إنـــــه نور يحلي
وارتحالي عن عقـالي	وانمحـا وهمي وعقلي
واتصالي بانفصـــالي	عن سوي مجدي وأصلي
وارتشافي راح قـدس	لـــي باب الكنز يولي
عنـــدها تمحي ظلالي	وأري من غـــير ظل
نور قدس يبدوا جهراً	مشـــرقاً من غير فصل
لا بكم أو بكـــيف	أو بنســـب أو بعقل
تشرق الأنوار تنـــبي	أم بفـــصلي أو بوصلي
بل بإيجاب وســـلب	قـــول حق غير قولي
عين سـلبي وانمحائي	عين ايجابي ونيـــلي
وهما الضـدان لـــكن	عنـــد أعمي لم يصلي
ثم ايجابي وســـلبي	آيتـــي في محو حولي
لا بعــــلم أو بقيد	بل بكشـــف للتجلي
والتجلـــي لي براق	بعـــــده جزئي كلي
فيه غيب الغيب يبدو	معلنـــاً لي بالتجلي

حضرة الأسماء شـــمس	قـد أضاءت ثم حولي
وأنا محـــــو وعـــدم	وأنـــــا ظل بجهل
وأنا نــــــور مضئ	مشـــــرق في كل نزل
لا بمـــس النار يبدو	نور أوصـــــافي وقولي
بل بدا نـــــور علي	فــــعلا نور التجلي
فانمحي الـــــنور بنور	وانمحت أنـــجم ليلي
عندها تشـــرق شمس	تمحـــــو آثاري بعقلي
ويلوح الوجـــه جهراً	ويري حيث أولــــــي
خمر قدس ناولـــــتها	يـــــد طه محو فضل

هذه القصيدة للإمام أبي العزائم ﷺ وأرضاه.

وهي أصل في قطع السالك للعقبات التي تحجبه عن مقامات القـــرب ونيلـــه الوصول إلي مولاه.

وهى رموز عالية وإشارات غالية تحتاج إلي أفئدة من الدنيا خالية وقلـــوب إلي مولاها ﷻ بصدق طالبه للقرب من حضرته ولا يشغلها عن حضرة الله شاغلة.

وسنلمع إلي رزاز من معانيها، لأن حقيقة المعاني لا تظهر وأنت في طور المباني.

فإذا تخليت بسرك عن المباني .... !!!!

وعشت بروحك وقلبك في عالم النور والمعاني .... !!!

وصرت تعاني مما نحن منه نعاني ...... !!!

يلهمك الله ﷻ بأسرار هذه المعاني ...

• جهاد الإنسان حقائقه

فقد خلقك الله ﷻ من حقائق، جسم ونفس وقلب وروح وسر وجعل للجسم ما يشغله فإذا شغلت الشواغل الجسم حجبته عن مشاهد القلب، وإذا تعاليت بالصفاء والجهاد عن مرادات الجسم لاح لقلبك أنوار الألوهية ظاهرة في كل الأرجاء الجلية والخفية :

في القلب عين تراني — في حال قرب التداني

وهذا موجود:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [٧٥الأنعام]

إذن ليس وحده لكن كل من منّ الله عليهم يرونه لأنهم أهل الشهود ولا ينال الشهود إلا بعد فقد مستلزمات هذا الوجود، فلا يصح أن ينشغل الإنسان بطلبات الجسم وفي نفس الوقت يحصل علي مرادات القلب، إذن لا بد وأن تتحلي بعد أن تتخلي والمثل موجود، فهل أستطيع الآن أن ألبس جلباب ثاني علي الجلباب الذي ألبسه ثم يظهر جمال الإثنين؟ محال إذ لا بد وأن أخلع الأولي كي ألبس الثانية لكي يظهر جمالها، مثال آخر — هل أستطيع أن أكتب علي صفحة مكتوبة؟ بالطبع لا لأنه لو حدث ما استطعت أن أقرأ الأولي ولا الثانية، إذن لا بد أن أمحو لكي أكتب

أمحو أنا وأثبت أنا — تلقي المسرة والهنا

تشهد جمالاً ظاهراً — بالحسن يا من أمنا

وهذه هي الخطوة الصعبة علي كل السالكين !!!!

يصعب عليه أن يترك هذه الدار وهي الجسم ويسكن في دار جديدة فهو يريد

أن يبني دار ولا يهدم القديمة — هل يجوز؟ لا بد أن أهدم أولاً لكي أبني.

• ميزان المجاهدة

خلق الله الإنسان وألاح له كل العيان في عالم:

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف ١٧٢]

ثم خلق الله ﷻ له الكيان ليري ما رآه في مشهد ألست عيان في أكمل الاحوال، لكنه قيد الأمر بأن جعل للإنسان صفات ظلومية جهولية، وتحدث عنها الله في آياته القرآنية، فجعل من صفاته العجلة:

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولاً ﴾ [١١الاسراء]

فالعجلة وصف لكل إنسان والمطلوب:

﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [٣٧الأنبياء]

إذن لا بد أن يجاهد إلي أن يقضي على هذه العجلة ويتجمل بالأناة والحلم، خلق الإنسان ومن طبيعته البخل والإمساك:

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ [١٠٠ الإسراء]

أي بخيلا، حتى الطفل الذي يولد تجد أن يديه مقبوضتين مع أنه لم يمسك أي شيء بعد من الدنيا، إلا أنه يريد كل شيء في يديه، ومن حكمة الله أنه عند رحيله لا بد أن تنفرد يداه وهذا معناه كم معك مما قبضت عليه؟ لا شيء، وحضرة الله يريد من الإنسان أن يكون كريماً (لتغابن ١٦)

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

إذن لا بد أن يتخلص من آفة الشح وداء البخل ومرض الإمساك ويصبح

كريم علي صفات الكريم الخلاق..

ما الذي أكرم ذرية إبراهيم بالنبوة؟ يقول فيهم ﷺ "إن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم" كلهم كرماء وهذا معناه أنه لا ينال أي مقام كريم إلا كل كريم، هل يجوز أن يكون هناك نبي بخيل؟ لا ..

كذلك لا يجوز أن يكون هناك ولي بخيل أو عارف بخيل وذلك لأن بخله يكون دليل علي ضيق أفقه في معرفته بربه، فالعارف بالله يفتح يديه لأن يعلم ويثق أن ما عند الله أقرب إليه مما في يده وهذه هي عقيدة العارفين والصالحين.

كان ﷺ كما يروي عنه أجود بالخير من الريح المرسلة وكان لا يأتيه أحد إلا وردَّه بحاجته أو بميسور من القول، فعندما أتاه من يطلب منه الذي لا يملكه قال له "ابتع عليَّ" أي اشتري علي حسابي من البائع، عندها غضب سيدنا عمر وقال يا رسول الله إن الله لم يكلفك بهذا فرؤي في وجهه الغضب، فقال أحد الأنصار أنفق يا رسول الله ولا تخشي من ذي العرش إقلالا فتهلل وجهه وظهر البشر علي وجهه وقال: { بهذا أُمرت }، ويكون الإنفاق من كل ما أعطاه الخلاق وليس المال وحسب فإن كان يملك الجاه فعليه أن ينفق منه لمن ليس له جاه، وإذا كان يملك العلم ينفق من علمه، وإن كان يملك الحال ينفق من حاله علي الفقراء ومن يريدون هذه الأحوال العالية ، ..... قال تعالى فى محكم التنزيل فى [٧الطلاق]:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾.﴿ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾

• العدل أخصُّ صفات الصالحين

وكان الإنسان كما قال الله ﷻ:

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [٧٢الأحزاب]

ظلوم وجهول .. إذن لا بد وأن يزيل الظلم ويتحلي بالعدل، وقد قال حضرة

النبي في ذلك "أمتي هذه عدول" ويكون العدل مع كل الناس حتى الأعداء، وقد كان النبي ﷺ يعدل حتى بين ناحيتي أضراسه فإن أكل علي ناحية منهم مرة يأكل علي الثانية المرة الأخري، فقد أُلهم العدل منذ نعومة أظفاره وهو طفل فعندما أرادت مرضعته أن تعطيه ثدي أخيه رفض واكتفي بما يخصه وذلك لأن الله ﷻ ألهمه العدل، فلا يجوز في ملكوت الله ولا في دائرة أولياء الله أن يقام رجل وما زال عنده قليل من هواه :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (النازعات)

وفي هذا جهاد شديد يقول فيه حضرة الله فى الآية (٧٠الأحزاب):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

لا تقل إلا الحق ولو علي نفسك ولو علي أقرب الناس إليك ولو كان الحق مراً، لماذا يارب القول السديد؟ قال هو الذي:

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [٧١الأحزاب]

فالقول السديد والعدل ومحو الظلم يقول فيه الله:

{ يا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلاَ تَظَّالَمُوا }[١١٠]

فإياك أن تظلم نفسك وتقول بهواك:

من أجل حاجة في نفسك ...!!! أو من أجل مصلحة عاجلة ..!!! أو أن تريد إفساداً بين اثنين ... أو تريد تشتيت طائفتين وفي كل هذا اتباع للهوي :

---

١١٠ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ؓ عَنِ النَّبِيِّ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ رواه مسلم، والترمذي، وابن ماجه

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [٢٣النجم]

إذن من يريد الله لا بد وأن يتصف بصفة العدل التي يحبها مولاه علي جميع خلق الله، علي أولياءه وعلي أعداءه، قالوا للإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه:

{ إنا نري الرجل يبغضك ويحتكم إليك مع حبيب لك فتحكم له علي محبيك، فقا ل ﷺ ليس ذلك إليّ ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [١٥٧الأنعام] }

وهذا الأمر لو ظهر في الأمة لصلحت كل أحوالها في طرفة عين لأن الذي ضيع كل الناس اتباع الهوي كأن يقول الإنسان هذا ابن عمي أو هذا أخي – كيف أنصر غيره عليه والمثل يقول أنا وأخي علي ابن عمي وأنا وابن عمي علي الغريب، هل قال النبي ذلك؟ أبداً بل قال:

{ انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً. قِيلَ: يا رسول الله نَصَرْتُهُ مَظْلُوماً فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِماً؟ قال: تَكُفُّهُ عَنْ الظُّلْمِ فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ } [١١١]

ولو كل واحد منا يرد أخاه أو جاره أو من معه عن الظلم فإن كـــل أحوالنـــا تنصلح بإذن الله.

لكن كل من يقول وأنا مالي نقول له كيف تريد أن تكون من رجال الله إذن؟ إن رجال الله سيحكمهم الله في خلق الله يوم الدين وذلك لأنهم سيشفعوا، فهل يشفع في واحد لا يستحق الشفاعة؟ لا يجوز وإن فعل يطرد من رحمة الله ﷻ فوراً، ولذلك ورد أن رسول الله ﷺ كانَ النبيُّ ﷺ مِمَّا يَقُولُ للخَادِمِ :

{ أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قال: حَاجَتِي أَنْ تَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ! قالَ: قالَ: إمَّا لا اعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ } [١١٢]

وقال ﷺ مخاطبا أهل بيته بالخطاب الخالد على مر العصور:

---

[١١١] عن أنس بن مَالِكٍ صحيح البخارى
[١١٢] رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح

{ يَا فاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! اَشْتَرِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ فَإِنِي لاَ أَمْلِكُ لَكِ شَيْئاً، يَا صَفِيَّةَ بِنْت عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللّهِ! اَشْتَرِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ فَإِنِي لاَ أَمْلِكُ لَكِ مِنَ للّهِ شَيْئاً، يَا عَائِشَةُ! اَشْتَرِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِق تَمْرَةٍ } [١١٣]

وهو بذلك يريد أن يعلمهم العدالة.

• خلفاء الله في الأرض

فيجب علي الإنسان أن يكون سيف الله في الأرض.

ألسنا نحن الذين نقيم شريعة الله في الأرض فكيف نقيمها؟ لا تقام الشريعة في أي أرض إلا بالعدالة..

العدالة التى جعلت الإمام علي ابن عم النبي وزوج بنت النبي وأب نسل النبي يختصم معه رجل عند عمر فيقول سيدنا عمر تعالي هنا يا أبا الحسن فغضب وظهر الغضب في وجهه ورفض أن يمتثل لطلبه وظل واقفاً بجوار خصمه، وبعد انتهاء القضية قال له عمر إني رأيت في وجهك الغضب فلماذا؟ قال لأنك كنيتني ولم تكني خصمي قبل أن يظهر الحق لي أو له،وطلبت مني أن أجلس بجوارك وتركته واقفاً.

هذه هي التربية الإيمانية يا إخواني، ولو وصلنا إلي هذه التربية الإيمانية لانصلحت كل أحوالنا ونزع الله ﷻ كل شر من بيننا وجعلنا في الدنيا كأننا في جنة عالية، أما الآن فيتفنن الواحد منا كيف يلصق التهم الباطلة بأخيه، وكيف يأتي بشهود زور ليشهدوا علي أخيه ويفرح إذا حكم علي أخيه زوراً وبهتاناً.

أين الإسلام في القلب؟ وأين الإيمان في الفؤاد؟ إنه إسلام في شهادة الميلاد وإيمان في بطاقة الاحوال المدنية وفقط !!!

---

[١١٣] (هب) عن أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّهُ عنهُ

يس هذا هو الإيمان الذي يطالبنا به رب البرية ﷻ ، فالعدل أساس الإصلاح والعدل يجعل الإنسان يقر بذنبه إذا أخطأ ليغفر له الله جل وعلا.

وأنتم تعلمون كم كان الصحابة حتى النساء منهن يذهبن إلي رسول الله ويعترفن بخطئهن ويمهلهن المرة تلو المرة ويصررن علي الإعتراف بالخطأ وذلك لأنه علمهم ذلك حين عرفهم أنه من أصاب شيئاً من هذه الخطايا فطهر به في الدنيا حفظه الله من عذاب الآخرة.

ومن العدل أيضاً أنه إذا أخطأ في حق أحد يعترف ويذهب إليه متأسفاً ويطلب المسامحة وهي طبيعة المسلم فأين هذه الطبيعة الآن؟

يكون الإنسان مخطئ ويعلم ذلك ومع ذلك يكابر ولا يعترف، والمكابرة ليست من أخلاق المؤمنين، ماذا عليك لو اعترفت بالحق، والإعتراف بالحق فضيلة وقلت يا هذا سامحني فقد أخطأت في حقك بكذا، هنا تريح قلبك وتستخلص كل حقد أو حسد أو بغض في قلبه ويكون السماح تام في الدنيا ويوم الزحام، هذه الأمور يا إخواني فِطر جعلها الله ﷻ في طبيعة الإنسان

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [٧٢الأحزاب]

كان قبل حمل الأمانة ظلوماً جهولاً.

• جمال أهل الفتح

وإذا حمل الامانة وتجلت علي مرآة قلبه الودائع الإلهية والأنوار الربانية لا يظلم ولا يجهل علي أحد، وأمر الله ﷻ الإنسان أن يجاهد في التخلص من هذه الحقائق الظلومية الجهولية ليتصف بالأخلاق القرآنية والاخلاق النبوية والأوصاف الإلهية ويختار ما يلائمه من هذه الأوصاف وكلها واحد، وهذا هو الجهاد الاعظم وذلك ليكون:

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [٤٦فصلت]

من جاهد مستحقاً لهذا الفتح وهذه المترلة لجهاده في هواه في تلك الأمور التي أوضحناها، وجعل الله ﷻ لها شبيهاً في أوصافك الظاهرة .....

فقد خلق لك شعراً وأمرك بتهذيبه حتى يكون كما ينبغي، وجعل لك أظفاراً وأمرك بتقليمها، وخلق لك في أكثر من موضع في جسمك شعر وأمرك بإزالته.

كذلك نفس الموضوع خلقك بهذه الأوصاف المعنوية وأمرك بتهذيبها أو إزالتها بالكلية لتتصف بالأوصاف الإلهية وتتخلق بالأخلاق القرآنية فتباح لك الأنوار الربانية ويكشف لك عن الأسرار القدسية إن كانت في الكائنات أو في الآيات البينات أو في لوحك الذي جعل الله ﷻ فيه مجمل لكل ما في الموجودات ...

فأنت كتر فيك رموز لكل الكنوز الظاهرة والباطنة، فمفاتح كل شيء فيك لأنك خليفة الله ﷻ ، متي يفتح هذا الكتر؟ .. إذا جاهدت في الله حق جهاده، وهذا ما يقول فيه الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

فطر النفوس تقودها لعناها والله بالشرع الشريف هداها

نفسي تميل إلي الحظوظ بطبعها والقهر والإفساد كل مناها

تقودها لعناه إذا اتبعها الإنسان ومشى على هواها ... حتى قال:

وبريدها الحس الذي أرداها .... أى العين والأذن واللمس والذوق ،

هذه المجاهدات ياإخواني هي أساس الوصول إلي عليِّ الدرجات ورفيع المقامات، فعليك أن تجاهد نفسك التي بين جنبيك لكي تتخلص من الحظ ومن الهوي ومن هذه الأوصاف التي جعلها الله ﷻ في الإنسان، وتصير مجملاً بأوصاف النبي العدنان ﷺ .

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

الفصل الخامس عشر

موازين ذكر الله [114]

- أهمية ذكر الله
- تلاوة القرآن
- لا إله إلا الله
- الصلاة علي رسول الله

[114] المنيا – طوخ الخيل – ٢٣/١١/٢٠٠٧م ١٣ ذو القعدة ١٤٢٨هـ، الدرس بعد صلاة الجمعة بالمسجد

• أهمية ذكر الله

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين وجعلنا الله وإياكم من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ..

لقد جئنا هنا لنذكر أنفسنا معكم ونأخذ بأيدي بعض لكي نسهل لبعض أمور الدنيا وأمور الآخرة، والأمر الجامع الذي يسهل به ربنا كل أمور الدنيا ويصلح به كل أمور الآخرة هو ذكر الله ﷻ .

ولا يوجد شيء يستطيع أن يتشبث به العبد للقرب من الله كذكر الله ﷻ.

فعندما ذهب رجل إلي رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إن أمور الإسلام قد تشعبت عليَّ – قيام الليل وصيام النهار وتلاوة القرآن وصلاة الضحي فقد كثرت النوافل – دلني علي شيء واحد أتشبث به؟

وهو بذلك يريد شيئاً من النوافل يغني عن بقية النوافل، أما الفرائض فلا غني عنها فلا يأتي واحد ويقول لقد اشتغلت بذكر الله وقد أوصلني هذا الذكر لحضرة الله ولا أحتاج إلى الصلاة، مثل هذا نقول له لقد وصلت إلي جهنم وبئس القرار لأن ترك الصلاة لو جاز لأحد لكان تركها رسول الله أو تركها الخلفاء الراشدون، إذن الفرائض خارج أي كلام ..

وكذلك لا يوجد من يقول لقد وصلت إلي الله ولا أحتاج إلي الصيام، ومثل هذا نقول له إنك لم تصل إلي الله ولكنك وصلت إلي سقر والعياذ بالله وذلك لأن الصيام فريضة فرضها الله جل في علاه، وكذلك لا يوجد من معه النقود ويملك الإستطاعة ويقول لا أحتاج إلي الحج، ومثل هذا نقول له إنك غير موفق لأن سيدنا عمر قال هممت أن أفرض الجزية علي كل من استطاع أن يحج ولم يحج وكما تعلمون أن الجزية تفرض علي غير المسلمين ..

، إذن يا إخواني الفرائض أمر منتهي ولا فصال فيه ويجب أن نقوم كلنا بطاعة الله كما كان ﷺن والرجل الذي ذهب لرسول الله يريد شيء من النوافل يغني عن الكل فقال ﷺ عندما قال له الرجل دلني علي شيء أتشبث به :

{ جاءَ أَعْرَابِيَّانِ إلى رسولِ الله يسألانِهِ فقالَ أَحَدُهُمَا: يا رسولَ الله أَيُّ الناسِ خَيْرٌ، قال «مَنْ طالَ عُمُرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ»، وقال الآخَرُ: يا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإسلامِ قد كَثُرَتْ عَلَيَّ فأَخْبِرْني بأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قالَ: «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً بِذِكْرِ الله } [١١٥]

وقد يقول قائل أحياناً أذكر الله وأنا مشغول وهو ذكر مع غفلة؟

نقول لمثل هذا لا بأس أذكر لأن سيدي أحمد بن عطاء الله السكندريقال:

{ لا تترك الذكر لوجود الغفلة فيه، فرُب ذكر مع غفلة ينقلك الله فيه إلي ذكر مع حضور وذكر مع حضور ينقلك الله فيه إلي سماع الذكر من المذكور}

" ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [١٥٢البقرة]

فهل تريد بلوغ أعلي الدرجات من البداية؟

لا بد وأن تصبر ...

فمن ذا الذي يصلي ويجد الخشوع من أول صلاة لله؟

بل لا بد وأن يصلي أولاً ويُخشّع نفسه ويجاهد نفسه إلي أن يصل إلي مقام الخشوع، وهذه هي الصلاة العظيمة التي يحبها الله ﷻ ، إذن علي المؤمن أن يذكر الله علي كل حال إن كان قائماً أو قاعداً أو جالساً.

---

[١١٥] عن عمرو بن قيس الكِنْدِيِّ عن عبد الله بن بشر مسند الإمام أحمد وسنن البيهقي الكبرى

• تلاوة القرآن

بم يذكر الله؟ تلاوة القرآن ذكر، وسماع القرآن ذكر، فإذا تلوت فإنه ذكر، وإذا كنت لا أستطيع التلاوة وأسمع مسجل فإن ذلك أيضاً ذكر قال ﷺ :

{ السامع والقارئ في الأجر شريكان} { والعالم والمتعلم شريكان في الخير} [١١٦]

لكن المهم عندما اسمع القرآن إن كان في البيت أو في السيارة أو في العمل أن أعمل بقول حضرة الرحمن:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ لماذا؟ **﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾** [٢٠٤الأعراف]

وكلمة لعل في القرآن ليست بمعني الترجي كما تقول اللغة ولكنها بمعني اللام أي التأكيد إذن [البقرة ١٨٣]:

﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ تعني لترحمون، **﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾**

هل تعني الآية أنه من الجائز أن تتقون؟ لا، لكن معني الآية هنا لتتقون، فلعـــل في لآية تعني لام التأكيد.

إذن عندما نسمع القرآن يجب أن ننصت ونمتنع عن الحديث، وعندما يأتي من يكلمني وأنا أستمع القرآن يجب أن أقول صدق الله العظيم وأغلق المذياع أو المسجل إلي أن ننتهي من الحديث، وقد يقول قائل إنه كلام الله دع المذياع يعمل، من الـــذي

---

[١١٦] أبو أمامة ، الترغيب والترهيب.

يسمعه هنا؟ هل الجن والملائكة الحاضرين في المكان أكثر أدباً مني في سماع كلام الله ﷻ ؟ لا لأن سماع القرآن يستلزم مني أن أنصت وليس هذا وحسب لكن أكون مع الآيات، فإذا كانت آية فيها دعاء عليَّ أن أدعو، وعندما أسمع القارئ يتلو:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٦٠غافر]

ماذا أفعل في هذه اللحظة؟ أدعو الله بما يأتي علي البال لأن ما يأتي علي البال هو ما فتح الله ﷻ له باب الإجابة، ولذلك فإن سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ يقول في حكمه العظيمة:

{ إذا فتح لك باب الدعاء فقد فتح لك باب الإجابة }

وإذا جاءت آيات تتحدث عن الجنة:

﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ۝ ﴾ [الغاشية]

أقول اللهم اجعلني من أهلها،.وإذا جاءت آيات تتحدث عن النار أقول اللهم احفظني من النار وشرورها وعذابها وبهذا أكون متجاوبا مع كتاب الله مع السماع.

والمواقف التي وقف عندها حضرة النبي يجب أن أكون يقظاً عندها، فإذا جاءت آية سجدة عليَّ إذا كنت علي وضوء عند سماعها أن أتجه إلي القبلة وأسجد، أما إذا كنت علي غير وضوء أو علي سفر ولن أستطيع الإتجاه إلي القبلة عليَّ أن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وإذا كنت في واجب عزاء ولا مكان يصح فيه السجود أيضاً أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولذلك يقول العلماء أن علي القارئ الموفق الحكيم ألا يكرر آية السجدة وذلك حتى لا يشق علي الناس.

وكذلك الإمام في صلاة الجماعة يستحسن ألا يقرأ آيات بها سجدة حتى لا يحدث خلاف بين الناس لأنه إن سجد فإن من خلفه يسجد منهم نفر ولا يسجد الباقي ولهذا عليه أن يبتعد عن آيات السجدة، أما إذا سمع أحدنا آية سجدة في أي

زمان ومكان عليه إن كان علي وضوء الإتجاه للقبلة ويسجد سجدة واحدة.

وإذا قرأ القارئ قول الله ﷻ في آخر سورة التين:

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ [التين]

أقول في نفسي كما قال حضرة النبي "بلي وأنا علي ذلك من الشاهدين"

وإذا قرأ آخر سورة القيامة:

﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠ ﴾ [القيامة]

أقول بلي قادر وهكذا،...

بذلك أتجاوب مع آيات الله جل في علاه.

وإذا كنت سأتلو القرآن بنفسي هنا يستحسن أن أقرأ في مصحف مفسر فالقرآن موجود في المتن وبجواره تفسير موجز بسيط للكلمات التي لا أعرف معناها، ومنها سبب نزول الآيات التي لا أعرف لماذا نزلت، لأن أول فرض عليَّ بعد الإيمان بالله أن أتعلم كتاب الله وأعرف معناه ...

وإذا لم أعرف معناه أرجع للهامش المفسر، مثلاً :

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ [٢٢النجم]

من منكم يعرف معني هذه الآية؟ فنحن كما تعلمون نتباري في قراءة القرآن في رمضان ونعد ختمات ونتباهي بذلك، والعبرة ليس بعدد الختمات ولكن العبرة بقول الله:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر ١٧]

ولم يقل فهل من تالي، لكن المهم أن يدكر ويتعظ ويعتبر ويتفهم ويتدبر، فهل

قال أفلا يقرأون القرآن؟ لا ولمنه قال:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [٨٢النساء]

فالمهم ليس في القراءة ولكن المهم في التدبر ولذلك فإن سيدنا الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه قال "لا خير في قراءة لا تدبر فيها ولا خير في صلاة لا خشوع فيها" والسيدة عائشة رضي الله عنها قالت "لأن تقرأ سورة إذا زلزلت الأرض زلزالها بتدبر خير لك من أن تقرأ القرآن كله من أوله إلي آخره هزرمة" وهزرمة أي يقرأ ولا يعي ما يقرأ، وذلك كما يقرأ المسلمون في رمضان.

ومن يقرأ ويتدبر القرآن في رمضان فهل سيأخذ أجازة من التلاوة بعد رمضان كما أخذها الآن؟! من أين اعتمدت هذه الاجازة؟! هل نسيت أن القرآن سيأتي يوم القيامة ويشكوك إلي الله ﷻ ؟!

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [٣٠الفرقان]

كيف يكون مهجور ونحن نضعه علي تربيزة الصالون ونعلقه في السيارة ونضعه في غرف النوم وعلي المكاتب؟! نضعه زينة وديكور لكن هل فتحناه وقرأناه وفهمناه، والمهم والأهم بعد ذلك هل عملنا به؟ والهجر هنا ليس هجر التلاوة ولكن هجر العمل بالقرآن.

إذن عليَّ عندما أسمع أو أقرأ القرآن أن أتمعن وأتذكر وأتدبر في معاني القرآن، ومن حكمة القرآن أن الله ﷻ يسره للإنس جميعاً وللجان فلو أن هناك رجلاً أمياً ويقرأ القرآن بقلب حاضر وتمعن فإن الله يترل عليه علوم لم يقرأها أستاذ في علم التفسير وهذا هو كلام الله:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ [١٧القمر]

يسرناه أي سهلناه فأي مؤمن يقرأ بقلب سليم ويتمعن ويتدبر لا بد وأن

يفهم، وقد يكون بعضكم رأي ذلك.

فلو أن هناك حتى من لا ينطق العربية ومسلم كما نري في الحرمين ويريـــد أن يقرأ القرآن كل ما عليه أن يفتح المصحف فيجد أنه يقرأ بلسان عربي مبين.

وعندما تسمعه يهئ لك أنه يتكلم العربية لكن عندما تتكلم معه تجـــد أنـــه لا يعرف العربية، إذن لماذا يقرأ كتاب الله؟ إنه التيسير الذي يسره العلي الكـــبير ﷻ ، قد يقول قائل إنه يقرأ ولا يفهم, أبداً لأنك تجده يقرأ والدموع تسيل من عينيه وهذا معناه أنه منفعل بالكلام ويفهم ما يقرأ، إذن لماذا فهم وهو لا يجيد العربية؟

إنه تيسير رب البرية لآياته القرآنية لكل المسلمين قارئين وغير قارئين، وكانت حكمة انزال الله ﷻ القرآن علي النبي وهو أمي أن يعرفنا أن القرآن ليس للقـــارئين وليس لأهل اللسان الفصيح ولا لأهل النحو والصرف واللغة العربية لأن كل هـــذه الأشياء جاءت بعد نزول القرآن.

إذن فهم القرآن لأي مؤمن في قلبه يقين ويقرأه ويتمعن ويتدبر في آياته أو وهو يسمعه، وكان السلف الصالح يملكون موهبة ربانية وهي موجودة ولا زالت فأحيانـــاً كان يأتي رجل كريم العينين ولا يحفظ القرآن فيقول لآخر أريد أن أسمـــع كـــلام الله فيقرأ له الرجل وأثناء القراءة كان الرجل أحياناً ينسي آية فيقول له الرجـــل كـــريم العينين لقد أخطأ ت، فينسي مرة أخري ويردده الرجل فيقول المبصر هـــل تحفـــظ القرآن؟ يقول لا فيقول كيف عرفت إذن أنني قد أخطأت؟

يقول وأنت تقرأ كنت أري نور فعندما انقطع هذا النور عرفت أنك قطعـــت الآيات، وهذه الأمور موجودة في كل زمان ومكان ، وهذا لأنهم كانوا ومـــا زالـــوا يسمعون القرآن كما قال الرحمن:

﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ [١٢الحاقة]

ليست هذه الأذن الحسية لأن اسمها أذن صاغية إذا أصغت للعلم والحكمة أو أذن لاهية إذا استمعت إلي الأغاني والملاهي، لكن الأذن الواعية هي أذن القلب وهي

التي تستمع إلي كلام الله ﷻ .إذن ذكر الله أعظمه وأبهجه هو كلام الله ولذلك قال حبيبي وقرة عيني ﷺ :

{ أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي تِلاَوَةُ الْقُرْآنِ } [١١٧]

وقد تسهل الموضوع الآن فإن لم أستطع التلاوة عليَّ أن أسمع فإذاعة القرآن لا تنقطع في ليل ولا نهار والمسجلات موجودة وتسجيلات القراء المشهورين العظماء موجودة وليست مفقودة، والمهم أن أجيد السماع والإستماع.

• لا إله إلا الله

ومن ذكر الله ﷻ كذلك لا إله إلا الله.

سيدنا موسي يقول:

{ يارب خصني بشيء أذكرك به دون خلقك قال قل لا إله إلا الله، قال يارب كل خلقك يقولون لا إله إلا الله، وأريد أن تخصني بشيء دون خلقك، فقال الله يا موسي لو كانت السموات والأراضين في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت كفة لا إله إلا الله.} [١١٨]

فكلمة لا إله إلا الله أغلي وأرقي وأعلي من السموات والاراضين ومن فيهن ولذلك قال الحبيب ﷺ :

{ أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي عَشِيَّةَ عَرَفَةَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ } [١١٩]

فإن قلنا لا إله إلا الله فبها ونعمت، وإن قلنا الله فإنه ذكر، وإن قلنا حي يصح

---

[١١٧] (هب) عن النعمان بن بشير رضيَ اللَّهُ عنهُ.(جامع الأحاديث والمراسيل)

[١١٨] كنز العمال للمتقى الهندى.

[١١٩] اسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في الأربعين عن عليّ رضيَ اللَّهُ عنهُ. (جامع الأحاديث والمراسيل)

وقيوم يصح:

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [١١٠الاسراء]

فإذا ذكرنا الله بلا إله إلا الله فإنه ذكر، وإذا ذكرنا الإسم الجامع" الله " فغاية الذكر، وإذا ذكرنا بأي وصف من أوصاف الله الموجـودة في كتـاب الله وذكرهـا رسول الله فإنها ذكر.

• الصلاة علي رسول الله

ومن ذكر الله كذلك .... الصلاة والسلام علي حبيب الملـك العـلام ... ومصباح الظلام .... والشفيع الأعظم لجميع الأنام يوم الزحام .... سيدنا رسـول الله محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

من الذي أمرنا بالصلاة عليه؟ الله .... ، ولم أمرنا ﷻ بالصـلاة عليـه؟ بين لنا الله تعالى أن الصلاة عليه ﷺ ليس معناها احتياجه إليها ....:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ ﴾ [٥٦الأحزاب]

عندما يصلي الله وملائكته عليه هل يحتاج شيء من أي أحد آخر؟ لا .. فنحن المحتاجون ... قال تعالى فى الآية [٥٦ الأحزاب]:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾

كيف نصلي يارسول الله ؟ أنكثر من الصلاة عليك؟، قال الحبيب الأعظم :

{ أكثروا من الصلاة عليّ فإنها نوركم علي الصراط يوم القيامة }[١٢٠]

---

[١٢٠] كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى

والصراط علي جسور جهنم التي لها سبعة جسور:

كل جسر من يمشي عليه يمشي ألف سنة صعوداً، وألف سنة استواءاً، وألف سنة هبوطاً !!!!

إذن كم المدة التي يمشيها علي السبعة جسور؟

واحد وعشرين ألف سنة .. الكهرباء التي عليه من أين؟

لا يوجد شمس ... لأن الشمس يوم القيامة سينتهي أمرها للأبد:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [٤٨ابراهيم]

النجوم ستخسف .... والشمس ستنكسف .... وكل شيء سينتهي .... والنور هناك سيكون:

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [٤٠النور]

نور الأعمال الصالحات:

هو ما سيأتيك هناك وهو الذي سيؤنسك في القبر عندما يأتيه رجل بعد أن نتركه شديد بياض الثياب شديد بياض الوجه له رائحة طيبة يقول له السلام عليك يا فلان، يقول عليك السلام، من أنت؟ ومن الذي أرسلك إليَّ؟ يقول أو ما تعرفني أنا عملك الصالح وإنا معك هنا إلي يوم القيامة ..

فما الذي ينير هذه الجسور؟

نور الصلاة علي الحبيب المختار فهو النورالذي يكشف للمؤمنين ظلمات هذه الجسور ويجعل معهم قوة ربانية يعبرون بها هذه الجسور، منهم من يمر علي السبعة كمرور البرق الخاطف، ومنهم من يمر عليها مثل الريح السريعة، ومنهم من يمر عليها مثل الخيل، ومنهم من يمر عليها ماشياً.

ومن يمشي عليها من المؤمنين سيختلف عمن يمشي عليها من الجاحدين والكافرين والمشركين.

فإن من يمشي منهم فالجسر أرق من الشعرة وأحد من السيف فكيف يمشي عليه؟ لا يستطيع فيترل في جهنم والعياذ بالله.

أما من يمشي من المؤمنين قال فيهم ﷺ :

{ يتسع الصراط لأمتي حتي يكون عرضه مسيرة ثلاثة أيام } [١٢١]

فيمشي مطمئن بإذن الله، ما الذي يضئ للماشي والراكب؟ وقد يقول قائل وهل هناك راكب؟ نقول نعم من ضحي ولو مرة في حياته، قال ﷺ :

{ إِسْتَفْرِهُوا ضَحَايَاكُمْ فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ عَلَى الصرَاطِ } [١٢٢]

أى استسمنوها، والذي يضئ لهؤلاء جميعاً هو نور الصلاة علي رسول الله ﷺ.

وكيف ندخل الجنة؟ هل بالعمل؟ قال الرسول:

{ مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ } [١٢٣]

إذن كيف سندخل؟ ندخل بشفاعة رسول الله، كيف نحصل هذه الشفاعة ونأخذها؟ بشيء سهل يسير قال فيه ﷺ واسمعوا الحديث واعملوا به، لكن المهم المواظبة والمدوامة:

{ مَنْ صَلّى عَليَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً، وحِينَ يُمْسِي عَشْراً أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ } [١٢٤]

---

١٢١ كتر العمال فى سننِ الأقوال وِالأفعال للمتقى الهندى.
١٢٢ (فر) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.(جامع الأحاديث والمراسيل)
١٢٣ (طب) عن أسامة بن شريكٍ رضَي اللَّهُ عنهُ.(جامع الأحاديث والمراسيل)
١٢٤ عن أبي الدرداء رواه الطبراني بإسنادين

ولكي تعرفوا أن آباءنا وأجدادنا كانوا أكثر حرصاً منا فقد كـــانوا دائمـــاً في ختام صلاة الصبح وختام صلاة المغرب بعد الدعاء يصلون علي حضرة النبي عـــشر مرات في جماعة، أما نحن الآن ولأننا مشغولون بالدنيا أقلعنا عن ذلك.

وكما قلت ولأن آباءنا وأجدادنا كانوا حكماء:

فقد كان الواحد منهم يقول لنفسه ويقول لجاره وصديقه لـــو خرجنـــا مـــن المسجد فإن هذا سيحدثني وهذا سيشغلني ولن نصلي علي حضرة الـــنبي، فأخـــذوا العهد علي أنفسهم ألا يخرجوا من المسجد حتى يصلون علي النبي جماعة، لماذا؟

لأن لو واحد فقط عمله مقبول فسيقبل عمل الجماعة كلها من أجله، وهـــذه هي الحكمة التي تحلو بها.

وهناك بعض الغافلين الآن يقولون:

لا صلاة علي النبي بعد الأذان!!!!

من إذن الذي قال صلوا بعد الأذان؟ الرسول وفي صحيح البخاري ومسلم:

{ ِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا الله لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ } [١٢٥]

وقد قال سلفنا الصالح:

إن علي المؤذن بعد أن ينتهي من الآذان يصلي علي النبي من أجل أن يـــذكر الحاضرين والسامعين أن ينفذوا السنة التي أمر بها سيد الأولين والآخرين.

والشبهة التي وضعها إخواننا الغافلون –عن فقه الدين – أنهم قـــالوا أن مـــن يفعل ذلك يزيد علي الأذان!!

---

[١٢٥] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ صحيح مسلم

ولو كانت إضافة علي الأذان .. كما يقولون لكانت الصيغة التي نصلي بها هنا كما في المسجد المكي.. أو مثل التي في قنا ... أو كمثل التي في أسوان ... وفي سائر البلاد صيغة واحدة !!!

لكن منهم من يقول الصلاة والسلام عليك يا نبي الله .

.ومنهم من يقول الصلاة والسلام عليك يا نور عرش الله ..

وكل واحد يتلفظ بصيغة مختلفة ...

وذلك لأنه يعلم أنها خارج الأذان والأعمال بالنيات.

ونيته من هذه الصلاة كما قلنا أنه يصلي ويذكر إخوانه المصلين والسامعين لكي يصلون علي حضرة النبي ﷺ .

ولذلك قال الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه :

{ ينبغي ويجب علي المؤذن بعد انتهاء الأذان أن يقول علي الأقل وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم }

وكانت هذه هي الحكمة التي كانوا من أجلها يفعلون ذلك فعندما يقولون نريد أن ننفذ الحديث ثم يفعلون ذلك وينفذونه بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب في جماعة فما المانع من ذلك؟

الفصل السادس عشر

موازينُ الأصفياء[126]

- ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩الفتح]
- أهل الصفة
- مهام الأصفياء
- مدرسة أهل الصفة
- حياة الأتقياء
- منهاج السعداء

[126] المعادي – الخميس ٨/١١/٢٠٠٧م – ٢٧ شوال ١٤٢٨ هـ

▪ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩الفتح]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي استخلص رجالاً وأقام أبدالاً يحملون لواء الإسلام في كل زمان ومكان، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد قطب دائرة الوجود الذي قال في حديثه الصحيح:

{ إِنَّهَا لَنْ تَبْرَحَ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلىٰ الْحَق، ظَاهِرِينَ عَلىٰ النَّاسِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلىٰ ذَلِكَ } [١٢٧]

صلي الله عليه وعلي آله الأعلام وأصحابه الكرام وكل من اهتدي بهديه إلي يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يارب العالمين.

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

إن لله ﷻ في تصاريف الأمور أمور فوق طاقة العقول وقدرات النفوس بل فوق ما تتحمله الأرواح لأن الله كما قال عن نفسه:

﴿ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٨٢يس]

ولما أراد الله ﷻ اعزاز الوجود ولا يتم الإعزاز إلا بشرع الله ودين الله اختار الله ﷻ وهو أعلم واصطفي وهو أكرم الحبيب المصطفي ﷺ واصطفي له ﷺ رجالاً يعينونه علي تبليغ دعوة الله ويؤازرونه في حمل رسالة مولاه جل في علاه وهي حكمة الله البالغة إلي يوم الدين، قيض الله له رجالاً يفدونه بأنفسهم وأموالهم، قال الله ﷻ في شأنهم ف [٥٤المائدة]:

﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾

وقال في شأنهم:

---

[١٢٧] عن مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ (كر).(جامع الأحاديث والمراسيل)

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [٢٣الأحزاب]

هؤلاء الرجال منهم من جعله الله ﷻ قدوة في عمله وفي مجاله لمن بعـــده إلي يوم الدين، فمنهم من أقامه الله في التجارة ليكون قدوة للتجار الأبرار إلي يوم القرار، ومنهم من جعله الله ﷻ في المهن وفي الصناعات وفي الأعمال الحرة وجعلهم نمـــاذج فذة في هذه الطاقات والإبداعات إلي يوم الدين، وقال الله ﷻ لنا ولمن قبلنـــا ولمـــن بعدنا في شأنهم أجمعين:

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [٩٠الأنعام]

وقال ﷺ مبيناً حقيقة حالهم وصدق شأنهم وســـلامة قـــصدهم: "أصـــحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " (مسند الإمام أبي حنيفة عن أبي هريرة)، ومنهم من جعله الله ﷻ قائماً في مقام المنافحة والدفاع عن الحبيب ودعوته والعمل لنشر دينـــه ورفع لواءه وكلمته وهم الابطال الصناديد في ميادين الجهاد.

● أهل الصفة

ومنهم حملة الشريعة وأمناء أسرار الحقيقة ...

وهم رجال تركوا بلادهم وأوطانهم، وجاءوا إلي المدينة حيث رســـول الله ﷺ فلم يكن لهم بها قريب أو عريف يعرفونه وينزلون عليه، فأنزلهم النبي ﷺ في مـــسجده المبارك، وكان المسجد جداراً يحيط بمكان وليس له سقف فأمرهم النبي ﷺ أن يصنعوا سقفاً للجهة الشرقية من المسجد في مؤخرته ليجلسوا تحتها في الصيف ويناموا تحتـــها في الليل ويتقون في الشتاء نزول المطر وسموها الصُفَّة.

والصفة هي السقف الذي كان في مسجد رسول الله ﷺ ويأوي إليه الغربـــاء الذين ليس لهم وطن ولا أهل ولا زوجة ولا مال ولا ولد وإنما جـــاءوا متفـــرغين لله ورسوله ﷺ .

هؤلاء القوم كان عددهم يزيد وينقص بحسب الأحوال ..

أحيانا كان يأتي معهم جديد، وآونة كان النبي ﷺ يكلف بعضهم ببعض الأعمال فيتركوا المكان، كان يصل عددهم أحياناً إلي السبعين وأحياناً إلي التسعين وجملتهم في مختلف المراحل النبوية حوال سبعمائة رجل، أي أن الذين دخلوا المدرسة وتخرجوا علي دفعات حوالي سبعمائة رجل.

منهم سيدنا سلمان الفارسي ومنهم سيدنا صهيب الرومي ومنهم سيدنا بلال الحبشي ومنهم سيدنا أبي ذر الغفاري وجاء لهم في النهاية في العام السادس من الهجرة أبوهريرة لأنه أسلم في عام فتح خيبر.

• مهام الأصفياء

ذكرت كتب السيرة النبوية أسمائهم واوصافهم وأحوالهم.

وكانت مهمتهم أن فرغهم الله ﷻ لنبيه ودينه فكان ليس لهم شغل إلا بحضرة النبي ﷺوبخدمته ، ووزعوا الخدمة علي أنفسهم ... فمنهم من كان يقوم بوضوءه، ومنهم من كان يقوم بطهوره، ومنهم من كان يحمل عصاه، ومنهم حامل النعلين، وكان إذا دخل النبي إلي مكان أخذ النعلين ووضعهما في كمه .. فإذا انتهي من مهمته جهزها ليلبسها، ومنهم من كان يشتغل بطعامه وشرابه، ومنهم من كان يشتغل بخدمة ضيفان حضرة النبي ﷺ ،ومنهم من كان يرعي غنمه ودوابه، فوزعوا أنفسهم لخدمة النبي ﷺ .

وكانوا مع ذلك يقتسمون الأوقات لتحصيل العلم النبوي والآيات القرآنية من رسول الله ﷺ، وكانوا يصومون النهار وفي آخر اليوم يوزعهم النبي ﷺ علي اخوانهم من المهاجرين ومن الانصار، بعضهم كان يأخذ الرجل وبعضهم كان يأخذ الثلاثة وبعضهم كان يأخذ خمسة وبعضهم كان يأخذ عشرة .

وكان سيدنا سعد بن معاذ سيد الانصار ﷺ يأخذ في كل ليلة ثمانين رجلاً

منهم يطعمهم ويبيتهم عنده، فإذا أصبح الصباح جاءوا إلي مسجد رسول الله ﷺ.

وأحياناً كان ينتهي التوزيع ويتبقي عدد فكان يستضيفهم النبي ﷺ وكان لــه غنم يأمر بحلبها ويطعمهم من لبنها وكانوا يستغنون به عن كل اصناف الطعام.

ومهمتهم بعد ذلك هي هذه الرسالة:

فهم الذين حملوا هذا الدين وهم الذين وعوا القرآن في صدورهم وهم الــذين تشبهوا بالنبي ﷺ في كل احوالهم وهم الذين اقتدوا بحضرته ﷺ في كل أعمالهم وهــم الذين قاموا معه ﷺ يعينونه علي تبليغ رسالة رهم ﷻ .

وقد حسدهم الوجهاء والأغنياء من العرب علي هذه المكانة الإلهية والدرجــة الربانية التي تفضل عليهم بها الله لأن النبي ﷺ كان حريصاً عليهم كل الحرص يقبــل عليهم بكل وجهه ويجالسهم ويباسطهم.

وكان ﷺ إذا جاء الوجهاء والاثرياء من العرب لا يترك مجالسة هؤلاء القــوم حتى أنه ورد أن بعض زعماء العرب وهو رجل يدعي الأقرع بن حابس ومعه نفر لما رأو ذلك قالوا يا رسول الله اجعل لنا مجلساً خاصاً كهؤلاء، ولم يــوفقهم الله ﷻ في حسن الكلام فقالوا اجعل لنا مجلساً خاصاً فنحن أثرياء العرب ولا تدعنا نجلس مــع هؤلاء الفقراء – وكانوا يلبسون جلود الضأن وجلود الضأن بدون معالجة كيماويــة صناعية لها رائحة لا يستسيغها الإنسان – فقالوا إننا نتأذي من ريحهم فاجعــل لنــا مجلساً يعرف العرب أن لنا مجلساً للوجهاء، فنزل قول الله ﷻ :

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [٥٢الأنعام]

أي فلا تطع هؤلاء وابقي مع الفقراء قال تعالى ف [٢٧٣البقرة]:

﴿ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا ﴾

والنبي ﷺ كان قد أدبهم وهذبهم علي العفة البالغة فكانوا لا يسألون مهما حدث لهم من مخمصة ومن جوع، حتى أن سيدنا أبوهريرة ﷺ يحكي واقعة فيقول غلبني الجوع حتى كدت أجن فرأيت أبا بكر خارجاً بعد الصلاة فسرت معه أتحدث معه وأسأله عن آيات من كتاب الله ﷻ وأنا لا أريد أن يحدثني عن الآيات ولكن أظن أنه سيضيفني ويطعمني ولكنه لم يفعل فرجع وتركه ولم يخبره بما به، قال فوجدت عمر فسرت معه وتحادثت معه في آيات في كتاب الله وأنا أبغي أن يضيفني ويطعمني لما بي من الجوع ولكنه لم يفعل فرجعت وإذا بحبيبي ﷺ يراني فعرف ما بي:

﴿ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾

[١٠٨يوسف]

فقال لي أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق أي تعالَ فذهبت إليه وكان عنده أعتر أي عترات قليلة وكانوا ثلاثة، قال ادع أهل الصفة ،قال فقلت في نفسي وما تصنع هذه الأعتر مع أهل الصفة، قال فأمرني أن أحلب عترة، ثم قال اسقي أهل الصفة، قلت وأنا قال ساقي القوم آخرهم شراباً، قال فشربوا جميعاً وبقيت فضلة فناولتها رسول الله ﷺ فشرب منها، ثم قال أبا هريرة اشرب، قال فأخذت أشرب حتى ارتويت، ورسول الله يقول أبا هريرة اشرب، حتى امتلأت أضلعي، فقلت والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً ...

يعطيه حضرة النبي ر درساً عملياً في الإيثار، قال تعالى فى [الحشر ٩]:

﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾

فكانوا علي هذا الوضع ولذلك عندما تحدث بعض الناس بعد انتقال الحبيب ﷺ إلي الرفيق الأعلى وقالوا أكثَرَ أبو هريرة الحديث عن رسول الله – لأنه روي عن رسول الله حوالي أربعة آلاف حديث – والمدة التي قضاها مع رسول الله لا تبلغ الأربع سنين فقال ﷺ مالهم ومال أبي هريرة والله لولا آية في كتاب الله ﷻ ما حدثتهم بحديث واحد عن رسول الله وهي قول الله ﷻ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة ١٥٩]

وكانوا مشغولين عن رسول الله ﷺ بزراعاتهم وتجاراتهم وأنا كنت مع رسول الله ﷺ بملء بطني أي متفرغ.

• مدرسة أهل الصفة

فكانت مدرسة أهل الصفة هي أول مدرسة فيها إعاشة كاملة لكل الطلاب وفيها تدريب عملي لكل الطلاب علي العلوم التي يحصلونها والآيات التي يستمعون إليها فخرجوا كما قال في شأنهم:

{ فُقَهَاءُ أُدَبَاءُ كَادُوا أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ } [١٢٨]

ولذلك هم الذين حملوا روح الدين وما أحوج الناس في كل زمان ومكان إلي روح الدين لأنهم عملوا بما علموا فأعطاهم الله ﷻ من عنده علماً وهبياً ونوراً كشفياً وحالاً ربانياً فكانوا في كل أحوالهم نموذجاً يحتذي لمن أراد أن يتعرف علي قول الله:

---

[١٢٨] عَلْقَمَةُ بْنُ الْحَارِثِ (كر).(جامع الأحاديث والمراسيل – مسند علقمة

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾[٢٩الفتح]

وكان هؤلاء القوم لأنهم في الدراسة الداخلية يحرم عليهم نـاظر المدرسـة ﷺ تخزين ما يزيد عن حاجاتهم، فيقول يا بلال ما الذي شغلك؟ يقول يا رسول الله خمسة دراهم باقية عندي فقال ﷺ :

{ أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقلالاً } [١٢٩]

قال وكيف أصنع ذلك يا رسول الله؟ قال ما رزقت فلا تخبئ أي خذ ما تحتاج إليه والباقي رده علي الفقراء من المؤمنين والمسلمين الذين يحتاجون إليه.

ولذلك مات أحدهم ، فلم يجدوا له كفنا ففتشوا في ثيابه فوجدوه قد صَـر في ثيابه درهمين أو دينارين، فقالوا يا رسول الله وجدنا في ثيابه درهمين، فقال ﷺ:

{ كيتان } أى من النار [١٣٠]،

لأن هذا حالهم فقد ضمن الله لهم كل شئونهم فلا يجب عليهم أن يخبئوا شـيئاً للغد. ، فهو حال عالي أقامهم فيه رسول الله ليكونوا حملة الشريعة الأمنـاء وحملـة الروح التي حملها سيد الرسل والأنبياء ويبعثون ذلك في كل الأنحاء وفي كل الأرجاء رضي الله ﷻ عنهم أجمعين، ولذلك كان ﷺ يجالسهم ويقول الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني ربي أن أصبّر نفسي معهم ثم قرأ قول الله ﷻ :

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [٢٨الكهف]

[١٢٩] عبد الله بن مسعود فى النوافح العطرة.، وعن بلال فى تخريج الإحياء.
[١٣٠] عن أبى أمامه فى مسند أحمد وفيه روايات عديدة فى كتب السنة.



هؤلاء القوم لم يكن النبي يتحرك حركة أو يسكن سكنة أو يخرج من لسانه لفظة إلا ويسمعونها ويسجلونها بأفئدتهم وقلوبهم.

ولذلك يتعجب العالم كله من دقة التسجيل لهذا النبي الجليل، فما سجل التاريخ علي أحد من البشر حركاته وسكناته ولفتاته حتى في خلواته كما سجل علي هذا النبي الكريم ﷺ.

لقد كان منهم من يدخل أحياناً متخفياً ليري من حال النبي ما لا يراه غيره في خلواته حتى يصفوا كل أحوال رسول الله ﷺ.

● حياة الأتقياء

كيف كانت حياتهم في مسجد رسول الله ﷺ؟

كانت حلقات العلم أول شغلهم وكان النبي ﷺ يذهب إليهم ويجالسهم وبعضهم بعد ذلك كان يجلس في حلقات لتلاوة كتاب الله وبعضهم كان يجلس في حلقات لذكر الله ﷻ ، يقول سيدنا سلمان الفارسي ﷺ دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن في جماعة نذكر الله ﷻ فقال ما تصنعون فقلنا نذكر الله ﷻ فقال رأيت رحمة الله ﷻ تنزل عليكم فأحببت أن أصيب من هذه الرحمة.

هذه هي الكلية المحمدية، حلقات علم وحلقات ذكر وحلقات قرآن وحلقات فكر علي النهج الذي وصفه الرحمن في القرآن وكان عليه النبي العدنان وكان عليه صحابته الأجلاء في كل زمان ومكان، هذه كانت أحوالهم إما خدمة لحضرة النبي أو جهاد في صفوف الجيش في الغزوات التي يقودها النبي أو التي يبعثها حضرة النبي ﷺ، كانت حياتهم كلها لله ولذلك هم الذين وصفهم الله فقال في شأنهم [الكهف ٢٨]:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾

ويكفيهم بهذا الوصف شرفاً وفخراً، هؤلاء القوم هم الثلة المباركة الذين يقول فيها ﷺ أنها لا تزال طائفة قائمة بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله

وهم علي ذلك إلي يوم القيامة.

لهم ورثة في كل زمان ومكان يقول فيهم ﷺ :

{ يَحْمِلُ هذا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ينفُونَ عنهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ وتْاويلَ الجاهِلينَ وانْتِحَالَ المُبْطِلينَ } [١٣١]

وهم السادة الصالحين في كل زمان ومكان، ولذلك تجد دوماً في بساط كل رجل صالح نفر من هؤلاء تركوا الدنيا وتركوا المشاغل وتفرغوا لله، منهم من يقوم بخدمة الإخوان طلباً لما عند الله ومنهم من يبلغ دعوة الله في كل الأصقاع والبقاع ومنهم من يسعى لعمل البر وعمل الخير وعمل المكارم ونشر الأخلاق الفاضلة والقيم القرآنية والأخلاق النبوية في كل الأرجاء والأنحاء.

وهؤلاء هم ورثة هاتيك المقامات، ولذلك كل رجل منهم علي حال رجل من هؤلاء السابقين، كما أن كل رجل من هؤلاء الصفوة كان علي حال نبي أو رسول من رسل الله ﷺ السابقين، وقد ورجد في ذلك أحاديث عدة، منها: **{ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى شَبِيْهِ عِيسى ابنِ مَرْيَمَ ﷺ خُلُقاً وخَلْقاً، فَلْيَنْظُرْ إلى أبي ذَرّ }** [١٣٢] ، وأبو ذر رجل ترك الدنيا بالكلية وكان منشغلاً بالإقبال علي حضرة الله جل في علاه، وعندما زار الإمام أبو العزائم ﷺ سيدي إبراهيم الدسوقي الذي فرغ نفسه لله وترك الدنيا وما فيها قال في شأنه :

عليه أبو ذر الغفاري قد أملي .....

لأنه ورث حال أبي ذر في زمانه وفي عصره وأوانه، فالسعيد من يدخل نفسه في عداد هؤلاء القوم السعداء.

لا نستطيع في هذا الزمان أن نترك السعي علي المعاش وتحصيل الأقوات، ولكن يجعل وقته بعد تحصيل قوته وقوت أولاده الضروري لله حتى يلحق هؤلاء

---

[١٣١] عن أبي هريرةَ ، وعبد الله بن عُمَر رواه البزار.
[١٣٢] عن عبد الله بن مسعود صحيح ابن حبان ومجمع الزوائد

الأقوام فإذا رزقه الله ﷻ الحياة المديدة وأحيل في الوظيفة الدنيوية إلي التقاعد فإن الوظيفة الربانية ليس لها سن للتقاعد فليجعل عمله كله لله ويعلم علم اليقين أن الله ﷻ فرغه ليكون من جند الله الذين يرثون أحوال الصفوة الكرام البررة أهل الصفة:

﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾
[٢٨الكهف].

• منهاج السعداء

هكذا كانت دعوة الإسلام، الثلة المباركة التي كانت حول المصطفي ﷺ تربوا علي مائدته الشهية وشربوا من يمينه ﷺ الأحوال العلية وبعد ذلك كل رجل منهم طاف حوله طائفة أعجبوا بحاله وتلقوا منه علومه الوهبية.

فكان لكل رجل منهم طائفة فسيدنا عبد الله بن مسعود كان له طلاب وسيدنا معاذ بن جبل كان له مدرسة، وسيدنا أبو ذر كان له مدرسة ، وسيدنا أبي بن كعب كان له مدرسة، وسيدنا علي بن أبي طالب وسيدنا عبد الله بن عباس، كل واحد منهم كان له مدرسة واختص بعلم مخصوص وحال مخصوص من المليك القدوس ﷻ، وظل هذا الحال إلي يومنا هذا يجعل الله مكان كل رجل رجل من الصالحين يلتف حوله نفر من أهل القلوب الصادقين يعينونه علي تبليغ رسالة الله وحمل أمانة الله.

ولو تدبرنا ونظرنا في تاريخ الدعوة الإسلامية لوجدنا أن الذي نشر الإسلام في أفريقيا وفي آسيا وفي هذه الصحاري القاحلة وهذه الأماكن البعيدة ما هم إلا هؤلاء النفر الذين لا يرجون غير وجه الله "يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ .

كان الرجل منهم يسير الشهور علي قدميه لا طمعاً في مال ولا أملاً في جاه أو منصب؛ ولكن رغبة في تبليغ رسالة الله ليفوز بأن يدخل في قول الله [٢٨الكهف]:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾

والذي يري كتاب (الدعوة إلي الإسلام) والذي ألفه رجل غير مسلم وهو السير أرنولد الإنجليزي.. يجد هذا الكلام،. لكن لو كانت الدعوة من أجل الحصول علي مال فلن تجد هناك حال، ولو كانت الدعوة من أجل الحصول علي منصب أو جاه فلن يحقق الله لهذا الرجل مناه لأن مناه أمل فاني لا يرضي حضرة الله ﷻ.

لكن دعوة الصالحين علي هذه الوتيرة وعلي هذا المنهج في كل وقت وحين، وفي عصرنا كذلك رأينا ذلك رجال الله الصالحين، وكان المريدين الصادقين علي هذه الوتيرة فكان الإمام أبو العزائم رضي الله عنه علي سبيل المثال كان له نفر من أصحابه جعلهم معه في بيته وتولي اله ﷻ علي يد الإمام أبي العزائم كفالة زوجاهم وأبنائهم فكان يقوم بنفسه بتربية أبنائهم والإشراف عليهم وكانوا هم يجوبون البلاد شرقاً وغرباً وهم الذين نشروا هذا الخير وبلغوا هذا الفضل رغبة في رضاء الله جل في علاه.

هذه الكتيبة يا هناء من ينضم إليها والذي يدخل في قول رسول الله ﷺ طائفة من أمتي قائمة بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم علي ذلك.

لا يبغون من وراء ذلك دنيا ولا مال ولا مكاسب ولا مناصب ولا مغانم ولا حتى شياخة ومريدين وإنما يطلبون من ذلك كله وجه الله ﷻ، قال الله فيهم:

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة]

هؤلاء هم ورثة النبيين وورثة الصحابة الأعلام المبجلين وورثة الأحوال الصادقة من سيد الأولين والآخرين، والذين يقول فيهم سيدي أحد بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه "حال رجل في ألف رجل خير من كلام ألف رجل في رجل واحد".

دعوة الله تحتاج إلي ذلك الصنف من الرجال المتجردين، فبدايتهم التجرد من الأهواء ومن النزغات ومن والنزعات ومن المطالب الدنية ومن الأهواء النفسانية فلا يريدون إلا وجه الله والله بعد ذلك يؤيدهم ويسددهم ويثبتهم ويلهمهم ويؤلف لهم وعليهم القلوب فإن الجامع هو الذي يجمع القلوب علي الفرد المطلوب، هذا الباب وهذا الفضل مفتوح لمن أراد الفتوح.نسأل الله ﷻ أن يبلغنا جميعاً ذلك، وأن يجعلنا جميعاً أهلاً لذلك، وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

الفصل السابع عشر

موازين الصديقين والمريدين الصادقين [١٣٣]

- علامة صدق الولي
- خوف الصديقين
- أدب الصحبة

١٣٣ المعادي، الجمعة ١١/١/٢٠٠٨م – ٣ محرم ١٤٢٩ هـ ، الدرس بعد صلاة الجمعة

• علامة الولى الصادق

ماهى علامة الولى الصادق ؟

يعطينا الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه مؤشراً لمعرفة الصالحين الصادقين، كيف أعرفه؟ كما سمعتم فى القصيدة :

إن كنت تدرى مقامى فافهم معاني كلامى

وذلك لأن الصالحين الصادقين علي قدم:

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [٦٥الكهف]

وأول علامة علي صدق الولي يعرفها أي إنسان سعيد ويجهلها كل شقي أن يرزقه الله العلم المكنون والواردات الإلهامية الإلهية، ولذلك فإن كلام الصادقين لا يقيد بمعني فإنهم يتكلمون بحسب التترلات، والتترلات تكون علي حسب مواجهاهم للرجال بمعني أنه إذا سُئل سؤال فإن الحق ﷻ يترل علي قلبه إجابة للسؤال علي قدر السائل تريحه، وقد يُسأل نفس السؤال من سائل آخر فتأتي إجابة أخري ومن سائل ثالث فتأتي إجابة أخري وهكذا...

وعلي السامع هنا ألا يتمسك بأحد هذه الإجابات ويقول أن العارف فلان يجيب علي هذا السؤال بكذا وذلك لأنه يجيب علي هذا السؤال بكذا في محطة كذا أو في مقام كذا، لكن كل سؤال له في المقامات حيطات لا حد لها ولا نهايات.

وقد يكون للعارف تصرف في مسلك من الأمور وهذه التصرفات تكون إلهامات فورية وقتية فيأتي المريد الذي لا يعرف ويقول أن الشيخ فعل كذا ساعة كذا مع أن هذه الساعة تكون علي حسب الوارد وكل ساعة لها وارد، وإن حدثت نفس هذه الحالة في مكان آخر لجاء وارد آخر لأنه لا يُحَضر فكل ما عليه أن يُحضر روحه مع الله وقلبه مع حبيب الله ومصطفاه ويتلقى الواردات التي تأتي من الله ورسوله

وتكون هذه الواردات علي حسب الحالات، وهذا ميزان من الموازين التي ذكرنا بها الإمام أبو العزائم في القصيدة لنعرف أحوال الصادقين رضي الله عنهم.

• خوف الصديقين

بُشر سيدنا أبو بكر بالجنة فقال لا آمن مكر الله، فكيف يحسن الظن بالله – نرجو تفسيراً؟ لقد وضحنا هذا الأمر صباح اليوم وقد قلنا كلما يزيد الإنسان قرباً من الله كلما زاد خوفه من حضرة الله لأن الله:

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [٢٣الأنبياء]

وسنضرب مثلاً لتوضيح الحقيقة وإن كان المثل لتقريب الحقيقة فقط، أكثر الناس خوفاً من الملوك والرؤساء مَن؟ هل البعيدين عنهم أو المحيطين بهم؟ بالطبع المحيطين بهم لأن الواحد منهم يخاف علي نفسه، فلو رأي الملك أو الرئيس أي تقصير بسيط فإنه أول ما يبطش يبطش بالمحيطين به، وكذلك الصالحين ولأنهم سمعوا قول الله:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [١٢البروج]

فأنا مثلاً أجتهد علي قدري في طاعة الله والآداب التي يحبها ويرضاها الله لكن ربما بجهلي وذلك لأننا لم نحصل كل العلم أقع في سوء أدب يستوجب غضب الله، فمن الذي يأمن ذلك؟

لا أحد، فبعد أن حدث لإبليس الذي عبد الله اثنين وسبعين ألف سنة وقد أخطأ خطئاً واحداً ومع ذلك قال له:

﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٨ الأعراف]

وقال في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ:

{ هفوة العارفين أكبر ذنب }

فابني الصغير الذي ما زال طفلاً عندما يهفو، هل أقسو عليه؟

كلا، وحتى لو قسوت عليه فإن من بجوارى يعاتبني وذلك لأنه طفل، لكن عندما يبلغ لو لم أقسو عليه إن أخطأ لعتب علي الجميع وإذا أصبح رجلاً لا بد وأن يستوجب الهجر والخصام لأنه أصبح مسئولاً، إذاً كلما زاد الإنسان في المقام فالمطلوب منه أن يزيد في الأدب مع الله ﷻ والاحترام، فما الذي يطمئنني والنفس لها هفوات ولها بدوات تخرج من الإنسان في بعض الأوقات ولا يدري.

صحيح إن ربنا كريم وعفو وغفور رحيم، لكن هؤلاء يخاف الواحد منهم أن يعاقبه الله بأن يُحجب عنه أو يَحجُب عنه العطاءات التى يواصله بها ولا يخاف هنا من أجل الجنة أو خوفاً من النار لكنه يخاف من العطاءات والهبات والتفضلات التى يمتعه بها الحق فلو انقطع عن هذه الحالات فإن جهنم عنده أهون ويقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ:

أنا لا أخاف وحقه من ناره كلا ولا أبغى الجنان لطيبها
فالقرب منه جنتى ومحاسني والبعد عنه ناره ولهيبها

إذاً فهو خائف أن يبعده عن هذه الحضرة وقال في القصيدة الأخرى:

نار الجحيم مع الرضا هي جنتي أما النعيم بغيره لا أرغب

فماذا أفعل بالنعيم بدونه؟ وأضرب لذلك مثلاً: فأنا جئت لأزورك وأنت صاحب قصر عظيم واستقبلني الخدم والحشم وقدموا إلي أفخر أنواع الطعام والشراب وأجلسوني وأكرموني وأنا أعلم أنك بالداخل ومع ذلك امتنعت عن مقابلتى، هل في هذه الحالة أتلذذ بالطعام والشراب؟ كلا، فهل جئت للطعام أم جئت لك أنت؟ كذلك نفس الموضوع، لماذا نشتاق إلى الجنة؟

لشهود وجه الله ﷻ وليس من أجل النعيم لأنه موجود في الدنيا فأكمل النعيم وأعظم التكريم أن يلقى الكريم وأن يسمع منه:

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ [الآية٤٤ الأحزاب]

وهذا ما يخاف منه من نسميهم الصديقين وحتى الأنبياء والمرسلين فإن سيدنا رسول الله ﷺ وهو من يقول:

{ والله إني لأعْلَمَكُمْ بالله ﷻ وَأَخْشاكُمْ لَهُ } [١٣٤]

وكما ترون كلما زاد القرب يصبح أشد في الخشية – لما نزلت سورة هود وفيها قول الله تعالى:

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [١١٢ هود]

في الحال ابيضت سبعة عشر شعرة في رأسه من الخوف وقد خاف هنا من ألا يكون على كمال الاستقامة وقد قالوا له: ما الذي شيبك يا رسول الله؟

{ شَيَّبَتْنِي سُورَةُ هُودٍ وَأَخَوَاتُهَا: الْوَاقِعَةُ، وَالْقَارِعَةُ، وَالْحَاقَّةُ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِرَتْ، وَسَأَلَ سَائِلٌ } [١٣٥]

ويقول في هذا المعنى الإمام أبو العزائم ﷺ :

خوف بعدى في القرب نار جحيمى   شيب الرأس سره أعيانى

أى أننى وأنا في مقامات القرب هذه أخاف أن يبعدني عنها طرفة عين.

وأشار هنا أن سورة هود وفيها معنى آخر يخوف فكل فترة يقول الله وهو يحكي عن قصة جماعة منهم:

---

١٣٤ عن عروة ، عن عائشة، مسند الإمام أحمد

١٣٥ ابن مردويه عن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ.(جامع الأحاديث والمراسيل) وسنن الترمذي عن ابن عباس ﷺ

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [٦٠ هود]

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [٦٨ هود]

فعندما يسمع ﷺ كلمة البعد يخاف – فذكر البعد لأهل القرب يخوفهم وهم في هذه المنازل العالية وهذه الدرجات الراقية.

وهذا ما خوّف سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وغيرهم – فقد يدخل الجنة ويحرم من المنّة وهى النظر إلى وجه الله فماذا يفعل بالجنة؟

إن أهم نعيم وأعظم نعيم في الجنة أن تأتيه رسالة كل فترة على حسب قربه من الله – تقول الرسالة: "من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، وذلك لأنه هنا أخذ صفة الله:

﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [٥٧ النساء]

فبعد أن يدخل أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يخرج منها أهل الشفاعات من أمة النبي المختار ... ولا يتبقى فيها إلا الأشرار والكفار:

{ يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَـٰذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هَـٰذَا الْمَوْتُ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَـٰذَا؟ قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هَـٰذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ } [١٣٦]

فتأتى لكل واحد من المقربين رسالة كما قلنا وهي:

---

[١٣٦] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ صحيح مسلم

{ من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت
عبدي اشتقت لرؤياك فتعالَ لزيارتي }

وهناك من تأتيه هذه الرسالة مرة وهناك من تأتيه هذه الرسالة على قدر كل يوم من أيام الدنيا مرة وهناك من تأتيه الرسالة على قدر كل يوم من أيام الله مرة وكل واحد على حسب درجته، وهذه أكبر وأعلى وأعظم وأغلى نعيم في الجنة وهي رؤية وجه الله ﷻ :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة]

وهذا يا أخي ما يخوف سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وكمل الأولياء والصالحين من البعد في حالة القرب وذلك لأن النفس لها هفوات قد توقع الإنسان في مطبات يستوجب بها العبد غضب الله ﷻ في الوقت والحال وخاصة عندما يسمعوا أحوال السابقين.

فسيدنا موسى عندما ولد وضعته أمه في البحر وقد وضعته في صندوق وربطته بحبل حتى لا يبعد عنها وجاء موج شديد قطع الحبل ومشى الصندوق حتى وصل إلى قصر فرعون وابن خالته واسمه موسى أيضاً أخذته أمه وذهبت به إلى الغابة وتركته بها فقيض الله له سيدنا جبريل يترل كلما جاع ويأتى له بغزالة ترضعه فسيدنا موسى تربى عند فرعون – وتربى الآخر على يد سيدنا جبريل – وموسى الذي تربى على يد جبريل وصل إلى حال كان يطلع على اللوح المحفوظ وكان له ستون ألف من المريدين وكان يستشفى بدعائه، وانظر إلى الهفوة – فقد صورت له نفسه وقالت إلى متى يظل موسى؟ إني أريد مقامه وأحل محله، فأراد لموسى الموت ليستلم الرئاسة مكانه – فدعا على موسى أن يميته الله فغضب الحق ﷻ غضباً عظيماً وقال له: أتدعو على نبيَّ وصفيَّ؟ ... وهذه سقطة، هل كانت في الحسبان؟

لا، وقد سلبه الله ﷻ كل ما عنده وقد ذكر ذلك في القرآن في قوله عز شأنه:

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [١٧٥ الأعراف]

وانتبه للآية الشيطان بذاته أصبح تابعاً له ووصفه ربنا بوصف قبيح:

﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [١٧٦ الاعراف]

وهذه الآية بها إعجاز علمي ذكره القرآن وذلك أن الكلب يستنشق من لسانه ولذلك يلهث دائماً لأن مسام الشم في اللسان ولم يكتشف العلم ذلك إلا في هذا الزمان – وكانت النتيجة أن هذا الرجل قال فيه الله:

﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [١٧٦ الأعراف]

ومات على غير الإيمان بعد أن وصل إلى هذه المرتبة العالية وبسبب خطأ – ويقول في ذلك بعض الصالحين:

فموسى الذي رباه جبريل كافر وموسى الذي رباه فرعون مرسل

وذلك يا أخى لكى لا تعترض على أحد فقد يقول قائل: "فلان هذا أبوه من الصالحين وجده من الصالحين وكيف يكون هكذا؟ .. لا شأن لنا بذلك، وما لهذا الموضوع والجدود؟ .. ويقول آخر فلان هذا كان أباه من العوام فكيف يصبح هو من أولياء الله؟ .. وما للولاية بذلك ... هل من مسوغات تعيين الولي عمل فيش وتشبيه لأبيه وأمه أو أهله؟

إنما اصطفاء وانتقاء على حسب طهارة القلب وليس لها شأن بالحسب والنسب وإنما كل نسبها:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [١٣ الحجرات]

وعندما يرى سيدنا الصديق أبا بكر هذا المثل القرآني وغـيره مـن الأوليـاء والصالحين، فماذا يكون حالهم؟

يخاف الواحد منهم أن تتركه عناية الله لحظة فيزل أو يضل ..

ونحن جميعاً لو تخلت عناية الله عن الرجل منا لحظة واحدة فمن الذي يـأمن في هذه اللحظة ألا يزل أو يضل !!!

فنحن نحتاج دائماً إلى رعاية الله وعناية الله ورضاء الله جل في علاه – وهذا ما يطلبه الصالحين والصديقين والمقربين رضى الله ﷻ عنهم أجمعين – وهذا أيـضاً مـا يُخوف الصادقين من أتباع الأولياء والصالحين – مم يخافون؟

يخافون أن يتغير قلب الولي عليهم...

لأنه لو تغير قلب الولي على أحدهم فـإن الله ينظـر في قلـوب الـصديقين والصالحين في كل يوم سبعين مرة، ويغضب لغضبهم، ويرضى لرضاهم، فإذا نظر في قلب أحدهم ووجده غاضباً عليه .. فربما يكون ذلك سبب الحرمان لك مـن كـل العطاءات والهبات أو طردك من ديوان الأولياء والصديقين والشهداء والصالحين إذا عارضته أو اعترضت عليه... فما بالك إذا حاربته فإنها مصيبة المصائب، فمن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب.

إذاً كل هذه الأمور هي ما تخوف الصالحين والصديقين في هذه المقامات فهـم يريدون عناية الله ولطف الله ورعاية الله لا تتخلى عنهم نفساً في هذه الحياة – وهـذا على قدر ما يسمح به الوقت في الإجابة على هذا السؤال.

سـؤال:

ما أوضح آية في القرآن تبين مقام النبي ﷺ؟ ... الجواب هى :

﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [٥ الضحى]

وهي أعظم آية تبين مقام سيدنا رسول الله ﷺ من الله .

• أدب الصحبة

و الآن أسأل ما ميزان آداب الأخ الواجبة مع شيخه ...ومع إخوانه؟

هذه الأمور واضحة لو رجع الإنسان إلى نهج أصحاب رسول الله والسلف الصالح رضي الله ﷺ عنهم أجمعين وقد قلناها اليوم وذكرها أخ لكم في العبارة التى نقلها عن الإمام أبي العزائم حيث يقول: "التلميذ مع شيخه كالابن البار مع والده الرؤف الرحيم"

ابن بار مع أب رؤف رحيم، كيف تكون العلاقة بينهما؟

الأب بر رحيم لا يريد المشقة ولا يريد الكلفة ولا يريد أن يحمل ابنه ما لا يطاق بل مبدأه التخفيف والرحمة ومع ذلك فهو حريص على المصلحة.

والابن أحياناً لا يدري مصلحته فإذا شدد عليه في وقت فإنما ذلك لأنه لا يدري مصلحته وذلك كما تشدد على ابنك عندما يكون له مصلحة وهو منشغل عنها فتطالبه بها مرة واثنين وثلاثة ولا يستجيب، فتشدد عليه لأنك حريص به.

وكذلك نفس الموضوع بين الشيخ والمريد والآداب التى يقوم بها الأحباب ليست آداب ظاهرية فقط لكن العبرة بالآداب الباطنية، ولذلك رأى الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه أحد أولاده جالساً في مجلسه فوجده يجلس متربعاً واضعاً وجهه في الأرض منكس الرأس فقال:

{يا بنى أنا لك بمنزلة الأخ الأكبر أو الوالد، والأخ الأكبر والوالد لا يرضى ولا يحب أن يشق على ابنه أو أخيه في الجلوس بين يديه وليس هذا هو الأدب ولكن الأدب أن تراقب الله في الخلوات كما تراقبه في الجلوات }

وهذا هو الأدب السديد .

فأنت أمام الناس من يراك منهم يقول : إنك آية من الآيات لكن إذا تركت

منفردا فى خلوة تصبح كأنك شيطاناً من الشياطين، فهل يكون هذا هو الأدب؟

أبداً، إذاً فإنك تمثل وهم لا يريدون هذا التمثيل، والصالحون لا ينطلي عليهم التمثيل لأن الله يريهم بنور السريرة وعين البصيرة المنيرة حالك.

إذاً فهم يريدون أدب القلوب مع علام الغيوب وهو أن تراقب الله وتخشاه وتعلم أن الله ﷻ يطلع عليك ويراك في أي وقت وفي أي حين وفي أي مكان وهذا ما يريدونه – أما أن تظن أنهم يريدون منك عندما ترى شيخك مثلاً تقف له أو تعظم له أو تقبل يده كل ذلك لا يشغل بال أي رجل من الصالحين ..

بل إنه يشغل بال الأدعياء فقط الذين يريدون ذلك بل ويبحثون عن ذلك – وذلك كله ليس في دين الله ، واسمعوا للحديث الشريف، وماذا قال ﷺ لأصحابه لما خرج عليهم :

{ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَوَكِّئاً عَلَى عَصاً، فقُمْنَا إِلَيْهِ، فقَالَ: لا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأعَاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُ بَعْضاً } [١٣٧]

صحيح أن سيدنا أبي بكر ﷺ قال:

قيامي للحبيب عليَّ فرض ... وترك الفرض ما هو مستقيم

عجبت لمن له عقل وفهم ... يرى هذا الجمال ولا يقوم

لكنه ﷺ لم يكن يهتم بذلك الأمر .

والأدب الذي يريده هؤلاء:

هو الأدب مع حضرة الله، فنحن نريد أن نوصلك إلى الله وليس لأنفسنا.

ولا يوجد أحد من الصالحين يريد جبروت أو عظموت أو رياسة أو منزلة في هذه الدار الفانية بل يريدون المنزلة الباقية عند الله.

---

[١٣٧] عن أَبِي أُمَامَةَ سنن أبي داوود)

ولذلك فإن كل أمور الدنيا الظاهرة لا تشغلهم، وإنما الذي يشغلهم أن تراقب الله وأن يكون الله منك على بال.

وإذا كنت تراقب الله وتخشاه فأنت صاحب الشأن عند هؤلاء الصالحين، ولو كان بينك وبينهم آلاف الأميال والكيلومترات، ولو كانوا لا يرونك بعين البصر ولا تراهم إلا كل سنين مرة.

فليس الشأن كثرة الملازمة لكن الشأن المداومة على مراقبة الله وخشيته، وهذه هى أحوال الصالحين رضى الله عنهم أجمعين.

أما الأدب مع الإخوان وهو المهم :

فميزانه:

ألا يرى الإنسان نفسه أفضل من أى أخ من الإخوان .

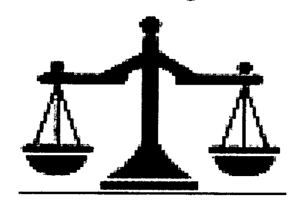
لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، بل يرى دوماً أنه أقلهم شـأناً، لأن هـذا الأخ مثلاً يخدم وهو لا يخدم، وهذا يزيد عنه في الحب، وهذا يزيد عنـه في الوجـد، وهذا يزيد عنه في الشوق ...

إذاً عليه أن يرى دوماً أنه أقل الإخوان شأناً.

ومن حافظ على هذا المقام فقد حافظ على مقام الخدمة المطلوب على الدوام.

أما إذا رأى نفسه في يوم من الأيام أنه أحسن من فلان أو من فلان فإنه يحتاج أن يرد إلى دائرة الأدب ليتأدب مع الله ومع أحباب الله جل في علاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفصل الثامن عشر

موازين الدعاة الحكماء [١٣٨]

- التصوف والمنهج العلمى
- منهج الدعاة الحكماء

[١٣٨] المعادى – الجمعة ١١/١/٢٠٠٨ – ٣ من محرم ١٤٢٩هـ، ورشة عمل صباح الجمعة

التصوف والمنهج العلمي

نحن كما لاحظتم نحاول أن نطبق المنهج العلمي العصري الحديث على التصوف حتى نثبت للعالم أجمع أن الصوفية حق وحقيقة على الطريقة الشرعية المرضية بالمناهج العلمية.

والحقيقة يا إخوانى:

أن الخلافات التى بين الفرق والجماعات الإسلامية لو وضعت على المنهج العلمي الصحيح ما اختلف اثنان.

لأن المنهج العلمي أن نضع القضية على مائدة البحث بدون رأي مسبق للشخص الباحث ولا هوى لظهور نتيجة معينة في نفسه أو في فؤاده ، وإنما ما يتوصل إليه العلم بالشروط الصحيحة المرضية.

وأظن أن هذا المنهج لو اتبع في أي قضية ما اختلف اثنان إلى قيام الساعة.

لكن المشكلة أن الذي يعرض القضية يكون في نفسه مسبقاً رأياً نحو هذه القضية، ويحاول أن يأتى بالأدلة المنطقية والبراهين العلمية أو النفسية التى تثبت صحة رأيه واعتقاده في هذه القضية .

وهذا سبب خلاف المسلمين – لكن لو عرض الأمر كله على بساط البحث بعيداً عن الهوى والحظ إلا ظهور الحق كما قال الإمام الشافعى ﷺ:

{ ما ناظرت أحداً إلا وودت أن يظهر الحق على لسانه لا على لساني }

ولأننا مدرسة صوفية شرعية منهجها هو منهج الإمام أبي الحسن الشاذلي وخلفائه المرضيين سيدي أبي العباس المرسي – سيدي أحمد بن عطاء الله السكندرى –وأشباههم وأمثالهم – ومنهجنا العصري هو منهج الإمام أبو العزائم ﷺ .

وكما يجب أن تقتضى الأمور لا بد وأن يكون لهذه المدرسة رأى موجود في أي

أمر من الأمور، لأن أي داعي يتحدث من هذه المدرسة يعبر عن هذه المدرسة، إذاً لابد أن تتفق الآراء في أي قضية على رأي جميع نعبر عنه أجمعين.

لأنه من العيب أن يظهر داعى من بيننا يتكلم في قضية ما برأى يخالف الباقين أو يرجع إلى الكتب ويأتى منها بما يوافق نفسه ويترك المنهج الذي سلكه واتبعه لأن ذلك يتسبب في ذبذبة بين السالكين وقلاقل بين المريدين ويعطى فرصة للآخرين أن يهاجموا أصحاب هذا المنهج.

وهذا هو الهدف من ورشة العمل هذه:

وهو أن نتفق على رأي جميع في هذه القضية ، وكل واحد يعرض ما عنده وما توصل إليه في بحثه من القرآن والسنة وآراء السلف الصالح لأنه ليس لنا اجتهاد بعد هؤلاء ولا نريد رأياً شخصياً بل رأياً قد استنبط من القرآن والسنة ورأى السلف الصالح، ونرجح لا تعصباً الرأي الذي تسير عليه الطريقة الشاذلية لأنها فعلاً هي صاحبة السيرة المرضية التى لا تخالف الشريعة طرفة عين ولا أقل.

ولذلك نقول لإخواننا:

لا تقرأوا لمحيى الدين بن العربي ولا يقرأ له أحد إلا من اكتمل لأنه خلط الفلسفة بالتصوف، ومن اكتمل يستطيع أن يفرز لكن المبتدىء سيتوه وسيدخل في متاهات لن يصل فيها إلى أي حل .. بل إنه نفسه سيتذبذب.

فعليك أولاً:

- أن تدرس منهج مدرستك جيداً في فكر ابن عطاء الله ، ويا حبذا لو قرأنا الحكم في أحد شروحها، ولها أكثر من سبعين شرح شرحه كبار العارفون بالله، والحكم من إعجاب العالم بها جعلت حتى أصحاب الفكر المتشدد يدرسونها الآن ليدرِّسون منها لعلمهم أنها تنال القبول عند الخلق، وذلك لأنها تشد الخلق وعباراتها تكاد أن تكون تتريلاً.

- وكذلك اقرأ كتب إمامانا أبي العزائم وشيخنا الشيخ محمد علي سلامة وكتب العبيد الفقير والكتب التى بعد ذلك – ثم توسع بعد ذلك في كتب الصوفية التى تتبع السنة والمهم أن يكون رأينا جميعاً ولا يكون هناك خلاف في وجهات النظر.

• منهج الدعاة الحكماء

وأنا في هذا الوقت أوصي نفسي وإخواني الدعاة وإخواني أجمعين بعدة وصايا عند تبليغ دعوة الله ﷻ وهي ليست جديدة ولكن من باب التذكرة.

أولاً:

يجب أن نتحرى عند الحديث في الجمع و الجماعات والمساجد أن نأتي بالأحاديث الصحيحة .

لأن هناك بعض من إخواننا يأتى بكتب الوعظ وكتب الرقائق، والسادة السابقون مؤلفو هذه الكتب كانوا يسوقون فيها أحاديث ضعيفة أو مجهولة المصدر ويلتمسون العذر بأنها تُخوِّف الناس أو تجذبهم إلى الله وهذا عذر أقبح من ذنب.

وقد كان الإمام أبو الحسن الشاذلي يقول:

{ إذا حدثتم العلماء فحدثوهم بالأحاديث الصحيحة }

وفي الأحاديث الصحيحة غنى وكفاية.

ثانياً:

وإذا استشهدنا بقصص من السابقين عن السلف الصالح أو عن أنبياء الله ورسله علينا أن نبتعد بالنسبة لأنبياء الله ورسله عن المدسوسات اليهودية التى دست على الأنبياء والمرسلين وما أكثرها.

فإن أول مفسر لكتاب الله كان الإمام الطبري وقد اعتمد في هذه القصص

على ما ورد في التوراة والإنجيل والتوراة والإنجيل المطبوعان أو الموجودان في عـــصره كان فيهما أضاليل.

وكل من جاء بعده من المفسرين نقل هذه القصص بدون تمحيص أو فـــرز أو دراية، إذاً هذه القصص نتوقف عنها ولا نروى إلا ما يثبت نقلاً وعقلاً .

وإذا أوردنا قصصاً عن السلف الصالح أو عن الصالحين السابقين أو المعاصرين علينا أن نتحرى أن يكون هذا القصص مقبولا للعقل ويوافق عليه النقل.

وهذا هو الميزان أن يقبله العقل، ولا يكون فيه مغالاة ولا شـــطط، ويوافـــق النقل، أي ما ثبت في الشرع الشريف .

وذلك لأن المريدين يتغالون في إثبات قصص وكرامات للصالحين ومـــا أغـــنى الصالحين عن هذه الزيادات وعن هذه المغالاة ففى القصص الصحيح كفاية لمـــن أراد الله ﷻ له الهداية.

ثالثاً:

أن نجعل نصب أعيننا قول الله ﷻ :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٣ فصلت]

واعلم يا أخي علم اليقين:

أن إقامتك في الدعوة لا من فلان أو فلان وإنما هي من حضرة الرحمن.

فعليك أن تعامل الله في دعوتك، واعلم أنه يطلع عليك ويراك ويتفقدك في كل موضع وينظر إلى ما في قلبك وما يبطنه هواك وكان شيخنا الإمام محمد على ســـلامة رضي الله عنه يقول لي:

{ يا بنى اعمل ولا يهمك معرفة شيخك أنك تعمل لأنك تعمل لله وليس لشيخك }

إذاً ليس بشرط أن تعرض على الشيخ أو على الإخوان كل شـــيء ولـــتكن همتك لله فإذا كانت الهمة لله وتريد أن تعمل بقول حبيب الله ومصطفاه:

{ وَالله لأَنْ يُهْدِيَ يِهُدَاكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ }[١٣٩]

فتح الله لك أبواب الهداية.

رابعاً:

وآخر أمر أكتفى به في هذا المجال أني وأنتم كلنا ندعوا الخلق إلى رســـول الله، وسيدنا رسول الله يدعوا الخلق إلى حضرة الله، فالكل يدعوا إلى حضرة الله ..

فإذا رأى المريد أو الداعى عدم قبول وإقبال عليه:

هنا يفتش في نفسه.

لأنه ربما يكون في هذا الوقت يدعوا إلى نفسه وهو لا يشعر..، أي يريـــد أن يكون شيخاً يلتف الناس حوله وتأتمر بأمره ولا تفعل شيئاً إلا بإذنه ... وهـــذه آفـــة الآفات – لكنه يدعوا إلى رسول الله كما قلت ورسول الله يدعوا إلى الله ..

وما دمنا كلنا ندعوا بهذه الكيفية وبهذه الحالة المرضية فلم الخلاف بيننا في أي قضية؟! .. إذاً علينا أن نبتعد عن الخلافات :

سواءاً مع الجماعات الإسلامية، والفرق المختلفة من الشذاذ وغيرهم، أو حتى مع الطوائف الصوفية ومشايخهم..

فقد قال الإمام أبو العزائم ﷺ في مذكرة المرشد والمسترشد:

{ إذا جلست مع قوم وذكروا مشايخهم فترضى عنهم وأثنى عليهم وذكرهم بما لم يعلموه في مشايخهم }

وقد ضربنا المثل في هذا المجال:

---

[١٣٩] عن ابنَ سَعْدٍ سنن أبي داوود

وما زال الميدان واسعاً لضيق الوقت ..:

لأننا نركز كما ذكرنا في كتبنا عن أعلام التصوف :

– كتاب" الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى".

– كتاب "الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة".

– كتاب "السيد أحمد البدوى المربى الربانى".

– و أخيرا وليس آخراً كتاب " شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى"

فأننا نركز في سيرة الرجل الصالح على نهجه في تربية نفسه وعن منهجه في تربية المريدين ولا علاقة لنا بغير ذلك لأن هذا هو الذي نحتاجه من الصالحين أجمعين وهو التعرف على مناهج الرجال لأن لكل رجل منهج وكلهم كما قال الله:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [٤٨ المائدة]

كل رسول له شريعة وله منهاج :

فالشريعة للكل ...

والمنهاج للخاصة وخاصة الخاصة...

فهو لمن يريد الوصول إلى الله ﷻ، فنتعرف على مناهج الصالحين في تربية أنفسهم لنقتدى بهم ومنهجهم في تربية أحبابهم لنهتدى بهديهم – وإذا وطّنا أنفسنا على هذه الأمور فإن الفتح سيأتى من عند الله ﷻ لنا بلا توانٍ وسنقول:

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ ﴾ ونعمل بقول الله:

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾ [النصر]

الفصل التاسع عشر

موازين الرابطة

بين السالك والمرشد

- الرابطة السلوكية
- رابطة المحبة
- النسب الروحاني
- شيخ التربية

● الرابطة السلوكية

وقد تذكرت لأن الكلام يتداعى حكمة من حكم الإمام أبي العزائم الجامعة وذلك بخصوص موضوعنا قال: "الروابط ثلاث: رابطة السالك مع المرشد، ورابطة الواصل مع رسول الله ﷺ ورابطة المتمكن مع حضرة الله ﷻ "

وما سنأخذه هي رابطة السالك مع المرشد أما رابطة الواصل مع رسول الله ورابطة المتمكن مع حضرة الله فلهما مجال آخر:

رابطة السالك مع المرشد أولا تكون رابطة علمية يتلقى منه العلم لأن العلم الذي يرفع هو العلم الذي يُتلقى من العارفين، فالعلم الموجود في الكتب يوضح الخطوط للمريدين لكن كما قال ﷺ:

{ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ الله عَلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } [١٤٠]

{من عمل بما علم.} ممن؟ من المرشد الحي { ورثه الله علم ما لم يكن يعلم}

يتلقى المريد العلم من العارف الحي ثم يعمل به فإذا عمل به يأتيه الفتح فيجمله المرشد بأحواله وأحوال المرشد مستمدة من أحوال رسول الله وليس لأحد من العارفين السابقين أو اللاحقين حال ولا قال إلا بإمداد من سيدنا رسول الله ومن ادعى غير ذلك فقد غرق في حظه وهواه فكلهم مُمدين من رسول الله، وقد قال الإمام أبو العزائم:

بيان فحال فالشهود مقامى ....

وضع الثلاث درجات في نصف بيت – أولاً البيان الذي يهذب النفوس ويفتح الآفاق لمن يعمل به من المريدين ثم يجمله بالأحوال والحال هى العمدة في تربية الرجال ولذلك قال فيها:

---

[١٤٠] أبو نعيم في (الحلية) من حديث أنس بهذا اللفظ

{ بالحال تزكية النفوس لا بالفلوس ولا بالدروس }

كيف نأخذ الحال؟

قال:

فتجملوا بالحال مــن بــاب سمــا بالفضل نــاولكم رحيــق مــدامى

وهذا ما قال فيه الشيخ ابن عطاء الله:

{ حال رجل في ألف رجل خير من كلام ألف رجل في رجل واحد }

إذاً أولاً الرابطة العلمية وهى تحتاج إلى إخوة قال فيها الإمام أبو العزائم: "على السالك أن يختار أخاً له سبقه في صحبة المرشد يتأدب بآدابه ويتجمل بأعماله ويلتزم بأحواله"

لكن لا يتخذه شيخاً فهو أخ يعين أخيه على بلوغ مراده حتى يأتيــه الفــتح وعلامات الفتح أولاً الرؤية الصادقة ثم الإلهام من الله ثم الفراسة النورانية ثم بعد ذلك ينتقل إلى درجة الواصلين إذا نال درجة من الدرجات الكشفية وهو مقام الإحسان: "بدء السلوك تشاهد الإحسان"

وهذا هو الإطار والدائرة التى ندور فيها جميعاً إن شاء الله.

• رابطة المحبة

وأهم ما يقوى الرابطة بين المرشد والمريد هى الحب فالحب هو الــذي يجعلــه يتعلق بشيخه والشيخ كما يقول سيدي عبدالوهاب الشعراني ﷺ: "الشيخ هو بابك إلى رسول الله ﷺ ويرد إليك من رسول الله عبره الهداية والعناية والفتوحات"

وطالما أن رابطة الحب بين المريد وشيخه قوية القوة التى يقول فيها أيضاً سيدي عبدالوهاب الشعراني: "يجب على المريد إذا أراد أن ينتفع بــشيخه أن يعتقــد تمــام

الإعتقاد أنه أعلى العارفين والمرشدين في زمانه فلو اعتقد أن هناك في زمانه من هـو أعلى منه حرم بركة الانتفاع منه"

وإذا اختلت عقيدة السالك في شيخه أيضاً يقول: "حرم بركة الانتفـاع مـن رسول الله عن طريقه"

وذلك لأن المدد يأتي على قدر الحب وكلما زاد الحب كلما زاد المـدد مـن رسول الله ﷺ إلى المريد عن طريق شيخه، لأنه لا يستطيع أن يستمد منه مباشـرة إلا إذا وصل إلى مقام الواصلين فهم الذين يستمدون مباشرة من سيد الأولين والآخرين.

ويوضح الإمام أبو العزائم كيفية انتفاع المريد بمرشده فيقول:

"إذا جالست العالم – أي إذا كنت في مراحل البدايات وتجلس إليه لتـستمع إلى علمه – فأمسك عليك لسانك ليرد عليك من علومه، وإذا جالست العـارف – أي تخطيت مرحلة العلوم وتريد أن تدخل في دائرة القوم وهي دائـرة الأحـوال – فأمسك عليك قلبك ليرد عليك من لطائفه وإذا جالست العالم العارف فأمسك قلبك ولسانك – وإذا أمسك المرء قلبه ولسانه ترد إليه العوارف واللطائف من رسول الله عبر بوابة المرشد لأنه يعطيه بالمقدار الذي يتحمله، والجلوس مع العارف حتى بـدون كلام في حالة الصمت هو جلوس الكمَّل".

وإذا وصل الإنسان إلى مرحلة المعرفة فهو لا يحتاج إلى كلام.

ويقول الإمام أبو العزائم عن انتفاعه في ذلك الوقت:

{ نفس مع الحي حياة للقلب ونفس في حياة القلب خير من حياة الفردوس}

فالنفس الواحد الذي يجلسه معه عندما يصب من قلبه على قلبه:

أمن القلوب إلى القلـوب شـرابى ومن الفؤاد إلى الفؤاد خطـابى

ولا بد أن نفطم من الدائرة الأولى لندخل في المرحلة الثانية: العلم حد له نهاية – وفوق العلم أنوار– لا بد أن ندخل دائرة الأنوار للتجمل فيها بالأحوال والأحوال

يلزمها الرجال الذين علموا ثم عملوا ثم أقبلوا بالقلب ليتجملوا بأحوال الرجال فيرد عليهم الفتح من رسول الله ﷺ دائماً متوالياً لا ينقطع طرفة عين ولا أقل.

• النسب الروحاني

الحكمة العظيمة التى لخص فيها الإمام أبو العزائم ﷺ أدب المريد مع شيخه والعلاقة في هذا الأدب :

أن المريد مع شيخه كالابن البار مع أبيه الرءوف الرحيم – علاقة أب مع ابنه – حقيقة الانتساب الروحاني الذي به تفاض الفيوضات وتأتى الفتوحات.

أن سيدنا رسول الله له ظاهر وهو الجسم الظاهر وهذا الجسم له نسبة ظاهرة هي ذرية فاطمة رضى الله عنها وله صورة باطنة هى الصورة العبدية – الذل حليته والخوف من الله قوامه والرغبة باطنه والرهبه ظاهره وخشية الله تعمر قلبه وبر الوالدين سروره وصلة الأرحام حبوره وهي صورة باطنة تسمى الصورة العبدية.

والعبد الوارث لا بد أن يكون على هذه الأحوال المرضية حتى يكون صورة روحانية على قدره من الصورة المحمدية، وإذا تحقق هذا الانتساب يفاض إليه من الحضرة المحمدية الأسرار العلية والفتوحات العلية.

وكذلك المريد الذي يريد الفتح لا بد أن يتحلى بهذه الأوصاف المعنوية فهو لا يرى رسول الله ولكنه يرى الوارث له فيتجمل بجماله الروحانى وآدابه في مقام العبودية فإذا تجمل بذلك وصار الخوف من الله قوامه والحياء من الله ﷻ مقامه والإقبال على الله ﷻ دائماً حاله وتجمل بهذه الجمالات تحققت النسبة الروحانية فيفاض عليه بسر هذه النسبة نصيبه من الوراثة المحمدية – ماذا يأخذ الابن من أبيه؟

يأخذ الميراث لأن الولد صورة أبيه وكذلك بالنسبة للميراث الباطنى من النور والعلم والروحانيات والاشراقات كلها ترد إلى العبد إذا تشبه باطنا بالمرشد الحي والمرشد الحي يتشبه برسول الله ﷺ، ولذلك عندما بين الإمام أبو العزائم هذه

الأوصاف في ذاته وشرحها لنا الإمام محمد على سلامة شيخنا في كتاب "الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين" وعليكم الرجوع إلى هذا الكتاب والأوصاف التى يشملها الكتاب من المفروض أن نجاهد لكى نتجمل بها وهذا هو جهاد العارفين فليس جهادهم في قيام الليل وصيام النهار فقط لأنها مجاهدات ثانوية، لكن المجاهدات الأساسية فيما يشتمله هذا الكتاب لأن قوام الكتاب كله حكمة للإمام أبي العزائم يقول فيها:

{ محمد ماضى الخوف مقامه، والذل حليته والرغبة باطنه، والرهبة ظاهره، وبر الوالدين سروره، وصلة الأرحام حبوره ...و .. و }

وهي حكمة عظيمة علينا أن نقرأها ونعمل بها – وفي آخر هذه الحكمة يقول:

{ وهكذا فليكن كل ماضٍ أو من يحب ماض}

فمن يتخلق بهذه الأوصاف فهو صورة ماضى ويأخذ حقه من الميراث بانتسابه إلى ماضى، ومن لم يتمم التشبه بهذه الأوصاف فإنه يحب ماض ويمشى على الطريق لكي يلتحق بهذا الميراث، وهذا هو الميراث الذي يقول فيه سيدنا رسول الله: {نحن معاشر الأنبياء لا نورث درهما ولا دينارا، وإنما نورث علماً ونوراً}

فالعلم والنور ميراث الرسل وكل واحد فينا له فيه نصيب – متى يأخذ هذا النصيب؟ ... إذا أثبت صحة النسب، وكيف يثبت صحة هذا النسب؟

أن يتحقق بتمام المشابهة بمن ينتسب إليه فيتشبه به في أخلاقه وأعماله وأحواله والباب الأول في التشبه به فى عبوديته لله ... لماذا؟ لأن العبودية سر الانتساب، وأخطأ قوم فتشبهوا به في الظاهر فقط !! ونسوا التحقق بالعبودية.

ولذلك تجد أن عندهم فظاظة وغلظة وقسوة وهذا منافى للصفات المحمدية ولذلك لا ينالون نصيباً من الإرث المعنوى النوراني بل ينكرون على من عندهم هذا الإرث كأن يقولون: كيف ترون رؤيات؟ كيف يأتيكم الإلهام؟

وذلك لأنه لم يتشبه إلا بالظاهر – لكن هذا النسب يقول فيه أبو العزائم:

نسبان نسب حقـيقى ومقـامى هما سر انتسابي إلى المقـام الـسامي

ويقصد النسب الروحانى والنسب النوراني – وهو التشبه بمقام العبدية ....

ما المطلوب منك؟ .. قالها باختصار:

"فكن عبداً لنا" أى عبد لله وذلك كما كان رسـول الله متحققـا بالعبوديـة لحضرة الله – فإذا تحققت في مقام العبدية جاءتك العطايا الإلهية بغير حد ولا عد ولا كم ولا كيف – ولكن بأنوار ومواهب تعالت معنوية.

• شيخ التربية

وعلى سبيل التذكرة أذكر في هذا الباب أن شيخنا الأكبر للطريقة الـشاذلية الشيخ أبي الحسن الشاذلى ﷺ، ووالد شيخنا الإمام محمد ماضى أبي العزائم كان جده الأعلى يسمى ماضى بن سلطان وكان أميراً في منطقة ببلاد الجزائر على الحدود بـين الجزائر والمغرب تسمى هناك عين ماضى – انتسب للإمام أبي الحسن الشاذلي وصحبه حتى أنه من شدة حبه له لم يستطع أن يفارقه فارتضاه الشيخ خادماً له وكـان اسمـه ماضى أبو العزائم – وذلك لكي تحققوا ذلك عندما تقرأوه وهو جـد الإمـام أبـو العزائم يحكى الرجل كما ورد في سير الشاذلية في كتاب: "المفاخر العلية في الطريقة الشاذلية" وغيرها من الكتب التى تتكلم عن سير السادة الشاذلية:

((قال ابن الصباغ: "حدثنى الشيخ الصالح أبو العزائم ماضى ﷺ قال: تحدث الشيخ ﷺ فى حقيقة الشيخ مع أصحابه فقال: "أن تكون يده عليهم يحفظهم حيثما كانوا" قال: فاعترضت على ذلك في نفسي وقلت: لا يكون ذلك إلا لله ﷻ ، فلما أصبحت أخذتنى ضيقة شديدة في نفسي، فخرجت لخارج الإسـكندرية، وجلـست على ساحل البحر اليوم كله، فلما صليت العصر، زيقت، يعنى أدخلـت رأسـي في طوقى، وإذا بيد تحركنى، فظننت أنه بعض الفقراء يمازحنى.

قال: فأخرجت رأسي من طوقى، وإذا بها امرأة حسناء عليها لبـاس حـسن،

وحلى، فقلت لها: ما تريدين؟ قالت: أنت، فقلت: أعوذ بالله منك، فقالت: والله ما لى عنك براح.، فدافعتها عن نفسي، فأخذتنى في حضنها، ولعبت بي كما يلعب الطفل بالعصفور وما ملكت من نفسى شيئاً، ورمتنى بين فخذيها، فحنت نفسي إليها، وإذا بيد أخذتنى من أطواقى، وإذا أنا بالشيخ يقول لي: يا ماضى، ما هذا الذي تقع فيه؟ ورماني عنها، فظننت أن الشيخ اجتاز بذلك المكان، فرفعت رأسي، فما وجدت الشيخ ولا المرأة ...

فتعجبت من ذلك، وعلمت أنى أصبت باعتراضى عليه، فاستغفرت الله وصليت المغرب، وآتيت إلى الباب الأخضر، وقد غلقت أبواب البلد كلها، فلما دنوت منه .. انفتح لي ودخلت المدينة ثم اغلق، وهذا الباب لا يفتح إلا بعد صلاة الجمعة، يخرج منه الأمير والناس إلى الساحل، ثم يغلق إلى الجمعة الأخرى.

قال: وأتيت القلعة، ودخلت بيتى مختفياً عن الفقراء فلما صلى الشيخ العشاء الآخرة، صرف الناس، وكان في كل ليلة، يعمل ميعادا يأتى إليه الناس من البلدان، يستمعون كلامه، قال: ثم دخل الخلوة وقال: أين ماضى؟ قالوا: ما رأيناه اليوم، قال: اطلبوه في بيته، فأتوا إليَّ، فقلت لهم: إننى مريض، وكان كذلك، فإنى ما أتيت إلا بحال عظيم.

فقال: احملوه بينكم، قال: فحملونى إليه، وأدخلونى عليه، وأمرهم بالانصراف، فجلست بين يديه وأنا أبكى، فقال لى: يا ماضى، لما قلت بالأمس كذا وكذا، فاعترضت أنت علي، أين كانت يدي اليوم منك لما أردت أن تقع في المعصية؟ .. من لم يمكن من ذلك فليس بشيخ ...[141]

قال ابن الصباغ: وحدثنا أيضاً قال:

كنا بدمنهور الوحش، فلما صلينا العصر، أعطانى كتابا للشيخ الفقيه فخر الدين الفتزى بالإسكندرية، برسم حاجة عرضت له، فقلت له: يا سيدي إذا كان غدا إن شاء الله – أسافر بكره – وهذا الموضع مسيرة يوم للفارس– فقال لي:

---

١٤١ درة الأسرار لابن الصباغ ص(٤٥،٤٤)

الساعة تسافر وتعود إليَّ بالجواب إن شاء الله تعالى.

قال: فتقلدت نمشة[١٤٢] كانت عنـدي، وخرجـت متوجهـاً فوصـلت إلى الإسكندرية في أقرب وقت، وأعطيت الكتاب للشيخ ورجعت إليه قبـل اصـفرار الشمس، وكنت مررت بجبال الحاجر في طريقى، فأسمع بها دوياً وصوت أحد يمشى، فأظن أنهم اللصوص يعترضونني في طرف النهار، فأرسل النمشة وأبقى منتظراً، قال: فما رأيت أحداً، قال: فلما رجعت إلى الشيخ .. وجلست بين يديه تبسَّم وقال لي:

ياماضى، تجبز نمشتك تتقى بها اللصوص؟ الدوي الذي كنـت تـسمع دوي الملائكة، والله ما خرجت من بين يدي حتى تكفّل بك ثمانون ألفـاً مـن الملائكـة، يحفظونك من أمر الله حتى وصلت إلى الإسكندرية وعدت إلينا.

وقال أيضاً: حدثنا الشيخ أبو العزائم ماضى رحمه الله قال:

بعثنى الشيخ من الإسكندرية إلى دمياط في بعض حوائجه، وكان عندنا رجـل من أهلها، فأراد السفر معي، فاستأذن الشيخ، فأذن له في السفر.

فلما توجهنا لباب السدرة – باب من أبواب الإسكندرية – أخـرج الرجـل دراهم ليشترى بها خبزاً وإداما، فقلت له: ما نحتاج إلى شيء، فقال لي: نجد دكـان فلان في الصحراء .. وأشار إلى دكان حلوانى بالإسكندرية، فقلت له: إن شـاء الله، وكنت مهما سافرت لا أحمل معي زاداً، فإذا أصابني جوع أسمع كلامه مـن خلفـي يقول: يا ماضي: أخرج عن يمينك تجد ما تأكل، وكذا إذا عطشت، فأجد طعاما طيبا وماء عذبا، قال: فخرجنا عن الإسكندرية ومشينا، وجدَّ بنا السير حتى تعالى النـهار بنا، فقال لي: يا ماضي أطعمنى فإنى قد جعت، وإذا بكلام الشيخ على العادة يقـول: يا ماضي جاع ضيفك، أخرج عن يمينك تجد ما تطعمه، قال: فخرجت عـن يمـيني، فوجدنا محفلة مملوءة بكنافة سكرية مخلطة بالمسك وماء الورد، فأكلنا حـتى ملينـا، فبكى الرجل وتعجب مما رأى،فقلت له:

أيهما أطيب .. هذا الطعام أو ما أشرت إليه فى دكان الحلوانى؟

---

(١٤٢) النمشة: غطاء مخطط

فقال: والله ما رأيت مثل هذا قط .. وما صنع مثله في قصر ملك من الملـوك، وأراد أن يرفع بقيته فمنعته، وتركتها على حاله.

ومشينا يسيراً فعطشنا، وإذا بكلام الشيخ يقول: يا ماضي أخرج عن يمينـك تجد الماء، فوجدنا عين ماء عذب في الرمل فشربنا، واضطجعنا ساعة وقمنا فما وجدنا قطرة ماء، فقال الرجل: أين الماء الذي كان هاهنا؟ .. فقلت: لا علم لي به.

فقال: والله لقد مكن لهذا الشيخ تمكيناً عظيماً، والله لا رجعت إلى أهلي، حتى أنال ما نال هذا الشيخ، أو أموت في الله تعالى، فخلى فروته عندي، ومشى في البرية يقول: الله .. الله، قال: فلما قضيت سفرى، ورجعت إليه قال لي: يا ماضـي ودرت (أهلكت) ضيفك، فقلت له: أنت الذي ودرته – أطعمته الكنافة السكرية في البرية، وأسقيته الماء العذب في الرمل.

فقال لي: مر في الذاهبين إلى الله تعالى ...))

وهذه هي معاملة العارفين والصالحين وهي موجودة ومشهودة إلى يوم الـدين لكن تحتاج إلى عقيدة صادقة من المريدين ومن اعتقد شرب من هذا الشراب ودخل من هذا الباب ورأى في هذا الباب العجب العجاب ومن انتقد حرم ولا يُمنح شـيئاً قليلاً ولا كثيراً من هذه البضاعة الغالية العالية الراقية لأنها لا تمنح إلا للنفوس المطهرة السامية.

وهذا على سبيل المثال وفي قصص العارفين السابقين واللاحقين كثير وكـثير يكتب دواوين كبار في هذا المجال وذلك حتى نعلم علم اليقين أن المشايخ العارفين لا يتحركون إلا بعد أن يتحققوا بقول الله ﷻ في حديثه القدسي :

{ ولا يزال عبدى يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التى يبطش بها ولأن سألني لأعطينه ولأن استعاذ بي لأعيذنه }

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل العشرون

موازينُ مُحَاسَبَة النفس والتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

ما ينبغي أن يقوم به كل مسلم، وكل مؤمن وكل فرد من أمة سيدنا محمد ﷺ في هذا الوقت ونعنى بداية العام الهجرى الجديد وتجدد ذكرى الهجرة الشريفة..

عليه الآن أن يراجع نفسه، وأن يسترجع صحف أعماله ويجعلها تمر على باله، ومن فضل الله علينا أنه جعل لنا في الكمبيوتر الذي وهبه لنا المقدرة على أن يستعيد أي شيء من الذاكرة من غير مجهود، ولا تخريج إسناد، وإنما بمجرد أن يخطر على البال أى عمل يستعيده، يأت به الله ويكون أمامه كساعة عمله أو القيام به.

فيجلس ويستعرض أعماله هنا، ويستلم ملفاته ويحاسب نفسه على ما عمل، لماذا؟ .. لأن الذي يستعرض أعماله ومن يحاسب نفسه فيا هناه، ويا بشراه لأنه كما قيل: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)

فالذي يحاسب نفسه هنا ليس عليه حساب في الآخرة، يخرج إلى الآخرة لا حساب ولا ميزان ولا صراط، وإنما يخرجون من القبور إلى القصور، لماذا؟

لأهم حاسبوا أنفسهم في الدنيا.

ولذلك دائماً وأبداً يحاول الإنسان أن يحاسب نفسه أولا بأول، فهنـــاك مـــن يحاسب نفسه في كل لحظة، وهؤلاء هم الأكابر وهناك من يحاسب نفسه كـــل ليلـــة ساعة ما يأتى إلى النوم، يستعرض ما فعله في ذلك اليوم، فما وجد فيه من خير يحمد الله، وما وجد فيه من سوء يستغفر الله منه، والله ﷻ غفور رحيم.

وهناك من يحاسب نفسه كل أسبوع مرة، وهناك من يحاسب نفسه كل ســـنة مرة، وهناك من يحاسب نفسه في كل هذه الأحوال بالمرة ، بعدما يحاســـب نفـــسه لا يستعظم ذنباً على مغفرة الله ﷻ .. إياك أن تستعظم ذنباً وتقول: كيف يغفره الله؟

{ **إذا واجهك باسمه العفو فلا كبيرة وإن عظمت، وإذا واجهك باسمه العدل فلا صغيرة وإن حقرت** } وإنما هي كبيرة، نسأل الله أن يواجهنا بفضله وأن يعاملنا بكرمه، فمن سبقنا من الأمم عاملهم الله بعدله، أما نحن فقد قال الله لنا:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [الآية١٦ الأحقاف]

وعدنا الله ﷻ أن يتقبل منا ولكن أي شيء؟ أحسن الأعمال والسيئات يغفرها لنا ما دمنا نحاسب أنفسنا في الدنيا، أما أهل الكبائر الذين لم يتوبوا منها فقد قـــال في شأهم فى محكم الكتاب فى [الآية٢٣ الفرقان]:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾

وهو سبحانه:

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [٢٣ الأنبياء]

فحاسب نفسك وإياك أن تستعظم ذنبا، وفي نفس الوقت إياك أن تستصغر ذللا. الاثنين في نفس الوقت لا تستعظم أى ذنب لأن أي ذنب إذا واجهك الله بفضله غفره لك، ولا تستصغر أي زلل أو أي خطأ لأن الله إذا رآك على هذا الخطأ وحاسبك حسابا دقيقاً وشديداً لن تنجوا من العذاب يوم القيامة.

هذا نهج المؤمنين الصادقين، والماهر فيهم الذي يسارع فوراً عند ارتكاب أي ذنب إلى المتاب لا يؤجل ولا يسوف ولا ينتظر إلى الجمعة ولا إلى رمضان، لأن التسويف والتأجيل بضاعة المنافقين وليست بضاعة المؤمنين.

المؤمنون بضاعتهم حاضرة مع الله ﷻ ، ومعاملتهم مع الله فورية، فلا تأجيل للعمل والاستغفار من الذلل، وإنما كما قال الله:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [١٣٣ آل عمران]

يسارع على الفور ولا ينتظر أي تسويف مع الله ﷻ وبعدما يجرى المحاسبة أو المعاتبة لا بد أن يصفى حساباته ويبدأ صفحة جديدة مع الله ﷻ .

وفي كل وقت جديد يا حبذا لو كنا نعلوا فيه مع حبيب الله ومصطفاه ونعزم عزما أكيداً أن الوقت القادم نكون فيه مع رسول الله ﷺ بأقواله وأحواله وأفعاله، ونعمل بقول الله:

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [٢١ الأحزاب]

يعزم أولا أن يكون من أهل هذه الآية، الأنفاس الباقية يجعلها مع رسول الله ﷺ حتى إذا خرجنا من الدنيا نكون معه، إذا كان ربنا قال لنا في القرآن يصف لنا المؤمن وهو يستعد للقاه:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ ﴾ [١٥ الأحقاف]

ماذا يعمل؟

﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [١٥ الأحقاف]

يبدأ يطوى الدنيا ويتوجه إلى الله وحسن الختام بأن يكون مع المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام على الدوام.

هل هناك أحد منا يستطيع أن يكون مع المصطفى على الدوام؟

كلنا، كيف ذلك؟ .. يتشبه به ﷺ في كل الأحوال والأعمال والأقوال، وقد ورد عنه ﷺ كل الأحوال التى لا تخطر على البال.

لا يستطيع أحد أن يقتدى بالمصطفى ﷺ مرة واحدة، ماذا يفعل؟

يعمل له لوح في قلبه يكتب فيه ما يريد تحقيقه ليرضى الله يكتب فيه حكمة واحدة ويتوقف عندها ولا ينتقل إلى غيرها حتى يقوم بها ويتحقق بشأنها ويكون من أهلها وأول مرحلة وأخطر مرحلة قال لنا فيها ربنا فى [الآية ٧٠ الأحزاب]:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

سدد قولك واجعل كلامك مسدداً وإذا سددت القول، ماذا يفعل لك؟

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [٧١ الأحزاب]

كل هذا متوقف على القول، وإذا عملنا به نكون من الوجهاء عند الله ﷻ.

الإمام مسلم يصف لنا رسول الله ﷺ فيقول

{ كان رسول الله ﷺ طويل الصمت، لا يتكلم في غير حاجة، ولا يتكلم في مالا يعنيه، ولا يتكلم إلا إذا بدا نفع ورجا ثوابه }

كم حكمة هذه يا إخوان؟ ..إذا حفظناها وعملنا بها سنكون من الأئمة رضى الله عنهم وأرضاهم .... {كان ﷺ طويل الصمت، لا يتكلم في غير حاجة} .. ليس هناك داعى للكلام نسكت، ولماذا تتكلم؟ .. {ولا يتكلم في مالا يعنيه} وهـذا هـو الأمر الذي أتعب الناس جميعا في هذه الأيام، {ولا يتكلم إلا في ما يرجوا ثوابه}.

ذهب سيدنا الحسن ﷺ إلى خاله هند بن أبي هاله وهو ابن السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها من زوج غير النبي ﷺ وكان وصافاً يجيد الوصف، وقال له:

{ صف لي من رسول الله ﷺ شيئاً أتعلق به }

لا بد أن نتعرف عليه ﷺ، فقد كان أعذب الناس حـديثاً، وألطـف النـاس معاملة، وأرق الناس أحاسيساً .. كان جمالاً في كمال وكمالاً في جمال، وصدق الله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ (القلم)

وكان يعامل الناس معاملة يشتاق إليه فيها الصغير والكبير، والمشابه والـنظير، يؤانسهم ويدنيهم ويلاطفهم، فهو النموذج القويم والمثل الأعلى الذي اختاره لنا الله لنسير على هداه وننهج على نهجه، ونكون محبين لهديه حتى نلقى الله ونحشر في معيته عند الله، وبعد قليل جاء إليه سيدنا الحسين وسأله نفس السؤال ونفس الطلب.

هذا هو نهج السلف الصالح يريدون أن يكونوا صورة من رسـول الله وهـذه البضاعة هي المطلوبة في هذا الوقت والآن، وهذا الذي قال عنه مولاه ﷻ :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩ الفتح)

معه .. اخواننا ظنوا أن يتشبهوا به في المظاهر أو في الأشياء الظاهرات، وهـل هذه تظهر جمال الإسلام؟ ما الذي يظهر جمال الإسلام يا إخواني؟ وما الـذي كـان يجذب الكفار للإسلام؟ .. أهيئة رسول الله ﷺ؟ أم صلاته؟ أم صيامه؟ أم حجـه؟ أم جمال معاملته؟ ... الذي كان يجذبهم للإسلام جمال معاملاته. أما غيرها مـن الأمـور فكما قال الله:

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [٤٦ فصلت]

{ جاء أحدهم وعرض على رسول الله أن يشرى منه تمراً آجلاً ويسدد له ثمنه لحاجة عرضت لرسول الله وغتفقا على ميعاد السداد، وقبل مجيء الآوان جاءه ونهره وأمسكه بتلابيب ثوبه الشريف وجذبه جذبا شديداً أثر في عنقه، وقال: إنكم يا بـــنى عبدالمطلب قوم مطل، يعنى مسَّ العائلة كلها حتى يستفزه، فأخذت سيدنا عمر الغيرة على رسول الله وقال: دعنى أقطع عنقه يا رسول الله، فقال له ﷺ:

{ **كلانا أحْوجُ إلى غير هذا منك يا عُمر تأمره بحُسْن المطالبة وتأمرنى بحسن الأداء، يا عمر خُذْه وأعطه مَاله وزده عشرين صاعاً نظير ما روعته** – الصاع حوالى عشرون قفة في الوقت الحالى،فأخذه سيدنا عمر ليعطيه التمر – **فقال له أتعرفنى يا عمر؟ قال: لا، قال: أنا زيد بن سعنه، فقال: الحبر، قال: نعم، أتدرى لم فعلت هذا يا عُمَرُ؟، كلُّ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا في وَجْهِ رَسولِ اللَّهِ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْماً، فَقَد اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قد رَضِيتُ باللَّهِ رَبّاً، وبالإِسلامِ دِيناً، وَبِمُحمَّدٍ نَبِيّاً** } [١٤٣]

كلما يزيد الجاهل جهلاً !!! كلما يزيد رسول الله ﷺ حلما... كلمـــا يزيـــد الجاهل فظاظة !!! كلما يزيد رسول الله ﷺ رقة، كلما يزيد الجاهل غلظة !!! كلمـــا يزيد رسول الله ﷺ ليناً.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [١٥٩ آل عمران]

[١٤٣] عبدُ الله بنُ سَلَام صحيح ابن حبان

فما الذي ينفر الناس؟ .. الفظاظة والغلظة ولو كان من الزهاد ولكن عنـــده الغلظة سيفرون منه أم يقتربون منه؟!

ما الذي يظهر جمال الإسلام يا إخواني؟

أوصافه ﷺ وجمال أخلاقه وهو هو نفس الأمر يا إخواني: جمال الإسلام وكمال الدين كيف يظهر؟ .. بأخلاق المسلمين وأوصاف المؤمنين، أنت ستصلي في المـــسجد ألف ركعة في الليلة، ليس لي شأن بك ولكن عندما تأتي وتكلمني، فلسانك هو الذي يظهر ويبين جمال دينك إذا كان اللسان مجملاً كما قال الله:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [٢٤ الحج]

لكن أنت قائم الليل وصائم النهار ذاكر لله في كل الأنفاس لكنك فظ القلب غليظ الطبع سيكون أول النافرين منك أهلك المقربين. وهو نفس الشاكلة.

من أول من آمن برسول الله ﷺ؟ .. العبد الذي ارتضاه، ورفض أن يعـــود إلى أبيه وأهله سيدنا زيد ﷺ عندما جاء أبوه وعمه إلى النبي ﷺ وعرضا عليه مـــا شـــاء مقابل أن يعطيه لهما فقال لهما: "اجلسا إليه فإن اختاركما فلا حاجة لي به" وهـــذا الكلام قبل الرسالة والنبوة، ولم يكن نزل عليه الوحي بعد، فقال لهما: أنا لا أرضـــى بمحمد ﷺ بديلاً ... حاولا معه لكن من غير فائدة.

لم تكن هناك صلاة بعد ولا صيام وإنما كانت أخلاق الإسلام وجمال الإيمـــان التى فطر الله عليها نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات التى عليها المعول إلى رفيع الدرجات وعليّ المقامات وبها رفعة الصالحين والصالحات.

كافأه ﷺ وقال: أشهدكم أن زيداً ابنى أرثه ويرثني — تبناه، وصار يدعى زيـــد بن محمد، لأن التبنى كان موجودا قبل الإسلام ولكن الله ﷻ أبطله فيما بعد.

رجل غريب يفضله على أبيه وأهله!! .. هل سمعتم عن مثل هذا مـــن قبـــل؟ لماذا؟ ما السبب؟ ... من أجل جمال الأخلاق ومحاسن الصفات التى كان عليها ﷺ.

وهذا يا إخوانى هو ما يجذبنا إلى حبيب الله ومصطفاه، ويجعلنا نقتبس من هديه الكريم جمال الأوصاف التى يحبها الله ﷻ . إذا كان على العبادة، فمن الذي عبد الله ﷻ كما عبده إبليس؟ .. كم من السنين؟ اثنان وسبعون ألف سنة

لم يغفل فيها عن طاعة الله سنة حتى قال حضرة النبي ﷺ في شأنه ما معناه ما فى السموات السبع من موضع أربع أصابع إلا ولإبليس فيها سجدة لله، من الذي سيعبد مثل عبادته، ولكن عندما قال الله له:

﴿ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ [٣٤ البقرة]

ضحكت عليه نفسه، ماذا كانت النتيجة يا اخوانى؟ .. أبعده الله، إذن الموضوع ليس موضوع العباده وإنما القبول، قال ﷺ:

{الْجَاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ } [144]

انتبهوا: جاهل – لكنه سخي – أحب إلى الله من عابد بخيل .. الصلاة والصيام لم تؤثرا فيه كما ينبغي. وإذا لم يؤديا إلى ذلك فظاهرهما عباده، لكن حقيقتهما لم تؤدي إلى الغاية التى أرادها الله ﷻ وفرضهما من أجلها.

لو أن انساناً يقرأ القرآن، وبصره لا يغادر المصحف في ليل أو نهار، لكن لا يستطيع أن يملك نفسه عندما يرى أنثى، ويكون كما قال الله:

﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ [٣٠ النور]

أين عبادته هذه؟

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾ [٤٥ العنكبوت]

هذا يا إخوانى طريق المقربين ومنهج الصالحين التجمل بأحوال سيد الأولين

---

١٤٤ (ت) عن أبي هُرَيْرَةَ (هب) عن جابرٍ (طس) عن عائشةَ ﵂. (جامع الأحاديث والمراسيل)

والآخرين في أوصافه وفي أخلاقه وفي كل أحواله هو سبيل المقربين وطريــق المــتقين الذي يوصلهم إلى رضوان رب العالمين ومعيته في الدنيا ويوم الدين، قال ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ بِاللَّيْلِ الظَّامِيء بِالْهَوَاجِرِ } [١٤٥]

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الآخِرَةِ وَأَشْرَفَ الْمَنَازِلِ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ وَإِنَّهُ لَيَبْلُغَ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَجَةٍ فِي جَهَنَّمَ } [١٤٦]

لكن نأخذ جزءا من أخلاقه ﷺ ونتجمل به وكما قلت عندما ننتهى منه ننتقل إلى غيره والجزء الذي اخترناه في هذا اليوم هو مثلاً ((كان ﷺ طويل الــصمت)) .. وعندما سأل سيدنا الحسن خاله عن حقيقه صمته ﷺ قال ﷺ: {كان صــمته عــن تفكر} أي يجعله يتفكر، لأنه ﷺ كان يقول :

{ أمرني ربي بتسع: خشيةِ اللّهِ في السرّ والعلانية وكلمةِ العدلِ في الغضب والرضى، والقصدِ في الفقرِ والغنى، وأن أصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأعْفَو عمَّن ظلمني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرةً، وآمر بالعرفِ» وقيل: «بالمعروف } [١٤٧]

يتفكر في أي شيء، عندما نتفكر نحن، نتفكر في زواج البنات وعمــل الأولاد ونتفكر في تحصيل ما ضمنه الله لنا، مع أنه ﷺ قال لنا:

{ إِنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ } [١٤٨]

---

١٤٥ عن أبي أمامة رواه الطبراني
١٤٦ (طلك، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).
١٤٧ وعن أبي هريرةً مشكاة المصابيح
١٤٨ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ سنن ابن ماجة

إذن كيف نتفكر؟

في الإقبال على الله، في يوم العرض على الله، في دخول البرزخ، وكيف يكون حالي فيه؟ ، وسؤال الملكين، وفي الجنة وما فيها من الدرجات، والنعيم وما فيه من مقامات المؤمنين، وبهذا يكون مع سيد الأولين والآخرين ﷺ، أو يتفكر في معاني الآيات القرآنية، ومعاني الأحاديث النبوية، وفي أذواق العارفين في طريق الله، وفي إشارات الصالحين لحديث سيدنا رسول الله.

وإذا تكلم يكون الكلام في أي شيء؟ .. {لا يتكلم في غير حاجة} ..، ياإخواني .. إذا كانت أوصاف المؤمنين. وليس المحسنين في كتاب الله ، واسمعوا :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون]

ما اللغو؟ العلماء والخبراء في كتاب الله وفي اللغة التى نزل بها كتاب الله قالوا: اللغو: هو الكلام الذي لا يفيد ولا يضر .. فالله لا يمدحهم بالبعد عن الغيبة ولا النميمة ولا السب ولا اللعن .. لأن كل هذا حرام محقق يجب على كل مسلم أن يمتنع عنه،... لكنه يصفهم بالبعد عن اللغو ... كالكلام في السياسة والكلام في الكورة، الكلام في كل أحوال الناس اليومية بغير تخصيص ... المؤمن إذا كان عن اللغو معرض، في ماذا يتكلم وفي أي شيء؟، قال ﷺ:

{ رَحِمَ اللّهُ عَبْداً قالَ خَيْراً فغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ } [149]

الكلمة التى سأقولها، إذا كانت ستتحول لي بشيك على رصيدي أقولها، وإلا فلا، وبدل ما أتكلم مع البشر أتكلم مع رب البشر ﷻ .. :.

{ أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه }

نسمع حكم الحكمة الإلهية في هذا الأمر:

[149] هناد والْخرائطي في مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ عن الْحسن مُرْسَلاً

﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [١١٤ النساء]

حكم من هذا يا إخوانى؟ .. هذا حكم أحكم الحاكمين، ولنسأل رسول الله ﷺ من أحب الناس إليك يا سيدى يارسول الله؟ قال :

{ إنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقاً المُوَطَّئُونَ أَكْنَافاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ } [١٥٠] .. الذي يألفه الناس. وتكره من يا رسول الله؟

{ إنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقاً، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إلى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي الثَّرْثَارُونَ المُتَفَيْهِقُونَ المُتَشَدِّقُونَ } [١٥١]

فالثرثارون: الذي يرغي كثيرا، المتشدقون: كلامهم من أشداقهم ولا يكفون عن الكلام، المتفيهقون: الذي يعمل نفسه فقيها في كل شيء وهذه رغبة داخلية وهي ظاهرة في هذا الزمان ... فالذي يتكلم فى السياسة ويظن أنه أحسن من رجال الأحزاب في السياسة والناقد للمسلسلات ويظن أنه ناقد مثلهم وخبير في كل شيء.

المؤمن لا يتكلم إلا إذا كان واثقاً أن ما ينطق به في صحيفة حسناته:

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١٨ ق]

وليس قولاً فقط، وإنما قول وعمل. فالمؤمن يا إخواني لا ينطق إلا إذا كان نطقه في ميزان حسناته. ولذلك إذا أراد المرء أن يكون من الصالحين – وانتبه إلى هذه العبارة "فليعد كلماته"، من الذي يستطيع أن يفعل ذلك؟

هكذا كانوا، سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه كان يقول: عن سيدي مكين الدين الأسمر تلميذه النجيب ((مكين الدين من الأبدال))

---

[١٥٠] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ رواه الطبراني في الصغير والأوسط
[١٥١] عن أبي ثعلبة الخشني صحيح ابن حبان

ومكين هذا كان يعمل ترزيا، وكما نعرف أيام زمان أن كل السَمَر يكون عند الترزي، لكنه كان يقول:

{ قبل غروب الشمس أذهب إلى المسجد وأجلس مع نفسي وأستعيد ما تحدثت به في يومي، فأجده بضع كلمات لا تزيد عن أربعة عشر كلمة }

لا يتكلم إلا لضرورة، ولو استخدم الإشارة يكون أفضل ... لمـــا أراد الله ﷻ أن يعطى الإشارة لنبي من الأنبياء أن يرفع مقامه عنده، ماذا قال له؟

﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [١٠ مريم]

يعني العلامة الخاصة بك. لكن من الذي يستطيع أن يصبر على الكلام؟

﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴾ [٢٣ الأحزاب]

سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه كان يضع حصاه تحت لسانه، وذات مرة رآه عمر ﷺ وهو يمد لسانه فقال له :

{ مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ: إِنَّ هَٰذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلاَّ يَشْكُو ذَرَبَ اللسَانِ عَلَى حِدَّتِهِ } [١٥٢]

ولذلك نسمع عمن روى أربعة آلاف حديثاً، وغيره ألفي حديثاً، لكنـــه ﷺ لم يروي إلا أحاديث معدودة. لكن هل هناك أحد سمع من النبي ﷺ كما سمع سيدنا أبو بكر؟ ... ولذلك لما تولى الخلافة خطب خطبة عظيمة من جملة واحدة تحير الأولـــين والآخرين قال:

[١٥٢] وعن أسلم (ع هب) وقال ابن كثير جيّد

{الحمد لله الذي لم يصل أحد إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته }

وحتى نستطيع فك هذه الخطبة نحتاج إلى الكثير من المجلدات.

فكان ﷺ لا يتكلم في غير حاجة... وإذا لم يكن هناك داعٍ للكلام إذن فليكن الصمت، وإذا أدب الله ﷻ العبد بالصمت فيا بشراه لأن الله ﷻ سيفتح له كنوز الحكمة، قال ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْداً فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ } [١٥٣]

الحكمة تأتى لمن؟

لأهل الصمت عن اللغو وعن الكلام إلا فيما يفيد، ولو كان الكلام لدرس أو تعليم حكمة فلا مانع، وكان ﷺ لا يتكلم في ما لايعنيه، ولذلك كان ﷺ يقول:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيْهِ } [١٥٤]

فإذا كان ذلك من حسن الإسلام، فكيف بحسن الإيمان؟ وكيف بحسن الإيقان؟ ، فالعبد إما أن يشغل نفسه بالله أو أي ذكر لله، أو يتفكر في مخلوقات الله حتى يتشبه برسول الله ﷺ: {وكان ﷺ لا يتكلم إلا فيما يرجوا ثوابه}

الكلام الذي يأتي من وراءه ثواب يتكلم به، هذا وأنتم تعرفون الكثير من أخلاقه وعظيم صفاته حتى وصف قبل الرسالة بأنه:

{ ليسَ بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ وَلاَ صَخَّابٍ بالأسواقِ، ولا يَدْفَعُ السيئةَ بالسيئةِ، ولَكِنْ يَعْفُو ويَغْفِرُ } [١٥٥]

---

١٥٣ (هـ حل هب) عن أَبِي خلاد (حل هب) عن أَبِي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُما.

١٥٤ عن حسين بن علي مسند الشهاب

١٥٥ عن عطاءِ بنِ يَسَارٍ سنن البيهقي الكبرى و رواه البخاري في الصحيح عن محمد بنِ سنان عن فُلَيْحِ بنِ سليمانَ

سيدنا أبو بكر الصديق يقول له: يا رسول الله، لقد ذهبت إلى كسرى في ملكه، وإلى قيصر في ملكه، وإلى النجاشي في ملكه وطفت بأحياء العرب فما رأيت من هو أحسن خلقاً منك، فمن الذي أدبك؟ .. فقال ﷺ:

{ أَدَّبَنِي رَبي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي } [١٥٦]

قال مولانا الإمام ابو العزائم ﷺ:

والصمت معراج وجوعك طهرة والصمت رفرف حضرة التواب

ومن فضائل هذا الصمت أنه يجعل الإنسان دائما مرفوع الرأس، فلا أحد يعاتبه على كلمة قالها، أو أنه شتمه أو اغتابه فيخرج من الدنيا وليس لأحد من الخلق عليه تبعة لأن الله قد يغفر للعبد ما يكون بينه وبينه سبحانه وتعالى، أما ما يهلك العبد فالذي بينه وبين غيره من الخلق، ولذلك عندها يقول الله تعالى:

{ وعزتي وجلالي لا تدخل الجنة حتى ترضي خصمائك، من كان له حق عند فلان فليخرج }

هذا الخلق العظيم الذي كان عليه المصطفى عليه الصلاة والسلام إنما أقوله لنفسي أولاً ولإخواني ثانياً حتى نبدأ عهداً جديداً بالمنهج الرشيد للمصطفى ﷺ:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [٢٤ الحج]

وربما كل الناس قد لا يعجبهم هذا المنهج – الناس الذين يقال عنهم: الناس كالنسناس – لكن أنت لا يهمك إلا عباد الله المتقين، والصالحين الذين هم حقيقة الناس عند رب العالمين، أهل الهدى والتقى، يبحثون عن هذه الأحوال ولو حكمة واحدة من هذه الحكم، فالحكمة الواحدة تفتح لهم الأقفال.

[١٥٦] ابن السَّمْعَانِي في أَدَبِ الإِمْلاَءِ) عن ابن مسعُود رضيَ اللَّهُ عنهما

ما لك ومال الناس؟ وما الذي يهمك من الناس؟

ذهب بعض الشباب الذين انضموا إلى سلك الخوارج في عصر الصحابة، وكان هؤلاء الشباب يهتمون بتلاوة القرآن والصيام والتهجد بالليل، وقد سألوا عن عبادات أصحاب سيدنا رسول الله فذهبوا إلى امرأة سيدنا أبو الدرداء، وقد قال في شأنه رسول الله ﷺ وكان اسمه عويمر:

{ عُوَيْمِرٌ حكِيمُ أُمَّتِي } [١٥٧]

فقالت لهم:

{ لم تكن عبادته كعبادتكم، ولكنه كان يجلس يتفكر }

وقال ﷺ:

{ تفكر ساعة يعدل عبادة سنة }[١٥٨] **{ وَلاَ عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ }** [١٥٩]

الساعة هنا تعنى اللحظة، أي أنه إذا تفكر لحظة فله عند الله كعبادة سنة نهارها صيام وليلها قيام، وكان الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول:

{ لحظة فكر بيقين خيرٌ من عبادة سنين }

لأنه بها ينقشع عن القلب الحجب ويزول عنه الران، ويتنزل له الفضل من حضرة الرحمن؛ ... لأنها العبادة الوحيدة التى تخشع بها القلوب ... ويتقرب بها العبد من حضرة الرحمن والنبي العدنان ﷺ.نسأل الله ﷻ أن يجعل نطقنا ذكراً وصمتنا فكراً ونظرنا عبراً، وأن يجملنا بجمال حبيبه ومصطفاه، وأن يجعلنا من خيار عباده المؤمنين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمَّ بحمده سبحانه وتعالى

١٥٧ (الحارث) عن أبي المثنى المليكي مرسلاً.
١٥٨ أخرجه ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بلفظ ستين سنة بإسناد ضعيف
١٥٩ أبو بكر بن كامل في مُعجمِهِ ، وابن النَّجَّار عن الحارث بن عليّ رضيَ اللَّهُ عنهُ.

نبذة عن المؤلف فضيلة الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

۞تاريخ ومحل الميلاد: ١٨/١٠/١٩٤٨م، الجميزة

مركز السنطة – محافظة الغربية – جمهورية مصر العربية

۞المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٠م.

۞العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية.

۞النشاط: ١ – يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

٢ – يتجول فى جميع الجمهورية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣ – بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام.

٤ – والتسجيلات الصوتية والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة.

٥– وأيضا من خلال موقعه على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) :

WWW.Fawzyabuzeid.com

جارى تحديث الموقع وترجمته وستنشر به الكتب تباعا والتسجيلات واللقاءات.

۞ دعـوته: ١– يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد، والأحساد، والأثرة، والأنانية، وغيرها من أمراض النفس.

٢– يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية؛ بعد تهذيب نفوسهم، وتصفية قلوبهم.

٣– يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن الكرسم وعمل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وكذلك بترسيخ المبادئ القرآنية

للحصول على مؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

أولا : بالقاهرة والجيزة

إسم المكتبة	الهاتف	العنوان
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شـــارع جوهر القائد - أمام جامعة الأزهر- القاهرة
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام التجارى – ميدان الحسين، القاهرة
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ ش الشيخ ريحان عابدين
دار الأحمدي للنشر	٢٥٧٤٠٥٠٣	٤٠ ش طلعت حرب- أمام سينما مترو، القاهرة
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ ش الشيخ صالح الجعفري بالدراسة ، القاهرة
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة – بجوار مسجد السيدة نفسية بالقاهرة
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف – القاهرة
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شـــارع التحرير- ميدان الدقي، الجيزة
مكتبة عالم الفكر	------------	أمام مسجد الإمام الحسين
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
مكتبة مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠- طريق النصر- مدينة نصر - القاهرة
مكتبة النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ ش عدلى – جوار السنترال
مكتبة هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش د/حجازي، الصحفيين – القاهرة ، خلف نادي الترسانة

المكتبة الفاطمية	--------------	ميدان جامع الأزهر- أمام الباب العباسي ، القاهرة
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد- أمام جامعة الأزهر، القاهرة
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهـــــر
مكتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ شارع الدكتور.أحمد أمين - مصر الجديدة
ثانيا	بالأقاليم	
مكتبة عبادة	-٠٥٥- ٢٣٢٦٠٢٠	الزقـــازيق – شارع نور الدين
كشك عبدالحافظ محمد عبدالحافظ	--------------	الزقــــازيق – بجوار مدرسة عبدالعزيز على
مكتبة تاج	-٠٤٠- ٣٣٣٤٦٥١	طنطا - مكتبة تاج - بجوارمسجد السيد أحمد البدوي
مكتبة الإيمان		فايد- حاج أحمد غزالى بربرى
كشك الصحافة		الســـــويس- شارع الشهداء- حـــاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	-٠٩٣- ٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- ش احمد عرابي بجوار مركز التكوين المهنى
كشك أبو الحسن محمود	--------------	قنا - أمام مســـــجد ســـــيدي عبدالرحيم القناوى
دار الأحمدي للنشر	-٠٦٨- ٢٣٤٧٨٠٢	المنيا- أبراج الجامعة - أمام الشبان المسلمين

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع و دار الشعب والدور القومية للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والأسكندرية والأقاليم

لملاحظاتكم القيمة

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....